غير مخصص للبيع

منبر الإسلام

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

السنة ٦٦ العدد ١١ - ذو القعدة ١٤٢٨ هـ -نوفمبر ٢٠٠٧م

الإرادة الإنسانية والقضاء والقدر

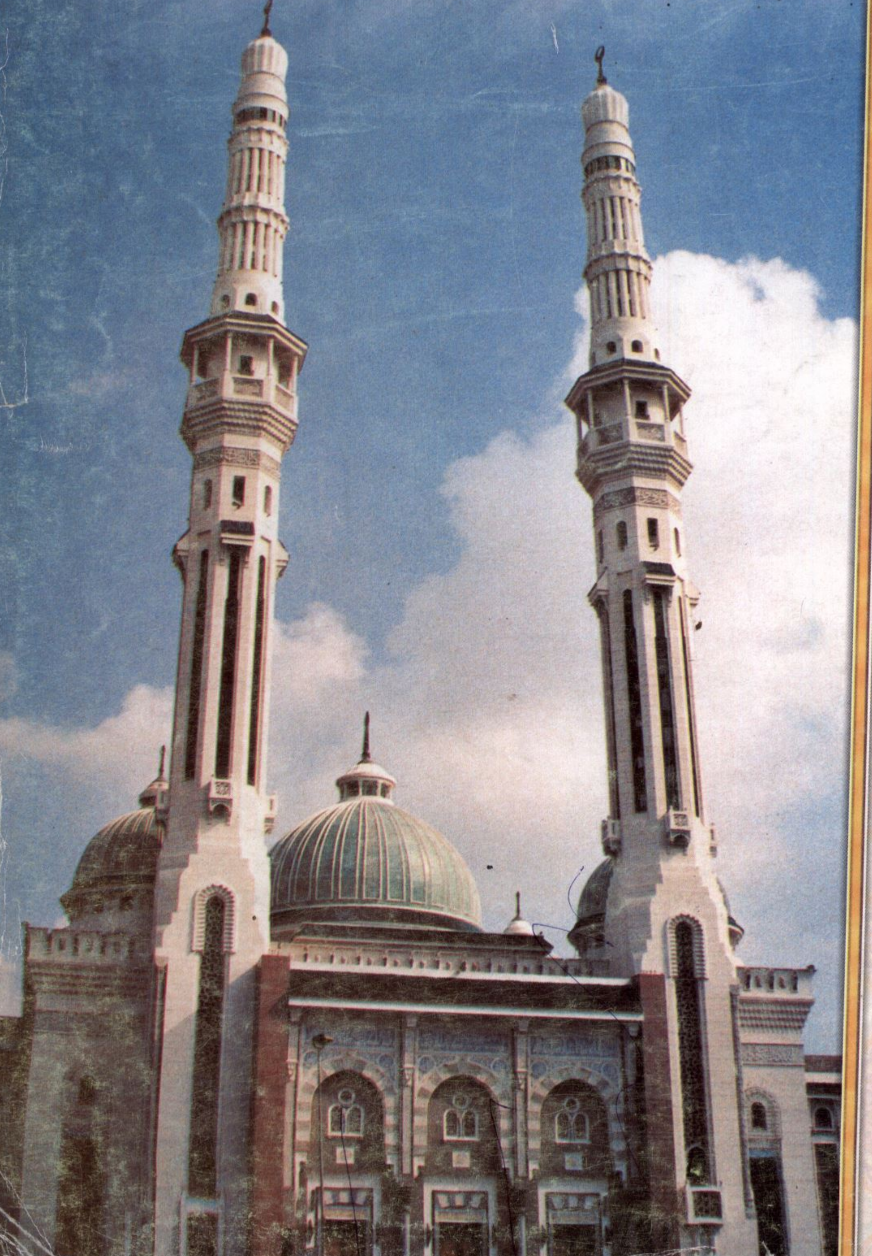

ن وحى
ريضة الحج

يخ حضارتنا
ربية الإسلامية

بدأ المواطنة
منظور إسلامى

الأزمة الفكرية

وقاف الإسلامية
ديار الغرب

مع العدد هدية مجانية
كتاب: كيف تعتمر وتحج
للشيخ عبد العزيز عيسى

من محتويات العدد

- تفسير سورة «الانشقاق»
  أ. د. محمد سيد طنطاوى
- شكر النعمة فى القرآن الكريم والسنة النبوية
  فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف
- من قصص السنة: لأقضين بينكما بكتاب الله
  أ. د. أحمد عمر هاشم
- التواضع من صفات الأنبياء وحلية الأولياء
  د. أحمد عبداللطيف الكلحى
- بيت الله الحرام
  فضيلة الشيخ فكرى حسن إسماعيل
- ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾
  أ. د. عبدالمعبود عمارة
- الكعبة المشرفة مكانا ومكانة
  فضيلة الشيخ شوقى عبداللطيف أيوب
- النص القرآنى بين التفسير ونظريات التلقى
  أ. د. عبدالرحيم الكردى

غلاف الفردوس
مجلة الطفل المسلم

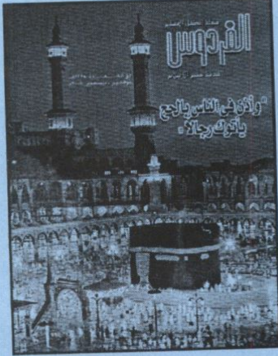

هدية مجلة «منبر الإسلام»

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٢٧٩٥٨٦٥٩ - ٢٧٩٤١٦٢٧ - ٢٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بالقاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: عبدالصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: صوفى أبو طالب

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الشيخ: محمد عبدالمجيد زيدان

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام وهو فرض على المستطيع بدنيا وماليا مرة واحدة فى العمر، يقول الله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ آل عمران: آية ٩٧، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يأيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا».

فالحج قصد كريم لزيارة بيت الله الحرام وأداء المناسك استجابة لأمر الله تعالى وعملا بسنة رسول الله ﷺ للتطهر من الذنوب والعودة بالنفس الإنسانية إلى براءة الفطرة الأصيلة ومشاهدة التجليات النورانية على البقاع المقدسة وترسم خطا رسول الله ﷺ وصحبه الكرام.

وللحج مقاصد نبيلة وأخلاق حميدة منها التعبد لله تعالى بكليتنا وجمعيتنا بالبدن وبالروح وبالمال والوقت عطاء وتركا.

وفى الحج إظهار الشوق والمحبة لأطهر بقاع على الأرض وإعلان لعظمة الإسلام وتأكيد لسلطانه على النفوس وتحقيق عملى لوجود الأمة الإسلامية والوحدة الإيمانية التى تجمع بين أبنائه مهما تباعدت ديارهم وفصلت الحدود الجغرافية أو السياسية بينهم.

حديث الشهر

﴿ليشهدوا منافع لهم﴾

الحج: آية ٢٨

أ. د. عبد الصبور مرزوق

هكذا تحدث القرآن:

﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق* ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله ..﴾ الحج: الآيتان ٢٧، ٢٨.

فأول ما يلحظ فى الآية هو تقديم الحق تبارك وتعالى لانتفاع الناس بالحج على ذكره سبحانه لأن مصالح العباد وما ينفع الأمة أحب وأولى لديه سبحانه من أن يذكره عباده، ليس لأن ذكر الله غير محبب إلى الله ولكن لأنه سبحانه أهم بعباده وأحب إليه من ينفعهم ويعنى بشئونهم وفى هذا يقول الحديث الشريف: «إن لله أناسا اختصهم بقضاء حوائج العباد حببهم إلى الخير وحبب الخير إليهم إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة».

أعظم أركان الإسلام عطاء لصناعة الإيمان

خصوصية الحج:

ولأن للحج من أركان الإسلام خصوصية فى الزمان وخصوصية فى المكان حيث نص القرآن على أدائه فى أشهر معلومات لا يصح أداؤه فى غيرها، وله كذلك خصوصية فى المكان من بيت الله الحرام فى مكة المكرمة وبين الموقف فى صعيد عرفات بالمملكة العربية السعودية لايصح أداؤه فى غيرها.. فهو بهذا جدير بتأمل شعائره والتعرف على آثاره على الإنسان الفرد وعلى مجموع أمة الإسلام على ما سنعرض له:

***

أعظم الأركان لصناعة الإيمان:

والذين كتب الله لهم ووفقهم لأداء هذه الفريضة على وجهها الصحيح بوسعهم أن يحدثوك عما جاشت به مشاعرهم وفاضت بها أعينهم وهم يشهدون الكعبة فى المسجد الحرام لأول مرة، وكيف يرون ألسنتهم تلهج بالتلبية والتكبير والحرص العظيم على تقبيل الحجر الأسعد والتمسح بالبيت، والصلاة فى حجر إسماعيل وعند مقام إبراهيم ثم على الشرب وعلى الوضوء من ماء زمزم، ثم الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والدعاء عند الملتزم.

الذين سعدوا بتوفيق الله فى أداء هذه الفريضة بحسبهم أن يحدثوك عما كانت عليه مشاعرهم واهتزت بالإيمان له قلوبهم عند كل خطوة ومع كل شعيرة يؤدونها فى البيت الحرام حتى لتراهم وكأنما كسيت وجوههم بضياء من النور ومسحة من الصفاء والتسامى تعجز عن

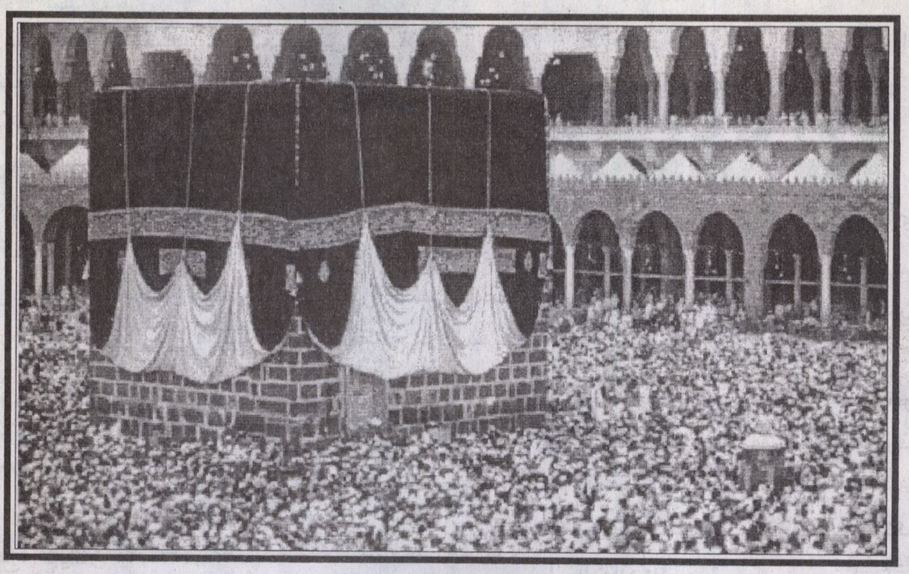

تصويرها ألسنتهم فتفيض أعينهم بالدمع تناجى الرحمن وتقول لمن يراها إنهم قد انتقلوا مما كانوا فيه إلى حال من الصفاء والإيمان ارتقوا بهما عن أثر الطين فى تكوين الإنسان إلى آثار النفخة الروحية التى أكرم بها الله «الإنسان» وميزه بها على سائر مخلوقاته، ونراها تتجلى أعظم ما يكون التجلى فى مثل أداء صاحبها لمشاعر الحج وفى جميع نظائرها من المواقف التى تهتز القلوب فيها عندما تكون بين يدى الله أو فى بيت الله.

***

وصنائع الإيمان ليست مجرد لحظة عابرة كتلك التى تعترى البعض فى حالات الدروشة تنقضى بساعتها.

ولكن صنائع الإيمان هنا ـ فى الحج خاصة ـ صناعة إيمان عقلانى مستنير وواع فتلك اللحظة تصاحبه لينتقل من وجدان الروح إلى ما يتفطنه العقل كى ينتبه إلى استثمار هذه الومضات الإيمانية فى تدبر أحوال الأمة وما هو مطالب به للنهوض كعضو فيها وماهو مطلوب على مستوى الوطن أو حتى على مستوى أمة الإسلام وساعتها لا يستشعر المؤمن وهنا ولا ضعفا. وتمتلكه روح صنائع الإيمان وهى متحفزة للجهاد متوثبة للعمل سخية بعطاء البُذال والعُطَّاء.

وهنا تتلاشى موازين الدنيا، فلا ينظر الفقير إلى ضواغط الفقر بل يستشعرون أن مافى خزائن الله هو بعض ما يملكون؛ وتتلاشى موازين القلة والكثرة فيستشعرون أنهم على قلتهم فإن جنود الله تحيط بهم وتحميهم وتكون من خلفهم ومن حولهم وتلوح بين أعينهم آيات القرآن **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾**.

***

وهكذا مع كل نفحة إيمان يستشعرها الحاج بين المشاعر يستحيل عند أدائه لطواف الوداع خلقا آخر لا أقول فقط مطهرا من الذنوب كيوم ولدته أمه بل أقول خلقا آخر كتلكم النماذج الإيمانية الرفيعة من الصحابة الذين ربوا فى مدرسة النبوة زمن الرسول ﷺ والراشدين الذين مكنوا للإسلام فى الأرض ونجحوا فى إزاحة القوتين العظميين اللتين كانتا قائمتين آنذاك وهما قوة الفرس والروم.

نقلة هائلة من هموم الذات إلى هموم الأمة:

وهى عندى أعظم ثمرات الحج لأمة الإسلام فى زماننا

خاصة. ذلك الذى اتسعت فيه رقعة أرض الإسلام حتى بات خمس مساحة الأرض مستقرا لمليار ومائتى مليون مسلم تتوزعهم الآن دول وأقاليم، وأجناس وألوان ولغات بألسنة لا يكاد بعضهم يدرى عن الآخر إلا أن هناك خلقا لا يحصون يدينون بالإسلام.

***

فإذا كان موسم الحج ووقف العربى كتفا بكتف إلى جوار العجمى، ودعا القادم من شرق وجنوب شرق آسيا بدعوة التوحيد وصيغة التلبية اتفق فيهما مع أخيه القادم من السودان أو من المغرب أو ممن تحرروا فى دول الكومنولث الإسلامى. وتلاقت ألسن الجميع على دعوة التوحيد والتلبية.. لا يفهم كل منهم غيرها من الكلمات التى تجمعهم.. وبعدها لا مجال للحديث.

ساعتها سيشعر كل منهم على مستوى بلده وعلى مستوى أمته وعقيدته أن هؤلاء الذين لا يعرف لغتهم ولايستطيع أن يفهم عنهم هم إخوانه فى الدين وهم أنصاره عند الشدائد وأنهم جميعا مسئولون عن التعاون لنصرة هذا الدين وحمايته والاستشهاد فى الدفاع عنه.

وتكون هذه هى النقلة الإيمانية الأعظم والأهم فى اجتماع المسلمين فى ضيافة الرحمن عند بيته الحرام.

***

وثمة آثار كبار أخرى للحج لا تسع الصفحات لاستيعابها أذكر منها فى عجالة:

إن الحج مؤتمر دورى سنوى شرعه الإسلام للمسلمين ودعاهم إلى شهوده وجعله أحد أركان ديننا العظيم، ولو أن ولاة أمر الأمة الإسلامية استخدموا هذا المؤتمر السنوى فى دراسة هموم ومشكلات ومتاعب وآمال المسلمين فى المناخ الروحى للحج الذى تصفو فيه القلوب وتخلص النوايا ويرتقى فيه الجميع عن زخرف الدنيا وزينتها لكان العطاء الإيجابى لموسم الحج أعظم جدوى وأكثر فائدة منه فى أى مؤتمر آخر.

***

لاسيما وموسم الحج يأتى هذا العام فى أوقات بالغة الدقة والصعوبة حيث تحيط بأرض العروبة والإسلام سحائب سود لن تمطر إلا دمارا وخرابا والأمر بحاجة فى تصورى إلى التكاتف والتعاون دفاعا عن وجود الأمة وصيانة لمستقبلها والله غالب على أمره.

***

وأما بعد:

فأى حديث عن «الحج» لا تذكر فيه الجوائز الفردية لكل فرد من الحجاج أراه حديثا ناقص الفائدة، ومن ثم فحسبى فقط أن أذكر بالحديث النبوى الشريف الذى يقول فيه الرسول ﷺ: **«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»** وفى رواية أخرى بزيادة **«مالم ترتكب الكبائر»**.

***

بقيت كلمة:

عن تكرار الحج والعمرة: لا اعتراض مطلقا على تكرار الحج والعمرة مادام الإنسان مستطيعا ذلك ماليا وصحيا.

لكن لدينا فى الفقه الإسلامى ما يسمى «فقه الأولويات» وأولى الأوليات فى الزمن المعاصر الذى صعبت فيه الحياة على شرائح كثيرة من الناس أقول:

إن من قد أدى الفريضة أولى به أن يوجه نفقات تكرارها إلى كفالة يتيم أو رعاية أرملة أو التبرع لإنشاء ملجأ أو مستشفى يقدم الخدمة لغير القادرين.

مع الإحاطة أن قضاء حوائج العباد أحظى بالقبول عند الله من كثير من النوافل.

القرآن الكريم وعلومه

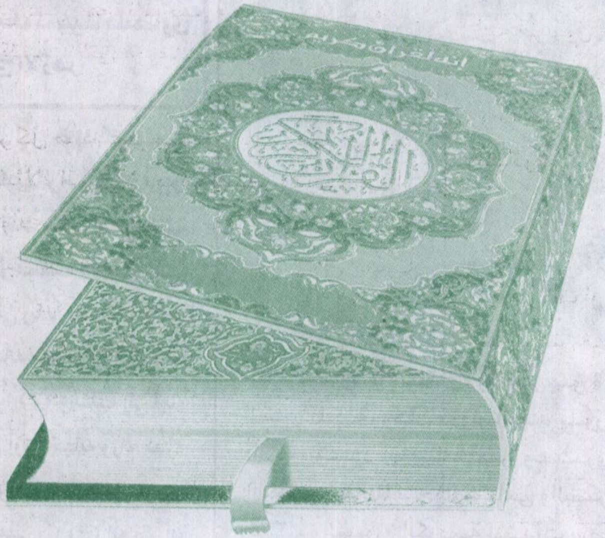

- تفسير سورة «الانشقاق»
- النص القرآنى بين التفسير ونظريات التلقى (٤)
- شكر النعمة فى القرآن الكريم والسنة النبوية

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «الانشقاق»

لفضيلة الإمام الأكبر

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ
انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا
الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ
(٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا
الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ
(٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ
يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ
مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ
(١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا
(١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن
لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥)
فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧)
وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ
(١٩) فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ
الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣)
فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ (٢٥)﴾

الانشقاق: الآيات ١ - ٢٥

١ - سورة **«الانشقاق»** وتسمى سورة **﴿إذا السماء انشقت﴾** من السور المكية، وكان نزولها بعد سورة **«الانفطار»**، وقبل سورة «الروم» وعدد آياتها خمس وعشرون آية فى المصحف المكى والكوفى. وفى المصحف الشامى والبصرى ثلاث وعشرون آية.

٢ - والسورة الكريمة ابتدأت بوصف أشراط الساعة. ثم فصلت الحديث عن أحوال السعداء والأشقياء يوم القيامة، وخلال ذلك حرضت المؤمنين على أن يزدادوا من الإيمان والعمل الصالح، وحذرت الكافرين من سوء عاقبة إصرارهم على كفرهم وفسوقهم.

وقوله: **﴿انشقت﴾** من الانشقاق بمعنى الانفطار والتصدع، بحيث تتغير هيئتها، ويختل نظامها، كما قال - تعالى -: **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار﴾** إبراهيم: آية ٤٨.

وانشقاق السماء قد ورد فى آيات متعددة منها قوله - تعالى -: **﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾**.

وقوله - سبحانه -: **﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾**.

ومعنى «أذنت»: استمعت. يقال: أذن له، بمعنى استمع له بإصغاء تام - وبابه طرب - وفى الحديث الصحيح: «ما أذن الله لشىء إذنه لنبى يتغنى بالقرآن»، وقال الشاعر:

صمٌ إذا سمعوا خيرا ذكرتُ به
وإن ذُكِرْتُ بسوء عندهم أذنوا

وجملة «وحقت» معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه. أى: جعلت حقيقة وجديرة بالاستماع والانقياد لما يريده الله - تعالى - منها، من قولهم فلان محقوق بكذا. وحق له أن يفعل كذا، أى: وجب عليه ذلك وجوبا لا انفكاك له عنه.

وجواب الشرط «إذا» وما عطف عليه محذوف، والتقدير: إذا السماء تصدعت واختل نظامها، واستمعت لأمر ربها استماعا تاما، وانقادت لحكمه انقياد العبد لسيده، وجعلت حقيقة وجديرة بالانقياد والاستماع والطاعة فى جميع الأحوال.

﴿وإذا الأرض مدت﴾ أى: بسطت وتساوت بحيث صارت فى مستوى واحد، بدون ارتفاع فى جانب أو انخفاض فى آخر. كما قال - تعالى -: **﴿لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾**.

﴿وألقت ما فيها وتخلت﴾ أى: وطرحت ما بداخلها من أجساد ومن كنوز، ومن غيرهما، وخلت من ذلك خلوا تاما.

وقوله **﴿وأذنت لربها وحقت﴾** تأكيد لقدرته - تعالى - ونفاذ أمره، أى: واستمعت الأرض كما استمعت السماء لأمر ربها، وحق لها أن تستمع وأن تنقاد لحكمه - تعالى - لأنها خاضعة خضوعا تاما، لقضائه وأمره. إذا حدث كل ذلك.. قامت الساعة، ووجد كل إنسان جزاءه عند ربه - سبحانه -.

قال صاحب الكشاف: حذف جواب «إذا» ليذهب المقدر كل مذهب، أو اكتفاء بما علم. فى مثلها من سورتى التكوير والانفطار. وقيل: جوابها ما دل عليه قوله: **﴿فملاقيه﴾**. أى: إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه.

وقوله: **﴿وأذنت لربها وحقت﴾** أذن له: استمع له.. والمعنى: أنها فعلت فى انقيادها لله - تعالى - حين أراد انشقاقها، فعل المطواع الذى إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن، ولم يأب ولم يمتنع، كقوله - تعالى -: **﴿أتينا طائعين﴾**.

«وحقت» هو من قولك: هو محقوق بكذا وحقيق به، يعنى: وهى حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع..(١).

وقال الجمل فى حاشيته: وقوله: **﴿وحقت﴾** الفاعل فى الأصل هو الله - تعالى - أى: حقَّ وأوجب الله عليها سمعه وطاعته.. فعلم من ذلك أن الفاعل محذوف، وأن المفعول هو سمعها وطاعتها له - تعالى -(٢).

ثم وجه - سبحانه - بعد ذلك نداء للإنسان، دعاه فيه إلى طاعته وإخلاص العبادة له، فقال: **﴿ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾** والمراد بالإنسان هنا: جنسه، وأصل الكدح فى كلام العرب: السعى فى سبيل الحصول على الشىء بجد واجتهاد وعناء.

مأخوذ من كدح فلان جلده، إذا خدشه، ومنه قول الشاعر:

وما الدهر إلا تارتان فمنهما
أموت، وأخرى أبتغى العيش أكدح

وقول الآخر:

ومضت بشاشة كل عيش صالح
وبقيت أكدح للحياة وأنْصِبُ

أى: وبقيت أسعى سعيا حثيثا للحياة، وأتعب من أجل الحصول على مطالبى فيها.

والضمير فى قوله: ﴿فملاقيه﴾ يعود إلى الله - تعالى - ويصح أن يعود للكدح، بمعنى ملاق جزاء هذا الكدح.

والمعنى: ياأيها الإنسان إنك باذل فى حياتك جهدا كبيرا من أجل مطالب نفسك.

وإنك بعد هذا الكدح والعناء.. مصيرك فى النهاية إلى لقاء ربك، حيث يحاسبك على عملك وكدحك.. فقدم فى دنياك الكدح المشروع، والعمل الصالح.

والسعى الحثيث فى طاعته - تعالى - لكى تنال ثواب ربك ورضاه.

قال ابن كثير: وقوله: ﴿يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا﴾ أي: ساع إلى ربك سعيا، وعامل عملا **﴿فملاقيه﴾** ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر.

ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسى. عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال جبريل: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه».**

ومن الناس من يعيد الضمير على قوله **﴿ربك﴾** أي: فملاق ربك فيجازيك بعملك، ويكافئك على سعيك، وعلى هذا فكلا القولين متلازم(٣).

ثم فصل - سبحانه - بعد ذلك عاقبة هذا الكدح، والسعى المتواصل.. فقال - تعالى - : **﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه* فسوف يحاسب حسابا يسيرا* وينقلب إلى أهله مسرورا﴾**.

والمراد بالكتاب هنا: صحيفة العمل التى سجلت فيها حسنات الإنسان وسيئاته.

والمراد بالحساب اليسير: عرض الأعمال، مع التجاوز عن الهفوات، بفضل الله - تعالى - أى: الناس جميعا يكدحون فى هذه الحياة، ثم يعودون إلى خالقهم للحساب والجزاء، فأما من أعطى كتابه بيمينه، وهم المؤمنون الصادقون، فسوف يحاسب من ربه - تعالى - حسابا يسيرا سهلا، بأن تعرض أعماله على خالقه - تعالى - ثم يكون التجاوز عن المعاصى والثواب على الطاعة، بدون مناقشة أو مطالبة بعذر أو حجة.

ثم ينقلب هذا الإنسان بعد ذلك إلى أهله وعشيرته، مبتهجا مسرورا، بسبب فضل الله - تعالى - عليه، ورحمته به.

وعبر - سبحانه - عن فوز هذا الإنسان، بأنه يؤتى كتابه بيمينه، للإشعار بأنه من أهل السعادة والتقوى، فقد جرت العادة أن اليد اليمنى إنما تتناول بها الأشياء الزكية الحسنة، والباء فى قوله: **﴿بيمينه﴾** للملابسة أو المصاحبة، أو بمعنى فى.

قال الآلوسى: والحساب اليسير: هو السهل الذى لا مناقشة فيه. وفسره ﷺ بالعرض وبالنظر فى الكتاب، مع التجاوز، أخرج الشيخان عن عائشة أن النبى ﷺ قال: **«ليس أحد يحاسب إلا هلك»**. قلت يارسول الله، جعلنى الله فداك، أليس الله - تعالى - يقول: **﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾**، قال: ذلك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك».

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة - أيضا - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بعض صلاته: **«اللهم حاسبنى حسابا يسيرا»** فلما انصرف قلت له: يارسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: **«أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه»**(٤).

ثم بين - سبحانه - حال الأشقياء بعد بيانه لحال السعداء فقال: **﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا* ويصلى سعيرا﴾**. أى

وأما من أعطى صحيفة أعماله لسوادها وقبح أعمالها - بشماله من وراء ظهره وهو الكافر - والعياذ بالله - قيل تغل يمناه إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره، على سبيل الإهانة والإذلال له.

﴿فسوف يدعو ثبورا﴾ أى: فسوف يطلب الهلاك، بأن ينادى عليه بحسرة وندامة ويقول: أيها الموت أقبل فهذا أوانك، لتنقذنى مما أنا فيه من سوء.

وفى طلبه للهلاك، وتفضيله على ماهو فيه، دليل على أن هذا الشقى - والعياذ بالله - قد وصل به الحال السيئ إلى أقصى مداه، حتى لقد أصبح الهلاك نهاية أمانيه، كما قال الشاعر:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فالمراد بالدعاء فى قوله **﴿يدعو ثبورا﴾** النداء. والثبور: الهلاك، بأن يقول: ياثبوراه أقبل فهذا أوان إقبالك.

وقوله - تعالى -: **﴿ويصلى سعيرا﴾** بيان للعذاب الذى يحل به، أى: ويدخل النار الشديدة الاشتعال فيتقلب فيها، ويقاسى حرها.

وقوله - سبحانه -: **﴿إنه كان فى أهله مسرورا* إنه ظن أن لن يحور﴾** تعليل لما أصابه من سوء. أى: إن هذا الشقى كان فى الدنيا فرحا بطرا بين أهله، لا يفكر فى عاقبة، ولا يعمل حسابا لغير ملذاته وشهواته. وإنه فوق ذلك **﴿ظن﴾** أى: أيقن أنه لن يرجع إلى ربه يوم القيامة، ليحاسبه على أعماله، ويجازيه بما يستحقه من جزاء.

قال القرطبى: قوله ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ أى: لن يرجع حيا مبعوثا فيحاسب. ثم يثاب أو يعاقب. يقال: حار فلان يحور إذا رجع، ومنه قول لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه

يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

فالحور فى كلام العرب: الرجوع، ومنه قوله ﷺ: **«اللهم إنى أعوذ بك من الحور بعد الكَوْر»** يعنى: من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة..(٥).

وقوله - سبحانه -: **﴿بلى إن ربه كان به بصيرا﴾** إيجاب لما نفاه، وإثبات لما استبعده، وجملة **«إن ربه»** بمنزلة التعليل لما أفادته بلى من إبطال لما نفاه.

أى: ليس الأمر كما زعم من أنه لن يبعث ولن يرجع إلى ربه.. بل الحق الذى لا يشوبه باطل، أن هذا الشقى سيرجع إلى ربه يوم البعث والنشور، ليجازيه على أعماله، لأنه - سبحانه - كان - ومازال - عليما بأحوال هذا الشقى وغيره، إذ لا يخفى عليه - سبحانه - شىء فى الأرض ولا فى السماء.

فالمراد بالبصر هنا: العلم التام بأحوال الخلق.

ثم أقسم - سبحانه - ببعض مخلوقاته، على أن مشيئته نافذة، وقضاءه لا يرد، وحكمه لا يتخلف، فقال: **﴿فلا أقسم بالشفق* والليل وما وسق* والقمر إذا اتسق* لتركبن طبقا عن طبق﴾**.

والفاء فى قوله: **﴿فلا أقسم﴾** واقعة فى جواب شرط مقدر، وهى التى يعبر عنها بالفصيحة، و«لا» مزيدة لتأكيد القسم، وجوابه «لتركبن».

والشفق: الحمرة التى تظهر فى الأفق الغربى بعد غروب الشمس، وهو ضياء من شعاعها، وسمى شفقا لرقته، ومنه الشفقة لرقة القلب.

والوسق: جمع الأشياء، وضم بعضها إلى بعض، يقال: وسَق الشىء يسقُه - كضرب - إذا جمعه فاجتمع، ومنه قولهم: إبل مستوسقة، أى: مجتمعة، وأمر متسق. أى مجتمع على ما يسر صاحبه ويرضيه.

واتساق القمر: اجتماع ضيائه ونوره، وهو افتعال من الوسق. وهو الجمع والضم، وذلك يكون فى الليلة الرابعة عشرة من الشهر.

أى: أقسم بالحمرة التى تظهر فى الأفق الغربى، بعد غروب الشمس، وبالليل وما يضمه تحت جناحه من مخلوقات وعجائب لا يعلمها إلا الله - تعالى - وبالقمر إذا ما اجتمع نوره، واكتمل ضياؤه، وصار بدرا متلألئا.

وفى القسم بهذه الأشياء، دليل واضح على قدرة الله - تعالى - الباهرة، لأن هذه الأشياء تتغير من حال إلى حال، ومن هيئة إلى هيئة.. فالشفق حالة تأتى فى أعقاب غروب الشمس، والليل يأتى بعد النهار، والقمر يكتمل بعد نقصان.. وكل هذه الحالات الطارئة، دلائل على قدرة الله - تعالى -.

وقوله - سبحانه -: **﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾** جواب. القسم. كما سبق أن أشرنا -.

والمراد بالركوب: الملاقاة والمعاناة، والخطاب للناس، والطبق جمع طبقة، وهى الشىء المساوى لشىء آخر، والمراد بها هنا: الحالة أو المرتبة، وعن بمعنى بعد.

أى: وحق الشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق.. لتلاقن - أيها الناس - أحوالا بعد أحوال، هى طبقات ومراتب فى الشدة، بعضها أصعب من بعض، وهى الموت، وما يكون بعده من حساب وجزاء يوم القيامة.

قال الآلوسى ما ملخصه: قوله: **﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾** خطاب لجنس الإنسان المنادى أولا، باعتبار شموله لأفراده، والمراد بالركوب: الملاقاة، والطبق فى الأصل ما طابق غيره مطلقا، وخص فى العرف بالحال المطابقة لغيرها.. و«عن» للمجاوزة، أو بمعنى «بعد». والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة أو حالا من فاعل لتركبن، والظاهر أن «طبقا» منصوب على المفعولية، أى: لتلاقن حالا كائنة بعد حال، كل واحدة مطابقة لأختها فى الشدة والهول.. منها ماهو فى الدنيا، ومنها ماهو فى الآخرة.

وقرأ الأخوان - حمزة والكسائى - وابن كثير **﴿لتركبن﴾** - بفتح الباء - على أنه خطاب للإنسان - أيضا -، لكن باعتبار اللفظ، لا باعتبار الشمول.

وأخرج البخارى عن ابن عباس أنه خطاب للنبى ﷺ، أى: لتركبن - أيها الرسول الكريم - أحوالا شريفة بعد أخرى من مراتب القرب، أو مراتب من الشدة بعد مراتب من الشدة، ثم تكون العاقبة لك.. (٦).

والفاء فى قوله - تعالى - بعد ذلك: **﴿فما لهم لا يؤمنون* وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾**. لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجيب على ما قبلها، و«**ما**» للاستفهام الإنكارى. أى: إذا كان الأمر كما وضحنا لك - أيها الرسول الكريم - من أن البعث حق، ومن أن المستحق للعبادة هو الله - تعالى - وحده.. فأى شىء يمنع هؤلاء الكافرين من الإيمان، مع أن كل الدلائل والبراهين تدعوهم إلى الإيمان.

وأى: مانع منعهم من السجود والخضوع لله - تعالى - عندما يقرأ عليهم القرآن الكريم، الذى أنزلناه عليك لإخراجهم من الظلمات إلى النور.

فالمقصود من الآيتين الكريمتين تعجيب الناس من حال هؤلاء الكافرين الذين قامت أمامهم جميع الأدلة على صدق الرسول ﷺ فيما يبلغه عن ربه، ومع ذلك فهم مصرون على كفرهم وجحودهم وعنادهم.

قال الآلوسى: وقد صح عنه ﷺ أنه سجد عند قراءة هذه الآية، فقد أخرج مسلم وأبو داود والترمذى.. عن أبى هريرة قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ فى ﴿إذا السماء انشقت﴾ وفى ﴿اقرأ باسم ربك..﴾ وهى سنة عند الشافعى، وواجبة عند أبى حنيفة..(٧).

أما الإمام مالك فالرواية الراجحة فى مذهبه، أن هذه الآية ليست من آيات سجود التلاوة.

وقوله - سبحانه -: **﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾** إضراب انتقالى، من التعجيب من عدم إيمانهم مع ظهور كل الأدلة على وجوب الإيمان، إلى الإخبار عنهم بأنهم مستمرون على كفرهم، أى: ليس هناك أى مانع يمنع الكافرين من الإيمان، بعد أن قامت جميع الشواهد على صدق الرسول ﷺ، بل الحق أن هؤلاء الكافرين إنما استمروا على كفرهم بسبب عنادهم وحسدهم للرسول ﷺ على ما آتاه الله - تعالى - من فضله، وتكذيبهم للحق عنادا وجحودا.

وقوله - سبحانه -: **﴿والله أعلم بما يوعون﴾** كلام معترض بين سابقه ولاحقه، والمقصود به التهديد والوعيد.

ومعنى «**يوعون**» يضمرون ويخفون ويسرون، وأصل الإيعاء حفظ الأمتعة فى الوعاء، يقال: أوعى فلان الزاد والمتاع، إذا جعله فى الوعاء، والمراد به هنا: الإضمار والإخفاء، كما فى قوله الشاعر:

والشر أخبث ما أوعيت من زاد

أى: والله - تعالى - أعلم من كل أحد، بما يضمره هؤلاء الكافرون، وبما يخفونه فى صدورهم من تكذيب للحق، ومن جحود للقرآن الكريم، ومن معاداة للمؤمنين.

وقوله: **﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾** تفريع على قوله: **﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾**.

والتبشير: الإخبار بما يسر، والمراد به هنا التهكم بهم، بدليل توعدهم بالعذاب الأليم.

أى: فبشر - أيها الرسول الكريم - هؤلاء الكافرين المكذبين للحق، بالعذاب الأليم.

والاستثناء فى قوله - تعالى -: **﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾** التين: آية ٦، استثناء منقطع. أى: هذا هو حال الكافرين، لكن الذين آمنوا إيمانا حقا، وقدموا فى دنياهم الأعمال الصالحة، فلهم فى الآخرة أجر غير مقطوع، فقوله: **﴿ممنون﴾** مِنْ مَنَّ: إذا قطع يقال: مننت الحبل إذا قطعته، أو لهم أجر خالص من شوائب الامتنان، وهو أن يعطى الإنسان غيره عطاء، ثم يتباهى عليه به.

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا من عباده المؤمنين الصادقين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

١ - تفسير الكشاف ج٤١ ص٧٢٥.

٢ - حاشية الجمل على الجلالين ج٤ ص٥٠٨.

٣ - تفسير ابن كثير ج٧ ص٣٧٨.

٤ - تفسير الآلوسى ج٣٠ ص٨٠.

٥ - راجع تفسير القرطبى ج١٩ ص٢٧٣.

٦ - تفسير الآلوسى ج٣٠ ص٨٢.

٧ - تفسير الآلوسى ج٣٠ ص٨٣.

النص القرآنى بين التفسير ونظريات التلقى (٤)

أ. د. عبد الرحيم الكردى

إذا كان التفسير هو بحث عن المعنى فى النص القرآنى، وإذا كانت القراءة الإبداعية هى بحث عن المعنى الذى نشأ فى ذهن القارئ عند قراءة النص، فماذا عن التأويل؟

التأويل كما حدد الشيخ محمد عبده هو جعل الآراء والأفكار التى يعتنقها أصحاب المذاهب أصلا وجعل النص القرآنى فرعاً لها. فالتأويل مثل التفسير خاص بالمعنى. لكن ليس المعنى المستنبط من النص وإنما محاولة للى عنق النص كى يتوافق مع المعنى الذى سبق للمؤول أن اعتنقه من قبل خلال اتباعه للمذهب الذى ينتمى إليه.

ولذلك فإننا نجد لكل مذهب من المذاهب تأويلاخاصا به للنص الواحد، وهذا التأويل يخدم هذا المذهب دون ذاك، فهناك تأويلات للشيعة، وهناك تأويلات للمعتزلة، وهناك تأويلات للخوارج. كل حسب المذهب الذى ينتمى إليه، ومن الطريف أن هذه التأويلات كانت تالية لنشأة المذاهب الدينية ذات الأصول السياسية، وأثراً من آثارها، وليست هى السبب فى نشأة المذاهب كما يتصور البعض، بل مازلنا نقرأ تأويلات مذهبية معاصرة حول تعدد الزوجات.

على أن هناك شكلاً من أشكال التأويل لم ينشأ من تأثير المذاهب الدينية أو السياسية، بل نشأ من عوامل أخرى، مثل الاختلافات الثقافية، والتطورات الزمانية، والتحولات المكانية، هذه التأويلات لا تنتمى إلى القراءة الإبداعية للنص، لأنها تدعى أنها تبحث عن المعنى الناشئ من القراءة المعاصرة للنص فى ذهن القارئ، بل هى نوع من التأويل لأنها تدعى أنها تبحث عن المعنى الكامن فى النص، المعنى الموضوعى المطلق، فهى لا تُدَرَّس ضمن نظريات التلقى أو نظريات القارئ، وإن كانت قريبة منها إنها تفسير من زاوية معينة.

وقد نشأت فى الدراسات الغربية المعاصرة مدارس تعنى بتقنين أصول معرفية لهذا النوع من التأويل أطلق عليها «المدارس السيمولوجية» أو «مدارس العلامات» وأحياناً يطلقون عليها «علم العلامات» لأن النتائج التى أسفرت عنها جهود هذه المدارس، أصبحت من الدقة والتقنين إلى الدرجة التى أتاحت لأصحابها وصف هذه الجهود بأنها علم «من العلوم».

والأصل الذى يقوم عليه هذا العلم - إذا صح أن يسمى علماً - هو أن كل شىء فى حياة الناس له وظيفتان، وظيفة نفعية، يتعامل الناس بها فيما بينهم، ووظيفة أخرى دلالية يضيفها المجتمع على هذا الشىء. فالناس مثلاً يستعملون النار والماء والهواء والسحاب والأشجار وغير ذلك، **يستخدمونه فى مخاطباتهم أو فى رسوماتهم، أى أنهم يستخدمونه بوصفه علامة تدل على معنى معين، باعتباره رمزاً أو** إشارة إلى هذا المعنى.

ويرى السيمولوجيون، أن كل مجتمع له ثقافة محددة لابد أن يكون له منظومة متكاملة من العلامات، هذه المنظومة تتيح له التعبير عن جميع الأفكار والمشاعر والعواطف التى تدور فى هذا المجتمع بحيث تكون فيما بينها بنية معرفية تتماثل مع البنية المعرفية العميقة لهذا المجتمع.

ويرون أيضاً أن العلاقة بين العلامة (الدال) وبين المعنى (المدلول) ليست علاقة عضوية أو علاقة تقوم على المشابهة، بل هى علاقة اتفاقية، ومن ثم فإن

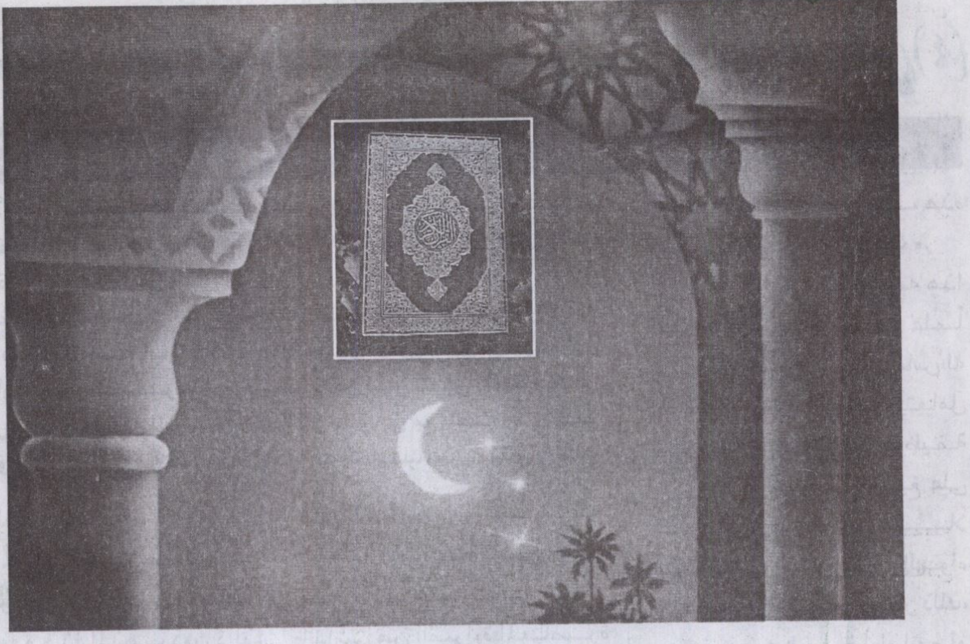

العلامة الواحدة قد تدل على شيء فى ثقافة، بينما تدل فى ثقافة أخرى على شيء آخر.

ويطلق السيمولوجيون على هذه المنظومة الكبيرة التى تجمع كل العلامات المعبرة عن المعانى فى ثقافة معينة مصطلح «نص» فهناك حسب قولهم «نص يابانى ونص صينى» و «نص عربى» أى مجموع العلامات التى يستخدمها الشعب اليابانى ومجموع العلامات التى يستخدمها الشعب الصينى والشعب العربى وهكذا.

وأن أى نص صغير سواء أكان قصة أم قصيدة شعرية أم نصاً دينياً مكتوباً حسب النظام العلاماتى اللغوى لهذه الثقافة إنما يخضع فى فهمه وتفسيره لهذه المنظومة الثقافية. فإن صورة البومة مثلاً علامة توحى بمعانى التشاؤم والخراب فى المنظومة العلاماتية العربية بينما توحى بمعانى الحكمة فى الثقافة الغربية، ومثل ذلك ألوان الثياب الأبيض والأسود وغير ذلك.

إن استخدام معطيات هذا العلم فى فهم آيات القرآن يحف به العديد من الصعوبات والمخاطر، التى تجعله يقترب من التأويل المذهبى بكل ما يحمله من عيوب . لعدة أسباب.

أولا: أن القرآن الكريم حقاً استخدم اللغة العربية نفسها التى استخدمها الجاهليون فى عصر نزوله. واستخدم أيضا المنظومة التعبيرية العلاماتية التى كان يستخدمها العرب الجاهليون، وأن العلماء العرب عندما تصدوا لتفسير القرآن الكريم كانوا بارعين حقاً، حينما حاولوا تسجيل هذه المنظومة العلاماتية عن طريق الاحتفاظ بكل بيت فى الشعر وكل خطية أو نص ينتمى إلى هذه المنظومة العلاماتية

كانت التأويلات تالية لنشأة المذاهب الدينية ذات الأصول السياسية وأثرا من آثارها وليست هى السبب فى نشأة المذاهب

ما يسمى بعلم العلامات لا يفى بمتطلبات التفسير القرآنى أو التعبير الفنى وإن كان يساعد كثيرا فى وصف التفسيرات المتعددة للنص فى العصور والبيئات المختلفة

التى أطلقوا عليها عصر الاستشهاد، لتكون مرجعاً للكشف عن دلالة هذه العلامات. فعصر الاستشهاد عندهم لم يكن خاصاً بالقواعد النحوية فقط أو الأشكال الصرفية فقط أو اللغوية، بل تشمل دلالة هذه العلامات على مدلولاتها، والاحتفاظ بها، كى تكون مرجعا دلالياً أمام كل مفسر للقرآن الكريم وللسنة النبوية.

غير أن النظر إلى النص سواء أكان النص بالمفهوم الواسع لهذا المصطلح والذى يشمل الثقافة كلها أم كان النص الذى هو مجموعة من الجمل، إن النظر إلى النص باعتباره مجموعة من العلامات المحددة التى يمكن إحصاؤها فى قوائم يختزل أشكال التعبير فى مجموعة ميكانيكية من المعانى الأولية، ولا يساعد كثيراً فى تفسير دقائق التعبير الإنسانى، فالتحليل السيمولوجى - كما تقول الدكتورة سيزا قاسم. «هو التوصل إلى الهيكل العام للنصوص، ولكنه لا يفى بجميع جوانب الظاهرة الإنسانية وبخاصة أكثر هذه الظواهر تركيباً، وهو الظاهرة الفنية، ثم تقول : «وأظن أن الوصف السيموطيقى هو فى الحقيقة وصف هيكلى ولا أعنى بهذا أنه تسطيحى أو تبسيطى، ولكنه وصف يحاول التوصل إلى بنيات أساسية مجردة إلى حد ما، وقد تكون فى بعض الأحيان مجردة من الدلالة (سيزا قاسم : القارىء والنص. العلامة والدلالة . ط المجلس الأعلى للثقافة سنة ٢٠٠٠ صد ٢٢).

والدليل على ذلك أن كلا من أبى عبيدة ومقاتل بن سليمان قد حاول جمع كل ما وقعت عليه يده من التعبيرات الجاهلية التى استخدمها القرآن الكريم وأيد كل حالة من هذه الحالات بشواهد من الشعر الجاهلى تثبت ارتباط كل شكل لغوى بدلالته التى استخدمها العرب فيه. وهى التعبيرات التى أطلق عليها أبو عبيدة مصطلح «المجاز» أى ما يجيزه العرب فى هذا الاستعمال أو ذاك وأطلق عليها مقاتل مصطلح (الأشباه والنظائر) وسماها الجاحظ (مجارى كلام العرب) على الرغم من أن هؤلاء العلماء حاولوا ذلك وبذلوا فيه قصارى جهدهم فإن المقاصد الحقيقية للآيات الكريمة تسربت من بين أصابعهم لأن إخراج معانى الآيات الكريمة حسب هذه القائمة التى أعدوها لمخارج كلام العرب جمد أوصال الصور القرآنية الجميلة فى أذهانهم، وأذهب أطياف المعانى الصادرة عنها، لأنها صور مركبة تركيباً بكراً، ولم تكن مجرد تعبيرات جزئية آلية محددة بحدود الدلالات النمطية المحفوظة عن العرب، منزوعة من شوائب الهالات المعنوية والمشاعر والأخيلة المصاحبة لكل إبداع فنى ومن ثم فإن كلمة مثل كلمة «كتب» الواردة فى القرآن الكريم، لا تتساوى مع كلمة (فرض) وكلمة (الرفث) لا يطابق معناها معنى كلمة (النكاح) وكلمة «لباس» ليست تساوى معنى «زوجة تماماً. بل لا تتساوى معانى الكلمة الواحدة فى صورتين مختلفتين فلكل كلمة ظلالها المعنوية فى كل استخدام.

إن رصد طرائق التعبير حسب هذا المنهج لمنظومة ثقافية معينة لا يكفى لإدراك الدقائق المعنوية للصور الجمالية، لأنها أكثر دقة وتعقيداً من المستوى اللغوى نفسه. فهى ليست

من البساطة بحيث تتخذ شكل العلامات أو الأيقونات التى تعمل على ميكنة الدلالة التى لا تنته إلى المعانى الثانوية وظلال المعانى التى تكمن فيها أسرار الجمال القرآنى.

ثانيا: أن العلامة الواحدة داخل الثقافة الواحدة قد يتطور الوعى بها نتيجة لتطور المعارف والعلوم، فيتطور مدلولها نفسه، وعندئذ يكون على قارىء النص فى هذه الثقافة أن يختار بين المدلول القديم والمدلول الحديث، فإذا التزم بالمدلول القديم - وبخاصة فى القرآن الكريم - تقوقع مفهومه فى إطار تاريخى محدد، لا يتلاءم مع المنظومة الفكرية المعاصرة، وإذا اختار المدلول المعاصر وقع فى دائرة التأويل التى قد تربط النص الدينى بظواهر معرفية ربما يثبت خطؤها بعد حين.

مثال ذلك أن القرآن استخدم السماء والأرض والنجوم والشهب وغير ذلك استخداماً دلالياً علاماتياً وكانت هذه الأشياء تدل على مفاهيم تتلاءم مع معارف الإنسان العربى وقت نزول القرآن الكريم، لكن قارئ القرآن اليوم يفهم من السماء والأرض والنجوم غير الدلالة السابقة لأن وعيه يمتد اليوم إلى أبعاد ثقافية علمية بخلاف المنظومة العلاماتية التى تعتمد على الثقافة العربية فى العصر الجاهلى.

وقد انساق كثيرون فى اتجاه استخدام المنظومة الحديثة، أمام عدم استطاعتهم إلغاء وعيهم العلمى بالدقائق التى وجدوها متطابقة مع العلامات الموجودة فى القرآن الكريم وبخاصة فيما يتعلق بأعضاء الإنسان وأطوار خلقه وبأجزاء الكون وحركته. وعدوا عملهم هذا نوعاً من التفسير الدقيق للقرآن الكريم، ولقى تفسيرهم هذا قبولاً من الناس. وحذر آخرون - من أمثال أمين الخولى - من الانسياق وراء هذا النوع من التفسير لأنه يربط المعانى الخالدة للقرآن الكريم بنظريات علمية ربما يثبت خطؤها فى المستقبل، أو ربما يظن بعض الناس أن نتائجها جزء من المعطيات الدينية فيرفضون كل نظرية تبطلها، مما يؤدى إلى الجمود العلمى والفكرى.

ثالثا: أن العلامات الواردة فى النص تعد مستوى أرفع من المستوى اللغوى، فهى ليست مرتبطة بمعانى الكلمات التى قد تتغير مدلولاتها من عصر إلى آخر، مثلما تغيرت كلمات: النفاثات من معنى الساحرات إلى معنى الطائرات والسيارة من معني القافلة إلى معنى العربة. وهذا التغير فى معانى الكلمات لا يدخل فى إطار العلامة التى هى الشىء نفسه أى صورته وهيئته فى أذهان الناس . ومدلول هذه الصورة وقد دخل فى الإسلام شعوب كثيرة تنتمى إلى ثقافات متعددة مما جعل الناس يتفاوتون - حتى فى العصور المتقدمة - فى فهم مدلولات هذه العلامات، فهذا ابن الراوندى الملحد مثلاً لا يستسيغ وصف أنهار الجنة بأنها لبن لأنه حسب قوله - لا يشتهيه إلا جائع، ويقول أيضا إن الزنجبيل ليس من لذيذ الأشربة كل ذلك يبين أن الاعتماد على هذا العلم الذى يسمى بعلم العلامات لا يفى بمتطلبات التفسير القرآنى أو التعبير الفنى وإن كان يساعد كثيراً فى وصف ظاهرة التفسيرات المتعددة للنص القرآنى فى العصور المختلفة وفى البيئات المختلفة.

وإن هذا العلم مثله فى ذلك مثل نظريات التلقى إنما ظهر فى الغرب لتلبية مطالب نصية تنتمى إلى ثقافات غير الثقافة العربية الإسلامية التى لها خصوصيتها ولها مقوماتها، وتتحلى النصوص الدينية المنزلة بلغتها بسمات لا يمكن لهذه النظريات الوافدة أن تدركها.

فهل نشأت فى الثقافة العربية جهود تفى بمطالب تفسير النص القرآنى بأدوات منضبطة فى التحليل واستنباط المعنى إلى الحد الذى يمكن أن يطلق عليها مدرسة؟ أو على المدى الذى يمكن البناء عليها لتطوير مدرسة عربية معاصرة فى قراءة النصوص أو تفسيرها؟

شكر النعمة
فى القرآن الكريم والسنة النبوية (٢)

فضيلة الشيخ: فوزى فاضل الزفزاف

شكر الله على نعمه، والاعتراف بفضله، والامتثال لتنفيذ أوامر الله واجتناب نواهيه، والالتزام بطاعته، واستخدام نعم الله فيما يرضى الله، يكون ذلك سبباً فى جزاء الشاكرين بدوام نعم الله واستمرارها عليهم، بل وفى زيادتها ونمائها، ويكون سبباً فى نجاتهم من غضب الله ونقمته وعذابه الذى ينزله على الجاحدين لنعمه، يقول الله تعالى: ﴿نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر﴾ (سورة القمر: ٣٥).

وعندما أنعم الله - سبحانه وتعالى - بنعمه الكثيرة على سيدنا موسى عليه السلام.. التى منها أنه اصطفاه واختاره من بين الناس الموجودين فى زمانه برسالته، وبتكليمه لله - تعالى - بغير واسطة: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ (سورة النساء: ١٦٤)، طلب الله من سيدنا موسى أن يقابل هذه النعم العظيمة بالشكر، يقول الله - تعالى: ﴿قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾ (سورة الأعراف: ١٤٤).

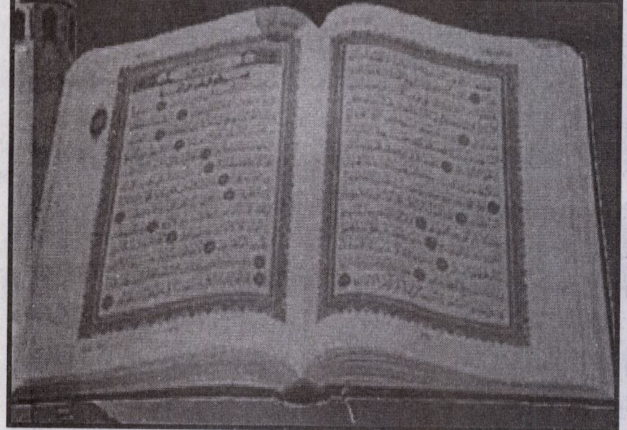

ولأن دوام النعمة واستمرارها، بل وزيادتها ونمائها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشكر الله عليها والاعتراف لله بفضله، واستعمال هذه النعم فى الطاعة وفيما يرضى الله.. ذكَّر سيدنا موسى قومه بنعم الله الكثيرة عليهم، وأن الله نجاهم من ظلم وقهر فرعون وحاشيته وأتباعه الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، ويقتلون أبناءهم الذكور، ويبقون على الإناث فقط إذلالا لهم.. وطلب من قومه مقابلة هذه النعم بشكر الله، والاعتراف بفضله عليهم، وبين لهم أن تقديم الشكر لله على نعمه يكون سبباً لزيادتها ونمائها... وحذرهم فى الوقت نفسه من سوء عاقبة جحود نعم الله، واستعمالها فى غير ما يرضى الله، وأن ذلك يكون سبباً لعذاب الله يوقعه عليهم عقابا لهم.. وأوضح سيدنا موسى لقومه أن شكرهم للنعمة أو جحودهم لها لا ينفع ولا يضر الله تعالى فهو غنى عن العالمين وإنما أثر ذلك يعود عليهم هم يقول الله تعالى: **﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم* وإذ تأذن ربكم**

لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد* وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فإن الله لغنى حميد﴾ (سورة ابراهيم: ٦ - ٨).

وفى الحديث القدسى عن النبى ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**... يا عبادى إنكم لم تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكى شيئا، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا فى صعيد واحد، فسألونى، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندى، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادى، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**» ولأن شكر الله على نعمته بإخلاص، والاعتراف بفضله على يقين، من الصفات الحسنة التى تلقى القبول والرضا من الله - تعالى -، أثنى الله - عز وجل - على سيدنا نوح عليه السلام، لأنه كان كثير التضرع والدعاء لله فى السراء والضراء، وكان ممن يشكرون الله على نعمه، ويحمدونه على فضله، فضرب الله به المثل لقوم سيدنا موسى، لإثارة عزائمهم نحو الإيمان، وحثهم على الإقدام على فعل الأعمال الصالحة، وليتخذوه قدوة حسنة فى شكر الله على نعمه، يقول الله - تعالى -: **﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا* ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا﴾** (سورة الإسراء: ٢، ٣)..

ففى الآية الكريمة إثارة عزائم بنى اسرائيل نحو الإيمان بالله، والإقدام على العمل الصالح، وفيها تنبيههم إلى نعمة الله عليهم حيث جعلهم من ذرية أولئك الصالحين الذين آمنوا بنوح عليه السلام فأنجاهم الله - تعالى - مع نبيهم من الغرق، وحضهم على تقديم الشكر لله على نعمه عليهم، اقتداء بنوح عليه السلام لأنه كان من عباد الله الشاكرين لنعمه، المستعملين لها فيما خلقت له، المتوجهين إلى الله بالتضرع والدعاء فى السراء والضراء..

ولقد خص الله - سبحانه وتعالى - بعض الأنبياء بنعم جليلة قصرها عليهم... فمنح بفضله وإحسانه سيدنا داود علم الزبور، وعلمه صناعة الدروع، ومنح بكرمه سيدنا سليمان علم منطق الطير، والحكم السديد بين الناس، فقابلا هذه النعم بالاعتراف بها، ودعاء الله أن يلهمهما المداومة على شكره، والتوفيق إلى العمل الصالح الذى يرضاه، وأن يمنع عنهما كل ما يؤدى إلى كفر هذه النعم، وأن يحسن خاتمتهما بقبولهما ضمن عباده الصالحين الذاكرين الشاكرين، يقول الله - تعالى -: **﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين* وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء إن هذا لهو الفضل المبين* وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون* حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون* فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين﴾** (سورة النمل: ١٥ - ١٩).

وكان رسول الله ﷺ لا يفتر عن شكر الله بالقول والعمل، ليلا ونهارا، فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: **«كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر قدماه «أى تتشقق»، فقالت له عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة، أفلا أكون عبدا شكورا»**

وإظهار نعمة الله والحديث عنها والإخبار بها مطلوب للاعتراف بفضل الله، وقد أقر الله نبيه محمدا ﷺ بذلك، يقول الله - تعالى -: **﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾** الضحى: آية ١١..

كما أمر الله بنى اسرائيل بذكر نعم الله عليهم، والقيام بأداء حقوقها، والإكثار من الحديث عنها، والإعلان عن شكرها بالقبول والعمل، يقول الله - تعالى -: ﴿**يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون**﴾ (سورة البقرة: ٤٠).

والرسول ﷺ يحض على تقديم الشكر لمن يقدم المعروف والعون والمساعدة، فعن النعمان بن بشير - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «**من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب**».

وإذا كان ذلك مطلوبا لمن يقدم الفضل من البشر، فمن باب أولى تقديم الشكر لله - جل وعلا - على نعمه وآلائه التى لا تعد ولا تحصى..

وقصة الأبرص والأقرع والأعمى التى يحكيها لنا رسول الله ﷺ فيها العبر والعظات لأولى الألباب، وترشدنا إلى أن نعم الله على عباده هى اختبار وابتلاء وامتحان لهم، فمن وفق فى الاختبار واجتاز الامتحان بنجاح نال رضاء الله، واستحق دوام تلك النعم وزيادتها... ومن تعثر فى الاختبار ورسب فى الامتحان حرم رضا الله واستحق زوال تلك النعم.

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن ثلاثة فى بنى اسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس، فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا، قال الملك: فأى المال أحب إليك؟ قال: الإبل - أو قال البقر، شك اسحاق فى الأبرص والأقرع، قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر - قال: فأعطى ناقة عشراء، فقال الملك: بارك الله لك فيها.. قال: فأتى الأقرع فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطى شعرا حسنا، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطى بقرة حاملا، فقال الملك: بارك الله لك فيها... قال: فأتى الأعمى فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلى بصرى فأبصر الناس، قال: فمسحه فرد إليه بصره، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطى شاة والدا.. فأنتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته «السابقة» فقال: رجل مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ لى اليوم بالله ثم بك، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلّغ عليه فى سفرى، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأنى أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال - الملك -: إن كنت كاذبا فصيّرك الله ما كنت، قال: وأتى الأقرع فى صورته «السابقة» فقال له مثل ما قال للأبرص، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال - الملك - إن كنت كاذبا فصيرك الله ما كنت، قال: وأتى الأعمى فى صورته وهيئته «السابقة»، فقال: رجل مسكين وابن سبيل وانقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلىّ بصرى، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجْهدُك اليوم شيئا أخذته لله «أى: لا أشق عليك برد ما تأخذه أو تطلبه من مالى لله»، فقال - الملك - أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رُضى عنك وسُخط على صاحبيك**» البخارى ومسلم.

اللهم اكتبنا من الشاكرين لنعمك، المعترفين بفضلك، الخاضعين لعزتك، المسلمين لقدرك، الراجين لعفوك، السائلين لكرمك، الطامعين فى رحمتك، المستظلين بظلك يوم لا ظل إلا ظلك..

الإرادة الإنسانية والقضاء والقدر

أ.د. محمود حمدى زقزوق

لقد خلق الله الإنسان وزوده بكل القوى والملكات التى تساعده على أداء دوره المنوط به فى هذه الحياة وهو إعمار الأرض وصنع الحضارة فيها ونشر الأمن والسلام فى أرجائها.

وعلى رأس الملكات التى أنعم الله بها على الإنسان نعمة العقل الذى به يميز الإنسان الخير من الشر والنافع من الضار والحق من الباطل. وبدون العقل أو بدون استخدامه لايمكن للإنسان أداء أى دور يفيد الحياة والأحياء.

لكن العقل إذا كان يقوم بدور المشرع والمخطط لحياة الإنسان فإنه فى حاجة إلى أداة تكون مهمتها التنفيذ لما يراه العقل الإنسانى محققا لسعادة الإنسان.

القدرة على التغيير إلى الأفضل لن تسقط علينا من السماء ولكن بالإرادة التى تملك هذا التغيير

وهذه الأداة هى الإرادة الإنسانية التى تقوم بالمهمة التنفيذية، لكن الإرادة الإنسانية ليست مجرد أداة وإنما هى إرادة حرة فى مقدورها أن تستجيب لنداء العقل الإنسانى وفى مقدورها أيضاً أن ترفض وتفعل نقيض مايريد.

وهذا أمر واقع يستطيع كل إنسان أن يلحظه فى نفسه، فالعقل لايعمل وحده فى تسيير سلوك الناس فهناك بالإضافة إلى ذلك رغبات متنوعة وشهوات وأهواء تحاول فرض نفسها على توجهات الناس، فالصراع مستمر بينها وبين العقل.

ومادامت الإرادة حرة فى أن تفعل وألا تفعل فإن السؤال المهم فى هذا الصدد هو: هل لحرية الإرادة حدود تقف عندها؟ والسؤال الأهم هو: ما طبيعة العلاقة بين الإرادة الإنسانية والإرادة الإلهية أو القضاء والقدر؟

إنه مما لاشك فيه أن هذه مشكلة معقدة شغلت الفكر الإنسانى بصفة عامة والفكر الدينى بصفة خاصة منذ فجر التاريخ ولاتزال تشغل أذهان الكثيرين من الناس من مختلف الأديان.

ويذهب كثيرون ممن يريدون أن يريحوا أنفسهم من عناء البحث والتفكير فى هذه القضية إلى أن الإرادة الإنسانية ليست حرة، فالإرادة الإلهية مطلقة ولاتحدها حدود. وقد وضع الله لهذا الكون كله بما فيه الإنسان خطة سيره وبرنامج عمله. وهذا يعنى أن الإنسان مجبر على السير فى إطار الخطة الإلهية ولايستطيع أن يحيد عنها أو يتصرف تصرفاً يخالفها، إنه - كما يزعمون - كالريشة فى مهب الريح تميلها حيث تميل.

فكل شىء مقدر ومكتوب على البشر ولا حيلة لهم فى رده أو مواجهته ويتردد هذا الاتجاه حتى فى الأغانى الشعبية مثل (المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين) وماشابه ذلك، والذين اتجهوا هذا

الاتجـاه يطلق عليـهم مـصطلح أصحاب عقيدة الجبر أو الجبريين: فـالإنسان لا حـول له ولا قـوة وكل شىء قـدره الله فى الأزل ولاقـبل لأحد بمخالفة القضاء والقدر. ألم يقل القرآن الكريم: **﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾** الإنسان: آية ٣٠.

ومن الواضح أن هذا الاتجـاه ينبنى على فـهم خاطئ للقـضـاء والقدر ومن شـأنه أن يشل حـركـة الإنسان ويعطل طاقـاته البـدنيـة والعقلية ويجعله يركن إلى التواكل فى كل شىء.

وحـقيـقـة الأمر أننا نشـعر فى نفوسنا بما لنا من حرية الاختيار فى أقـوالنا وأفـعـالنا. ولولا أن إرادة الإنسان حرة فى اختيار الخير والشر لكانت التكاليف الأخـلاقـيـة والأمر والنهى ضـربا من العـبث، ولما كـان هناك معنى لما جاءت به الأديان من الثـواب والعـقـاب والمدح والذم. فالحرية شرط أساسى لكل الأفعال الاخلاقية ومايتعلق بها من مقاصد ونيات ومواقف إرادية.

ولا يمكن أن نتـحـدث عن أخلاقيات إلا إذا كان الإنسان يتمتع بالحرية التى تجعله قادراً على عمل الخير وترك الشر أو العكس. ولو لم نكن أحراراً فى الاختيار بين الخير والشـر فـلا يمكن أن نحـاسب على تصرفاتنا كـما لا يمكن أن نمدح أو نلام عليها.

وعلى كل حـال فـإن الحـرية ـ والحرية الواعية ـ هى الأساس الذى ترتكز عليـه الأخلاق، ولو لم تكن هناك حـرية لما أمكن أبدا تحديد المسئولية ولما كان هناك فعل يمكن أن نقـول عنه إنه فعل أخـلاقى وفعل آخر نصفه بأنه فعل غير أخلاقى.

ولانريد هنا أن ندخل فى تفـاصـيل الخلاف العـريض الذى ثار بين أصـحـاب الجبـر وأصـحـاب الاخـتـيـار، لكننا نود أن نلفت النظر فحسب إلى أن الله ـ سبحانه وتعـالى ـ قـد خلق نوعين من المخلوقـات أحدهما مسخر لا إرادة له ولا اختيار وليس أمامه إلا الطاعة والامتثال، ويتمثل هذا النوع فى كل مخلوقات الله عدا الإنسان.

أمـا النوع الثـانى وهو الإنسـان فـإنه مـخلوق مكلف، والتكليف مـسـئـوليـة، والمسئولية لاتقوم إلا على دعامة من الحرية فى الفعل أو الترك حتى فى أمور العقيدة ـ كـمـا يقـول القـرآن الكريم ـ **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شـاء فليكفر﴾** الكهف: آية ٢٩، ويترتب على ذلك بطبيعـة الحال قضية الثواب والعـقـاب التى يشـير إليها القـرآن الكريم فى قوله: **﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾** فصلت: آية ٤٦.

صحيح أن الله يعلم كل ماسيقوم به كل فرد من خيـر أو شـر، ومن إيمان أو كفـر، لكن علم الله هنا ليس علم إكراه على الفعل أو التـرك، وإنما هو علم أزلى كـاشف بما سيقع من هذا الشخص أو ذاك، أمـا وقوع الفعل نفسه أو عدم وقوعه فهو فى أساسه من صميم حرية الشـخص نفسـه وليس فى هذا مايطعن فى القضاء والقدر من قريب أو من بعـيد، فكل شىء قـد قـدره الله فى الأزل، وهذا أمـر لا جـدال فيـه، لكن خلق الإنسان بإرادة حرة، هو أيضاً من بين ما

يحرص الإسلام على أن يكون المسلم لبنة إيجابية فى بناء المجتمع لا يتواكل ولا يكون سلبيا

لولا أن إرادة الإنسان حرة فى اختيار الخير والشر لكانت التكاليف الأخلاقية ضربا من العبث

قدره الله فى الأزل. وهذه نقطة فى منتهى الأهمية لإدراك عدم وجود أى تناقض بين القضاء والقدر وحرية الإرادة الإنسانية.

وفى واقع حياتنا العملية نعترف جميعا بأثر التربية والتثقيف والتهذيب فى تغيير سلوك الإنسان، كما أننا نضع قوانين ونعاقب المسىء ونكافئ المحسن، فإذا كان الأمر هو أن الإنسان مجبر لا حرية له، ولا إرادة ولا اختيار فليس هناك - إذن - أى داع للتربية والتهذيب أو الوعظ والإرشاد أو وضع القوانين أو الثواب والعقاب، لأن ذلك كله يفترض أن هناك ذاتا لها إرادة حرة وأنها قادرة على الاستجابة أو عدم الاستجابة.

والقول بالجبر فيه سد لجميع منافذ الأمل فى حياة الإنسان، وبدون الأمل لا يستطيع الإنسان أن يتقدم فى حياته أو يتطور فى معارفه، بل إنه يتجمد ويتقوقع وبذلك تقف الحياة ويقنع الناس بالركون إلى التواكل والاستسلام.

وقد أعطانا الدين الأمل وغرس فى نفوسنا الثقة فى القدرة على التغيير إلى الأفضل، مبينا لنا أن هذا التغيير لن يسقط علينا من السماء، وإنما يتعلق أولا بإرادتنا ذاتها التى تملك هذا التغيير وهل هناك فى هذا الصدد أصدق من هذا القانون الإلهى الثابت: **﴿إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** الرعد: آية ١١.

فقد أسند الله - سبحانه وتعالى - التغيير للإنسان كما أسند إليه تزكية النفس أو إفسادها فى قوله تعالى **﴿قد أفلح من زكاها* وقد خاب من دساها﴾** الشمس: الآيتان ٩، ١٠.

وقد كان الشيخ محمد عبده من أشد المحاربين لعقيدة الجبر لأنها تقوم فى واقع الأمر على إلغاء شخصية الإنسان وهى عقيدة تتساوى فى ذلك مع التقليد الممقوت الذى يلغى عقل الإنسان، فالجبرى والمقلد كلاهما تقوم حياته على الصدفة وكلاهما يتهاون فى ترك مجال الحياة لغيره فى حين أن الإسلام يريد أن يكون المؤمن لبنة إيجابية فى بناء المجتمع لا يتواكل ولا يكون سلبياً فالسلبيون أجدر بهم - كما يقول الشيخ - أن يتحولوا من عالم الوجود إلى عالم العدم.

ويصحح الشيخ محمد عبده الفكرة الخاطئة عن القضاء والقدر قائلا:

الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرد من شناعة الجبر تتبعه صفة الجرأة والإقدام وخلق الشجاعة والبسالة ومن هنا فإن ربط عقيدة الجبر بالقضاء والقدر يعد من قبيل الربط بين النقيضين.

إن الأمر الذى ينبغى أن يوضع فى الاعتبار عند بحث هذه القضايا الشائكة أنه لايجوز أن نقتطع بعض آيات من القرآن الكريم من سياقها لنبرهن بها على صحة هذا الرأى أو ذاك، وإنما ينبغى أن نفهم كل الآيات التى تتحدث فى الموضوع الواحد لندرك أبعادها ونعى ما ترمى إليه بالإضافة إلى تحكيم عقولنا فى فهم النصوص حتى لانضل السبيل وقد حذرنا القرآن الكريم من أن نؤمن ببعض الآيات ونتجاهل الآيات الأخرى فى قوله: **﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾** البقرة: آية ٨٥.

نموذج رائع من المقال الأدبى

مقال من وحى القلم

تأليف الأستاذ: مصطفى صادق الرافعى
عرض أ. د/ محمد رجب البيومى

قلت فى بحث كتبته عن الأستاذ مصطفى صادق الرافعى من قبل[1].

«تستطيع أن تجد لكل أديب شبيهاً يماثله فى السابقين أو المعاصرين، ولكنك لاتستطيع أن تجد لمصطفى صادق الرافعى فى نثره الشاعرى هذا الشبيه إذ كان الرجل نسيجا وحده دون خلاف.

إذا طلبت للرافعى شبيها يحاكيه فاترك الإنسان إلى غيره من مظاهر الطبيعة لتجد للرافعى هذا التشبيه المنشود، هل رأيت الرعد المجلجل الذى يأخذ عليك سمعك وشعورك حين يدوى فى الفضاء، هكذا يكون الرافعى حين يزأر غاضباً لحرمة تنتهك، أو معصية تذاع!

هل رأيت الزلزال المدمر، يبعث اللهب ويرمى بالشواظ، هكذا يكون الرافعى حين يقف أمام أعداء الإسلام ليرجمهم بالنقد القاتل، ويسحقهم بالصاعق المبيد؟

ثم هل رأيت النسيم الهادئ يرف على الروض الزاهر فيحمل عبيره الفواح إلى النفوس يشرح به الصدور ويمتع به الأحاسيس! هكذا يكون الرافعى إذا رق فى عتاب، أو عذب فى مناجاة، أو حنَّ إلى غائب حبيب. ثم هل رأيت النمير العذب يترقرق به الجدول الصافى، فتنهل منه شراباً لذيذاً لرشف حلو الوقع فى اللهاة والصدر، هكذا يكون الرافعى إذا روى حديثاً عن السلف الصالح يفيض بالعبرة الواعظة ويدعو إلى القدوة الحسنة، عن هدى وإيمان!

هذه هى أشباه الرافعى حين تتطلب له الشبيه فى دنيا الكتابة والكاتبين!

هذا ما قلته فى بحث لى كتبته من قبل، وقد أردت اليوم أن أكتب عن كتابه «وحى القلم» فتعاظمنى أن يكون هذا السفر الرائع فى دنيا التصوير الأدبى الخلاب مجالاً لمقال واحد! فرأيت أن آخذ منه مقالاً واحداً تدور حوله الأحاديث ليكون مطلع القصيدة من معلقة نادرة الأبيات، وأنا معذور حين أتجه هذا الاتجاه، وقد برع الرافعى فى أحاديثه الدينية عن كبار الأئمة من رجال السلف، فتحدث عنهم حديثاً يقرؤه من عرف سيرة هؤلاء، فيجد تصويراً لهم لم يقع فى خاطره من قبل، ويجد النبتة الصغيرة التى يعرفها فى كتب التراجم والطبقات قد صارت دوحة زهراء مورقة. تحفل بالثمر اللذيذ، ويصدح فوقها الطير، ولن آخذ مقالى مما كتبه عن هؤلاء العظام، أمثال الحسن البصرى وسعيد بن المسيب وعامر الشعبى والعز ابن عبدالسلام، وابن دقيق العيد وغيرهم، لأن مواقفهم الرائعة قد تكون باعثة هذا الإلهام المتدفق فى أسلوب الرافعى وسراً من أسرار جاذبيته الكبرى، ولكنى أختار موضوعاً مألوفاً نراه عشرات المرات فى حياتنا حتى لنصفه الوصف الذى لايترك

شاردة أو واردة من محسوسة المشاهد، هذا الموضوع المألوف المتن نقرأ عنه للرافعى فنجد مالم يطرأ على تصور إنسان، لأن الرجل ذا الخيال الواثب قد قفز به خياله إلى آفاق لايحلق فيها سواه، حتى أتى بأعجب وأبدع وأغرب مايقال!

كلنا قد شهد جلوة العروس ليلة زفافها، شهد المنصّة المحفوفة بالزهر، وفوقها تاج من الورد النضير وفيها العروسان يأتلقان ككوكبين نيِّرين، ومن فوقهما الثريات الكهربائية تملأ المكان برائع الضوء، وقد وفدت الأوانس والأتراب فى أبهج الحلل مشرقات اللمح والحسن يشاركن فى هذا المحفل فزدنه ضياء وبريقا، كما جلست فتاة صغيرة. جميلة أنيقة فى أسفل المنصة فأضافت معنى الأبوة المنتظرة عن قريب.

كلنا قد رأينا ذلك فى أرقى مناظره وأبدعها حتى ليستطيع كل أب أن يهيئ هذا المنظر الرائع متى توفرت دواعيه، فأدواته حاضرة وعناصره مهيأة، ولكن هذا المشهد قد جلاه الرافعى بقلمه حين زفت ابنته الحبيبة إلى قرينها وجلست معه فى منصة الجلوة، فكتب مقالاً تحت عنوان (عرش الورد) لايكتبه إلا الرافعى الكاتب، ولايستطيع أن يحلله مبيناً لوامح العبقرية فى تصويره غير الرافعى الناقد وحسبى أن أقدمه الآن موجزاً للقارئ ليغنى بنفسه عن كل شرح، إذ كل شرح يتضائل من حقيقته لأنه لايبلغ مداه البعيد!

بدأ الرافعى مقاله بأن جعل الحفل حلما خرج من النوم إلى اليقظة فقال[٢] «كانت جلوة العروس كأنها تصنيف من حلم توافت عليه أخيلة السعادة، فأبدعت إبداعها فيه حتى إذا اتسق وتم، نقلته السعادة إلى الحياة فى يوم من أيامها الغردة التى لايتفق فيها فى العمر الطويل إلا العدد القليل، خرج الحلم السعيد من تحت النوم إلى اليقظة، وبرز من الخيال إلى العين، وتمثل قصيدة بارعة جعلت كل ما فى المكان يحيا حياة الشعر، فالأنوار نساء والنساء أنوار، والأزهار أنوار ونساء والموسيقى بين ذلك تتمم من كل شىء معناه، والمكان ومافيه نغم فى نغم وسحر فى سحر.

هذا هو الحلم الذى انتقل من النوم إلى اليقظة، فماذا عن الجلوة نفسها؟ أهى مما صنع البشر أم أنها فوق ما يصنع البشر لأنها هبطت من السماء، ولم تأت من عالم الأرض، إنها كما قال الرافعى:

«رأيت كأنما سحرت قطعة من سماء الليل فيها دارة القمر، وفيها نثرة من النجوم الزهر، نزلت فحلت فى الدار، يتوضحن ويتألقن من الجمال والشعاع، وكأنما سحر الربيع فاجتمع فى عرش أخضر قد رصع بالورد الأحمر وأقيم فى صدر البهو ليكون منصة للعروس، وقد نسقت الأزهار فى سمائه وحواشيه على نظمين، منها مفصل ترى فيه من الزهرتين من اللون الواحد زهرة تخالف لونهما، ومنها مكدس بعضه فوق بعض من لون متشابه أو متقارب فبدا كأنه عش طائر من طيور الجنة أبدع فى نسجه وترصيعه بأشجار سقى الكوثر أغصانها».

فالوصف الحسى للزهر المتناسق يقترن بصورة خيالية لعش طائر ملكى من طيور الجنة رصع بأشجار لم يسقها ماء النيل ولكن ماء الكوثر قد وفد إليها من الجنة فرويت منه حتى أزهرت!

وقامت فى أرض العرش تحت أقدام العروسين ربوتان من أفانين الزهر المختلف لونه، يجملها خمل من ناعم النسيج الأخضر على غصونه اللدن تتهافت من رقتها ونعومتها»، أما تاج المنصة الوردى فقد قال عنه الكاتب المصور:

وعقد فوق هذا العرش تاج كبير من الورد الناضر كأنما نزع من مفرق ملك الزمان الربيعى، وتنظر إليه يسطع فى النور بجماله الساحر، سطوعا يخيل إليك أن أشعة الشمس التى ربت هذا الورد لاتزال عالقة به، وتراه يزدهى جلالا، كأنما أدرك أنه فى موضعه رمز مملكة إنسانية جديدة، تألفت من عروسين

كريمين، ولاح لى مراراً أن التاج يضحك ويستحيى ويتدلل كأنما عرف أنه وحده بين هذه الوجوه الحسان، يمثل وجه الورد.

إن قول الرافعى إن ورد التاج الذى ربته أشعة الشمس فى مغرسه، لم تفارقه الشمس فى هذه الجلوة، بل علقت به فازدهى جلالا يمثل وثبة تصويرية نادرة، فإذا كان هذا التاج يدرك أنه رمز لمملكة إنسانية جديدة تألفت من عروسين كريمين، فقد عرف سر جماله كما عرف أنه بين الوجوه الحسان، وهى عند الإنسان تفوق الورد فى تأثيرها الخالب قد زاد قدرا وبهاءً عليها! لأنه وحده سر الجمال! يخيل إلى أن للرافعى حواس أخرى تساعد الحواس المعروفة، وقد جعلت من النظر واللمس والشم والسمع والذوق أشياء أخرى يدرك بها فوق مايدرك الناس، وإلا فما الذى جعل أشعة الشمس تلازم الورد فى الليل لا فى النهار وما الذى جعل التاج يدرك أنه رمز لمملكة جديدة ستظهر عن قريب! ولماذا ضحك ورد التاج حتى بز وجوه الحسان وهن ماهن أليست حواس الكاتب الكبير فوق حواس القراء والكاتبين! أما الجمال حقا ففى قول الرافعى (وتدلت على العرش قلائد المصابيح، كأنها لؤلؤ تخلّق فى السماء لا فى البحر، فجاء من النور لا من الدر وجاء نوراً من خاصته أنه متى استضاء فى جو العروس أضاء الجو والقلوب معاً. هذه لفتات روحية عذبة. وما المظاهر الحسية للنور واللؤلؤ الا وثبة من وثبات هذه الروح المحلقة التى نقلت النور من العيون إلى القلوب، فأصبح لها إنسان باصر يتمتع ويسحر ويتيه!

أما أتراب العروس وهن ماهن فقد كن حاشية رائعة للعروسين حين جلسا جلسة كوكبين حدودهما النور والصفاء «وأقبلت العذارى يتخطرن فى الحرير الأبيض كأنه من نور الصبح. ثم وقفن حافات حول العرش حاملات فى أيديهن طاقات من الزنبق تراها عطرة بيضاء ناضرة حييَّة كأنها، عذارى مع عذارى وكأنما يحملن فى أيديهن من هذا الزنبق الغض معانى قلوبهن الطاهرة، هذه القلوب التى كانت مع المصابيح، مصابيح أخرى فيها نورها الضاحك إن هذا التصوير الحى لدى الرافعى نجد أمثاله عند من؟ عنده وحده فيما أبدع من آثار نادرة نجدها فى كتب غير وحى القلم، تحمل عناوين، أوراق الورد، والسحاب الأحمر وحديث القمر، ومزية وحى القلم على هذه وغيرها كالمساكين ورسائل الأحزان أن الرافعى فى وحى القلم قد رأف بالقارئ لأنه يكتب المقال فى صحيفة أسبوعية قد يقرؤها من لايستطيع اللحاق به فمن حقه عليه أن يقدم له ما يمكن أن يرتقى إليه، أما هذه الكتب فليست ملكاً لكل قارئ إذ لا يتجه إليها غير من يعرف سحر الرافعى ورمزه وإيحاءه وإيغاله فى الحلم البعيد، وهو بهذه المعرفة مضطر إلى أن يصبر ويصابر حتى يبلغ كثيرا مما يريد!

أما وصف الطفلة الصغيرة التى جلست تحت أقدام العروسين فينقص منه أن نفسده بالشرح الشاحب الكليل ولكننا ننقله كما رواه الرافعى فى قوله:

«واقتعدت درج العرش تحت ربوتى الزهر، ودون أقدام العروسين طفلة صغيرة» كالزهرة البيضاء تحمل طفولتها، فكانت من العرش كله كالماسة المدلاة من واسطة العقد، وجعلت بوجهها الزهر تماما وكمالا حتى ليظهر من دونها كأنه غضبان منزو لايرى وكان ينبعث من عينيها فيما حولها تيار من أحلام الطفولة جعل المكان بمن فيه كأن له روح طفل بغتته مسرة جديدة، وكانت جالسة جلسة شعر تمثل الحياة الهنيئة المبتكرة لساعتها، ليس لها ماض من دنياها، ولو أن مبدعاً افتن فى صنع تمثال للنبتة الطاهرة وجىء به فى مكانها، وأخذت هى فى مكانه لتشابها وتشاكل الأمر، وكان وجودها على العرش دعوة للملائكة كى تحضر حفل الزفاف وتباركه وكانت بصغرها الظريف الجميل تعطى لكل شىء تماماً فيرى أكبر مما هو وأكثر

من حـقـيـقـتـه، كـانت النقطة التى استعلنت فى مركز الدائرة ظهورها على صـغـرها هو ظهـور الإحكام والوزن والانسجام فى المحيط كله».

بهذا النص النثرى المبدع، تطامن الشعـر فى حـضـرة النثـر، وأثبت الرافعى أنه شاعر شعر فى إبداعه النثرى شاعـر يمد نظره إلى الغيب الممتد قبل أن يمد بصره إلى المشاهد الملموس، وإلا فـمن كـان يدرك أن الطفلة الطاهرة كـان وجـودها على العـرش دعوة للمـلائكة كى تحـضـر حـفل الزفـاف وتباركـه غـيـر بصـر شـفـاف ناقـد هو بصـر مـصطفى صـادق الرافعى! لقد كـدت أقـول بالجلاء البصرى الذى يتحدث عنه من يتحدثون على عالم الروح فيرون مالا يراه الناظرون.

هذا بعض مـا قـال فى وصف المشهد الساحر أما أثره بعد ذلك فى نفس الكاتب الوالد الحنون فـهـو ماعبر عنه فى قوله (عرش الورد كان جديداً عند نفسى على نفسى، وفى عاطفتى على عاطفتى، نزل صباح يومه على نفسى بروح الشمس، وجاء مساء ليلته لقلبى بروح القمر، وكنت عنده كـالسـمـاء أتلألأ بأفكارى كـمـا تتلألأ بنجومها وقد جعلتنى أمتد بسرورى فى هذه الطبيـعـة كلهـا، إذ قـدرت أن أعـيش يومـاً فى نفسى ورأيت وأنا فى نفسى أن الفرح سـر الطبيـعـة كلهـا، وأن كل مـا خلق الله جمـال فى جمـال، فـالله تعـالى نور السماوات والأرض وما يجىء الظلام مع نوره.

إن إيمان الرافـعى يتـغلغل فى كل ذرة من ذراتـه، وكنت وأنا أقرأ مقاله قبل أن أبلغ هذا المقطع أفكر فى أن هذا الوصف السحرى مصدره الإيمان الرائع بخالق هذا الكون الساحر، وما رسخ هذا الإيمان فى عقله إلا بعد مشاهد حية ملموسة فى حياته، فجاء هذا المقطع ليصدق ما فكرت فيه وبعد سبحات رائعة بارعة ختم الكاتب الكبير مقالته بتلك اللفتة الساحرة.

كان الشباب فى موكب نصره وكانت الحياة فى ساعة صلح مع القلوب حتى اللغة نفسها لم تكن كلماتها إلا ممتلئة بالطرب والضحك والسعادة آتية من هذه المعانى دون غيرها مصورة على الوجوه إحساسها ونوازعها وكل ذلك سحر عرش الورد، تلك الحديقة الساحرة المسحورة التى كانت النسمات تأتى من الجو ترفرف حولها متحيرة كأنما تتساءل: أهذه حديقة خلقت بطيور إنسانية، أم هى شجرة ورد من الجنة بمن يتفيأن ظلها ويتسمن شذاها من الحور، أم ذاك منبع عطرى نورانى لحياة هذه الملكة الجالسة على العرش».

لا أدرى كيف سيطرت علىَّ روح الرافعى فى مشهد عرس رأيتـه من بعـد لقد كـان والد العروس من كبـار الأغنيـاء ذوى الملايين، فرأينه عابس الوجه كـأنما يجلس فى مـأتم وكان يرى مشاهد العرس التى وصفها الرافعى وكأنه يرى سعيرا يتأجج، ولم أجد لديه بصيصاً من السرور والطرب والسعادة التى تحدث عنها صاحب وحى القلم! فظننت أن الأب مريض بداء جسمى يكتم ألمه، وتظهر دلائله فى عبوسه فتقدمت أسأله متحيراً، فقال فى ثورة: «فرح وزفة وتبذير! إنها حماقة امرأتى، أترمى النقود هكذا كالمجانين .. تأوهت من أعماقى وقلت : إن الرافعى الموظف الصغير يطير من الفرح فى ليلة الزفاف، وصاحب الملايين يتفجر من الغيظ لما يراه من حمق امرأته حين دعت الناس إلى حفل صغير!! وأطرقت برأسى إلى الأرض لأكتم مايملأ وجهى من الانفعالات!!

رحم الله الرافعى ..

الهوامش:

(١) النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين جـ ٣ ص ٢٩ الطبعة الأولى.

(٢) مـقـال (عـرش الورد) من الجزء الأول من وحى القلم ص ٣٩ ومابعدها.

دراسات فى السنة المطهرة

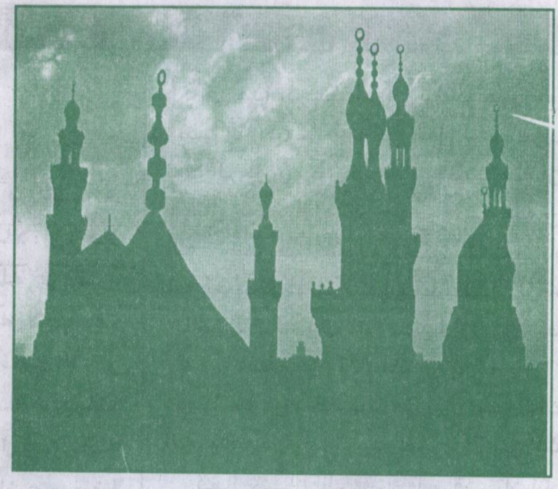

- من قصص السنة: لأقضين بينكما بكتاب الله
- الإساءة إلى رسول الله ﷺ جهل بالمثل العليا

من قصص السنة

لأقضين بينكما بكتاب الله

أ. د. أحمد عمر هاشم

عن أبى هريرة وزيد بن خالد رضى الله عنهما أنهما قالا: إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، أنشدك الله إلا قضيت لى بكتاب الله، فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه: نعم فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لى فقال رسول الله ﷺ: قل، قال: إن ابنى كان عسيفا على هذا، فزنا بامرأته وإنى أخبرت أن على ابنى الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبرونى أن ما على ابنى مائة جلدة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريم عام، اغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها، قال: فغدا عليها فاعترفت فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت».

فى هذا الحديث يروى لنا أبو هريرة وزيد بن خالد الجهنى - رضى الله عنهما - موقف رجل من الأعراب لم يرد ذكر اسمه، أتى هذا الرجل رسول الله ﷺ، وطلب منه أن يقضى له بحكم الله، فقال الخصم الآخر - وهو أفقه منه -: نعم اقض بيننا بكتاب الله.. وليس فى طلبهما الحكم بكتاب الله من الرسول ﷺ ما يوهم أنه قد يحكم بغيره، فإنهما يعلمان أن حكمه لا يكون إلا بكتاب الله، وإلا بالحق، ولكنهما أرادا أن يحكم بالحق الصرف لا بالمصالحة، فإن للحاكم أن يحكم بين الخصمين على طريقة المصالحة، والأخذ بالأرفق إذا رضى الخصمان وهو أيضا حكم الله، ولكنهما أرادا تنفيذ القانون الإلهى المشروع دون مصالحة.

فقال رسول الله ﷺ: «قل»، قال: إن ابنى كان عسيفا على هذا فزنا بامرأته.. وفى قوله: كان عسيفا - أى أجيرا -، ما يوضح لنا السبب فى وقوعه فى المعصية، وهو طول الملازمة وخلوته بها، وفى هذا ما يبين خطورة التساهل فى هذه الأمور، فإن الرجل أراد أن يذكر أن ابنه لم يكن من عادته الفجور - وهو وإن كان سببا لا يعذر فيه - إلا أنه يكشف عما ينطوى عليه التهاون من الوقوع فى الحرام، وهذا بيان صريح للمتساهلين فى أعمالهم، ومن يزعمون فى نسائهم استحالة الخطأ، وفى أصدقائهم وعملائهم العفاف، كيف والشيطان لهم قرين، وما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما، ولكم تعج كثير من المجتمعات برذائل كثيرة ومعاص لا حد لها من جراء هذا التهاون.

ثم عاد الرجل فقال: وإنى أخبرت أن على ابنى الرجم، وكان هذا ممن لا علم عندهم - فافتديت ابنى بمائة شاة - أى من الغنم، ووليدة: أى جارية، ثم سألت أهل العلم، والمراد الصحابة الذين كانوا يفتون فى العهد النبوى، كالخلفاء الراشدين وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وزاد ابن سعد فى الطبقات عبد الرحمن بن عوف، فأخبروه أن الذى على ولده هو جلد مائة

وتغريب عام من البلد الذى وقع فيه الزنا إلى مسافة القصر فأكثر، وأن على المرأة الرجم، فقال رسول الله ﷺ: **والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله.. إلخ الحديث**، وإنما أقسم الرسول ﷺ أن يقضى بينهما بكتاب الله دون أن يطلب أحد منه القسم، ومع أنه لا يظن فيه غير ذلك؛ لأنه أراد أن يطمئن الخصمين، وأن يجاريهما فيما يريدانه عندما طلبا منه ذلك، وهذا من مكارم أخلاقه ﷺ وعظيم رفقه، وحكم لهما بقوله: **«الوليدة والغنم رد عليك، أى مردودة، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، ثم أمر أنيساً وقال له: اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها، لأنها كانت محصنة، فغدا عليها أنيس فاعترفت بالزنا؛ فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت».**

قال الشيخ الشرقاوى رحمه الله(1): يحتمل أن يكون هذا هو الذى فى قوله: فإن اعترفت فارجمها، وأن يكون ذكر له أنها اعترفت فأمر له ثانيا أن يرجمها، لكنه يقتضى أن أنيسا إنما كان رسولا ليسمع إقرارها، وأن تنفيذ الحكم كان منه عليه الصلاة والسلام، ويشكل على هذا كونه اكتفى فى ذلك بشاهد واحد، وأجيب بأنه ليس فى الحديث نص على انفراده بالشهادة، فيحتمل أن غيره شهد عليها أيضاً، وفى رواية فاعترفت فرجمها وهى ترجح الاحتمال الأول، وتدل على أن أنيسا كان حاكما لا شاهدا، وبعث أنس كما قال النووى محمول عند العلماء على إعلام المرأة بأن هذا الرجل قذفها بابنه فلها عليه حد القذف؛ فتطالب به أو تعفو إلا أن تعترف فلا يجب حد القذف، بل عليها حد الزنا وهو الرجم، قال: ولابد من هذا التأويل؛ لأن ظاهره أنه بعث ليطلب إقامة حد الزنا، وهذا غير مراد لأن حد الزنا لا يحتاط له بالتجسس، بل لو أقر الزانى استحب أن يعرض له بالرجوع، وإنما خص عليه الصلاة والسلام أنيسا بهذا الحكم؛ لأنه من قبيلة المرأة، وقد كانوا ينفرون من حكم غيرهم فيهم. أ هـ. فتح المبدى،

وهذا الحديث من الأحاديث الصحيحة التى حاول بعض الناس قديما وحديثا أن يثيروا حولها الشبه ظنا منهم أنه يتعارض مع القرآن، وقد دافع ابن قتيبة فى كتابه «تأويل مختلف الحديث» وأبان وجه الحق، ونحن نورد هنا رأيه، مع توضيح جانب الحقيقة والإدلاء برأينا فى ذلك.

يقول ابن قتيبة: قالوا: رويت عن سفيان ابن عيينة، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة وزيد ابن خالد وشبل، أن رجلاً قام إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله نشدتك بالله إلا قضيت بيننا بكتاب الله تعالى، فقام خصمه - وكان أفقه منه - فقال: صدق، اقض بيننا بكتاب الله وأذن لى، فقال: قل إن ابنى كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم، ثم سألت رجالاً من أهل العلم أخبرونى أن على أبنى جلد مائة وتغريب عام، وعلى امرأة هذا الرجم، فقال: والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، المائة شاة والخادم رد عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، وعلى امرأة هذا الرجم واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها، فغدا عليها فاعترفت فرجمها(2).

وقال أبو محمد: هكذا حدثنيه محمد بن عبيد عن ابن عيينة، قالوا: وهذا خلاف كتاب الله عز وجل؛ لأنه سأله أن يقضى بينهما بكتاب الله تعالى، فقال له: والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، ثم قضى بالرجم والتغريب، وليس للرجم والتغريب ذكر فى كتاب الله تعالى، وليس يخلو هذا الحديث من أن يكون باطلا أو يكون حقا وقد نقص من كتاب الله ذكر الرجم والتغريب.

قال أبو محمد: ونحن نقول: إن رسول الله ﷺ لم يرد بقوله: لأقضين بينكما بكتاب الله ههنا القرآن، وإنما أراد لأقضين بينكما بحكم الله تعالى، والكتاب يتصرف على وجوه منها: الحكم والفرض، كقول الله عز وجل: **﴿كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾** (النساء: آية ٢٤) أى فرضه عليكم، وقال: **﴿كتب عليكم القصاص﴾** (البقرة: آية ١٧٨) أى فرض عليكم، وقال: **﴿وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال﴾** (النساء: آية ٧٧) أى فرضت، وقال تعالى: **﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾** (المائدة :آية ٤٥) أى حكمنا وفرضنا، وقال النابغة الجعدى:

ومال الولاء بالبلاء فملتم

وما ذاك قال الله إذ هو يكتب

أراد مالت القرابة بأحسابنا، وما ذاك أوجب الله إذ هو يحكم. أ هـ.

وهكذا نرى ابن قتيبة رحمه الله قد أجاب حسب ما بدا له، ولكن هناك أجوبة أخرى نرى من الأهمية إيرادها:

١- قيل: إن المراد «بكتاب الله» القرآن الكريم.

٢- وقيل: يحتمل أن يكون المراد ما تضمنه قوله: **﴿أو يجعل الله لهن سبيلا﴾** (النساء: ١٥) فبين النبى ﷺ أن السبيل جلد البكر ونفيه ورجم الثيب.

٣- وقيل: يحتمل أن المراد بكتاب الله الآية التى نسخت تلاوتها، وهى: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم.

وفى الموطأ عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: لما صدر عمر من الحج، وقدم المدينة خطب الناس فقال: أيها الناس قد سننت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتكم على الواضحة، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل: لا نجد حدين فى كتاب الله، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، والذى نفسى بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها بيدى «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»[٣]، قال مالك: الشيخ والشيخة الثيب، ووقع فى الحلية فى ترجمة داود بن أبى هند عن المسيب عن عمر (لكتبتها فى آخر القرآن).

وهذه العبارة الأخيرة تحدد لنا أن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يكن ليكتبها إن شاء حسبما اتفق، وإنما فى آخر القرآن، وذلك محافظة على الترتيب القرآنى، وليعلم الناس حكمها.

وكذلك عبارته «لولا أن يقول الناس: زاد عمر فى كتاب الله» وليس المراد خشية من مقالة الناس فيه، وإنما مراده أن يلتبس على الناس الأمر لو كتبها فلا يحسبون أنها منسوخة التلاوة.

وقد أخرج النسائى فى ذلك وصححه الحاكم من حديث أبى ابن كعب، قال: «ولقد كان فيها - أى سورة الأحزاب - آية الرجم» وأرى أن احتمال كون المراد بكتاب الله الآية المنسوخة تلاوتها لا يفى بالمراد، إذ أن الآية التى نسخت تلاوتها لم يرد فيها حكم الرجم فقط، أما التغريب فلم يذكر حكمه فيها.

٤- وقيل: المراد بكتاب الله ما فيه من النهى عن أكل المال بالباطل؛ لأن خصمه أخذ منه الغنم والخادم بغير الحق، فلذلك قال: **«المائة شاة والخادم رد عليك»**[٤].

والذى أرجحه هو أن المراد بكتاب الله فى الحديث هو حكم الله تعالى الذى حكم به، وكتبه على عباده كما رأى ابن قتيبة، وذلك لما ورد فى رواية عمرو ابن شعيب: «لأقضين بينكما بالحق» وكل شئ حكم به الرسول ﷺ هو حكم الله تعالى فهو المبلغ عن الله المبين لأحكامه، وقد فرض علينا طاعته وقبول قوله، قال تعالى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾** (الحشر: ٧) قال ابن القيم «إن الله سبحانه نصب رسول الله ﷺ منصب المبلغ المبين عنه، فكل ما شرعه للأمة هو بيان منه عن الله أن هذا شرعه ودينه؛ ولا فرق بين ما يبلغه عنه من كلامه المتلو، ومن وحيه الذى هو نظير كلامه فى وجوب الاتباع ومخالفة هذا»[٥].

الاستنباط:

١- الرجوع فى الأحكام إلى كتاب الله تعالى بما ورد فيه من نصوص أو بطريق الاستنباط، وإلى السنة النبوية الشريفة؛ فهى المصدر الثانى فى التشريع الإسلامى.

٢- جواز الحلف بغير استحلاف، وجواز القسم على الأمور لتأكيدها.

٣- إذا تم اصلاح بين الناس على غير ما جاء فى الشريعة فإنه يرد ولا يتم أخذ المال عن طريقه.

٤- وقال ابن عباس: احتج قوم بجواز حكم الحاكم فى الحدود وغيرها بما أقر به الخصم عنده.

الهوامش:

١ - فتح المبدى شرح مختصر الزبيدى.

٢ - تأويل مختلف الحديث ص١١٢، فتح البارى ١٢ ص١١١ ط بالمطبعة الخيرية، الموطأ ص٢٤٢ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٣ - الموطأ ص٣٤١.

٤ - فتح البارى ج٢١ ص١٥٢ ط الخيرية.

٥ - إعلام الموقعين ج٢ ص٢٣٨ ط الخيرية.

الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جهل بالمثل الأعلى للإنسانية

أ. د. محمد فتحى فرج بيومى

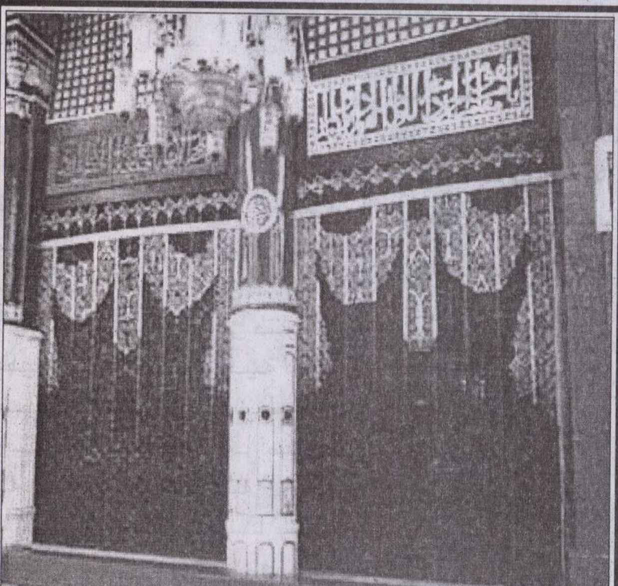

باتت محاولات تشويه صورة الإسلام والمسلمين، عند الآخرين، فى الأدبيات الغربية، أمرا شائعا، لاسيما بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١. بيد أنها بلغت ذروتها، بل وتعدت خطوطها الحمراء والسوداء، وكل الألون الخرقاء، وذلك بنشر تلك الرسوم الكاريكاتورية الصبيانية الدانمركية والغربية، التى تعمد فيها صانعوها، الإساءة إلى سيد الخلق أجمعين، والمبعوث رحمة للعالمين، سيدنا وسيدهم - بلا شك - رسول الله، محمد بن عبد الله ﷺ إلى يوم يبعثون، يوم يذوقون جزاء ما يمكرون ويعبثون، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. فمحمد ﷺ هو المثل الأعلى للإنسانية، فى أسمى معانيها، ولذلك فقد وصفه ربه بقوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم: آية ٤).

«إنا كفيناك المستهزئين»:

وهذه الظاهرة ليست جديدة، فالكيد للإسلام ورسوله الكريم ﷺ من قبل النفوس المريضة والقلوب الحاقدة بدأ مع بداية الدعوة الإسلامية. وقد كفاه ربه هذه المكائد وهذه الصور الصبيانية من السخرية والاستهزاء البذىء فقال تعالى فى قرآنه الخالد: **﴿فوربك لنسألنهم أجمعين* عما كانوا يعملون* فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين* إنا كفيناك المستهزئين* الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون﴾** (الحجر: الآيات ٩٢ - ٩٦)

بل إن الله تعالى قد ينصر نبيه ورسالته السمحاء بغير المسلمين، فهذا عمه أبو طالب، على الرغم من أنه أبى أن يدخل حظيرة الإسلام، فقد سخره الله تعالى لرعاية النبى ﷺ قبل بعثته، وقد يقول قائل رجل يرعى ابن أخيه الطفل اليتيم الضعيف، فنقول: إن أبا طالب ظل أيضا راعيا ونصيرا لمحمد ﷺ حتى بعد بعثته ﷺ واستمرار أبى طالب على الكفر.

لقد جاء الإسلام - دين الوسطية والسماحة والحرية والعدل - بمبادئ رفيعة راقية، لتصوغ المسلم قلبا وقالبا، وروحا وجسدا، وخلقا وسلوكا، بشكل يجعله يحلق فى الأفق الأعلى، حتى أنه يبدو فى صورته، المثلى الكاملة، ترجمة حية لآيات القرآن العظيم، على نمط خلق الرسول الكريم ﷺ وهو ما أشارت إليه زوجه السيدة عائشة - رضى الله عنها وأرضاها - حينما سئلت عن خلق الرسول الكريم ﷺ فقالت: **«كان خلقه القرآن»**. فهذه الصياغة القرآنية، كما يقول الأستاذ محمود الشرقاوى(١) - رحمه الله - تجعل المسلم طاقة كونية فعالة مهيمنة وموجهة لكل شىء.. طاقة عزيزة أبية، لا تذل ولا تضعف، ولا تهن ولا تجبن، تواجه الأحداث فى ثقة، وتجاهد فى قوة ويقين، وترفع رأسها فى عزة، ولا تستسلم لرهبة أو رغبة، متمثلة فى قول الله تعالى: **«إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين* كتب الله لأغلبن أنا ورسلى، إن الله قوى عزيز»** (المجادلة: الآيتان ٢٠، ٢١).

أما مشروعية الانتفاضة العادلة فى وجه من أثاروا هذه الموجات الصبيانية الطائشة، حتى ينتهوا من ضلالهم وسفاهتهم، ويعلنوا أسفهم وتوبتهم، من أن يعودوا لمثل هذه السفه مرة أخرى فيأتى من قول الله تعالى: **﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾** (المجادلة: آية ٢٢).

وفى أسباب نزول هذه الآية قال ابن جريج: حدث أن أبا قحافة سب النبى ﷺ فصكه أبو بكر صكة شديدة سقط منها، ثم ذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: **«أوفعلته؟»**. قال: نعم. قال: **«فلا تعد إليه»**. فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته. فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية(٢).

وشهد شاهد من أهلها:

ومن الذين ذكروا رسولنا الكريم بما نحب أن نسمع كثيرون، ينتمون إلى كل بلاد الدنيا، شرقا وغربا، سواء فى مؤلفاتهم أو حواراتهم، فمنهم الإنجليز مثل الكاتب والناقد والمؤرخ الشهير توماس كارليل (١٧٩٥ - ١٨٨١) Thomas Carlyl، صاحب كتاب «الأبطال وعبادة البطولة» Heroes and Hero-Worship، الذى ضمنه فصلا كبيرا عن سيدنا محمد ﷺ تحت عنوان «البطل فى صورة رسول» وقد ترجم هذا الكتاب المرحوم الأستاذ محمد السباعى والد أديبنا الكبير المرحوم الأستاذ

جاء الإسلام بمبادئ سامية لتصوغ المسلم بشكل يجعله يحلق فى الأفق الأعلى حتى يبدو ترجمة حية لآيات القرآن الكريم

الكيد للإسلام ورسوله الكريم ﷺ من قبل النفوس المريضة والقلوب الحاقدة قديم قدم الرسالة المحمدية

يوسف السباعى، أصدرته مؤسسة دار الهلال فى سلسلتها الشهرية «كتاب الهلال»، أما الفصل الخاص بسيدنا محمد ﷺ فقد ترجمه أيضا لأهميته، ترجمة عصرية، المرحوم الأستاذ على أدهم.

ومما ذكره كارليل فى معرض دفاعه عن النبى ومهاجمته لخصومه قوله: لقد أصبح من أكبر العار، على أى فرد متمدين، من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خداع مزور، فقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير لمدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتى(٣) مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى عاشت بها، وماتت عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبدا، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلا بله ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث، كان الأولى بها ألا تخلق. فوأسفاه ما أسوأ هذا الزعم، وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة. وبعد: فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما فى علوم الكائنات أن لا يصدق شيئا البتة من أقوال أولئك السفهاء! فإنها نتاج جيل كفر، وعصر جحود وإلحاد، وهى دليل على خبث القلوب، وفساد الضمائر، وموت الأرواح فى حياة الأبدان، ولعل العالم لم ير قط رأيا أكفر من هذا الرأى وأكثر لؤما. فالرجل الكاذب لا يستطيع أن يبنى بيتا من الطوب فكيف يبلغ دينا؟ وهل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلا كاذبا يستطيع أن يؤسس دينا وينشره، عجبا(٤) والله!

أما عن براءة محمد ﷺ من الشهوات يقول كارليل: وما كان محمد أخا شهوات، برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا، وشد ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجلا شهويا، لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذ، كلا، فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أيا كانت، لقد كان زاهدا متقشفا فى مسكنه، ومأكله، ومشربه، وسائر أموره وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار، وإنهم ليذكرون - ونعم ما يذكرون - أنه كان ليصلح ويرفو ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمد من رجل خشن الطعام، مجتهد فى الله، قائم النهار، ساهر الليل، دائبا فى نشر دين الله، غير طامع إلى ما يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان، غير متطلع إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت، رجل عظيم وربكم وإلا فما كان ملاقيا من أولئك العرب الغلاظ توقيرا واحتراما وإكبارا وإعظاما، وما كان يمكنه أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته، ثلاثا وعشرين حجة وهم ملتفون به يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله، لقد كان فى هؤلاء العرب جفاء، وغلظة.. وكانوا حماة الأنوف، أباة الضيم، وعروا المقادة صعاب الشكيمة، فمن قدر على رياضتهم، وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا فذلكم وأيم الله بطل كبير، ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل، لما خضعوا له ولا

أذعنوا، وكيف وقد كانوا أطوع له من بنانه.

ثم يقول: وظنى أنه لو كان أتيح لهم بدل محمد قيصر من القياصرة، بتاجه وصولجانه، لما كان مصيبا من طاعتهم مقدار ما ناله محمد، فى ثوبه المرقع بيده، فكذلك تكون العظمة، وهكذا تكون الأبطال(٥).

ومن هؤلاء الإنجليز أيضا الرياضى والفيلسوف الكبير برتراند راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) الذى قال: لقد قرأت عن الإسلام ونبى الإسلام، فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم التى جاء بها محمد، والتى حفل بها كتابه (يقصد القرآن الكريم)، مازلنا نبحث ونتعلق بذرات منها وننال أعلى الجوائز من أجلها، وكان محمد بتعاليمه وكتابه، أحق بكل الجوائز، لكنه لم يسع إلى ذلك، وترك الأمور تسير بطبيعتها، حتى لا يتهم بأن الإسلام، بالسيف ساد وانتشر، وهذا ما يفعله المفكرون الآن، أمام فكرهم الفردى، فما بال البعض بفكر السماء، الذى جاء به محمد للإنسانية(٦).

وهذا هو الأديب الإنجليزى والمسرحى الساخر برنارد شو (١٨٥٦ - ١٩٥٠)، الذى كان محل احترام مواطنه الإنجليزى الفيلسوف الكبير برتراند راسل، وذلك لرفضه أن يكون أداة لتشويه صورة نبى الإسلام محمد ﷺ، بل إن هناك من يؤكد أنه ألف كتابا بعنوان «محمد»، أحرقته السلطات البريطانية يقول فيه: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل فى تفكير محمد.. فإننى فقد اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة.. وأنه يجب أن يسمى منقذ الإنسانية.. وفى رأيى أنه، لو تولى أمر العالم اليوم لوفق، فى حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التى يرنو البشر إليه(٧).

أما المستشرق المعروف ادوارد وليم لين (١٨٠١ - ١٨٧٦) E.W. Lane الذى أحب مصر ومكث بها ثلاث سنوات تعلم فيها العربية، وعشق الإسلام فأسلم وتسمى باسم «منصور»، كما يذكر الأستاذ أحمد حامد فى كتابه «الإسلام ورسوله فى فكر هؤلاء». ثم عاد الرجل إلى بلاده عاقداً العزم على أن يؤلف كتابا عن المصريين المعاصرين عام ١٨٣٣ ومكث بها عامين آخرين ليصدر عام ١٩٣٦ ذلك الكتاب بعنوان: Manners and Customs of the Modern Egyptians، وقد ترجمه الأستاذ عدلى طاهر نور بعنوان: «المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم» وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٠، والثانية عام ١٩٧٥، وقد أعادت هيئة قصور الثقافة المصرية طبعة عام ١٩٩٨، فى جزءين، فى سلسلة «ذاكرة الكتابة».

ثم قام لين بترجمة كتاب «ألف ليلة وليلة»، وقد وجد نفسه أخيراً مهيئا لعمل معجم عربى عن اللغة العربية، على النسق الغربى، شرح فيه المواد العربية باللغة الإنجليزية، فأمضى فى إعداده بقية حياته، ومن مؤلفاته أيضا «المجتمع العربى فى العصور الوسطى: دراسات مستخلصة من ألف ليلة وليلة»

وعن الأخلاق العربية وتأثيرها بالنبى ﷺ يقول ادوارد لين: الشمائل المحمدية راسخة فى عمق الأخلاق العربية، حيث استطاع محمد ﷺ أن يؤثر برسالته، ليغير من الجذور، الأخلاق التى كانوا عليها قبل الإسلام، لتصبح أخلاقاً عربية إسلامية يطلق عليها الآن الأخلاق العربية. فالأخلاق التى كان عليها الرسول الكريم - قبل وبعد الرسالة - أصبحت كل شىء عاشته وتعيشه الجزيرة العربية ، والعرب عامة، والمسلمون كافة. وما وجدت سوى هذه الأخلاق أرفع ولا أعظم ولا أبدع. فعلا، ما كان ينطق عن الهوى. والذين يحاولون طمس الخلق المحمدى، ماهم إلا جهلة على الصعيد العالمى. فالنبى محمد ﷺ جاء بالأخلاق، وهى أخلاق عاشت، وستظل إلى يوم البعث قائمة، ولن ينال المغرضون، الكارهون، لنبى الإسلام، منه شيئا، وسيظل

الإسلام شامخا بقرآنه وبالنبى محمد، رغم أنف الكارهين. ثم يقول إدوارد لين: والإسلام هو الدين الذى جاء ليضىء للعالم الطريق إلى حياة أفضل.

وعن تجربته يقول ادوارد لين أو الشيخ منصور: الذى يقترب من الإسلام يقترب منه الإسلام فيضفى عليه جلالا ووقارا، فالإسلام رغم أنه عبادة عظيمة فهو، بقرآنه الكريم، يحمل كل العلوم فى هذا الكتاب الإلهى، وكنت أود أن أعرف مكنونات القرآن الكريم، لكنى رغم بحثى أقول: ما أوتيت إلا قليلا. وليت الذين يبحثون ويدرسون بحب، كتاب الله الكريم، يتوصلون، الواحد بعد الآخر، إلى اللغز القرآنى الذى لا يمكن أن يفكه إلا المختارون بعناية الله(٨)؛

أما سير وليم موير فهو اسكتلندى، درس الحقوق فى جامعتى أدنبرة وجلاسجو، وقد تدرج فى المناصب العلمية حتى أصبح رئيسا لجامعة أدنبرة. يقول موير فى كتابه «سيرة النبى»: من صفات النبى الجديرة بالتنويه والإجلال، والدقة والاحترام، اللتان كان يعامل بهما أتباعه، حتى أقلهم شأنا. وحينما نصف الرسول محمداً ﷺ، بهذه الصفات العظيمة، فإننا بذلك نصف الإسلام، ونقدره، ونوقره، ونحترمه. ولقد امتاز محمد ﷺ بوضوح كلامه، وسهولة دينه، ولقد أتم من الأعمال مالم ولن يستطيعه مصلح اجتماعى، فقد أحيا محمد ﷺ الأخلاق، وحث على الفضيلة، ورفع شأنها فى زمن قصير، لم يسبقه ولم يلحقه أحد غيره، وهذا حال الأنبياء والرسل حينما يربيهم الله، ويرسلهم برسالة حق، كما أرسل محمدا ﷺ بالإسلام، الحقيقة والحق، ليختم الرسالات وأيضا ليختم الأنبياء(٩).

هذا شطر مما قاله بعض أرباب الفكر، وحملة أمانة الكلمة، من فلاسفة وأدباء ومؤرخين وعلماء إنجليز. لم نذكر - فى هذه العجالة - بعض الأسماء الأخرى مثل: هاملتون جب وريتشارد بيرتون وبالمر ونيكلسون وغيرهم كثيرون.

أما الفرنسيون فمنهم: روسو وفولتير ونابليون وجوستاف لوبون وماسينيون وجاك بيرك وكثيرون غيرهم. وهناك أيضا الألمان مثل جوته وبوكلمان وشاخت وهونكه وغيرهم كثيرون.

وهناك أيضا الكثيرون من أمريكا وإيطاليا وهولندا وإسبانيا وروسيا والهند واليابان وغيرها من دول العالم، شرقا وغربا، ممن عرف قدر رسولنا محمد ﷺ ووضعه فى الموضع اللائق به كنبى عظيم ورسول كريم، وهؤلاء هم الذين يعتد بقولهم ويسمع لكلامهم، حيث عرفوا الحق وشهدوا به، وهو ما يجب علينا أن نبرزه ونبينه للعالم كله فى هذا الوقت بالذات.

الهوامش والتعليقات:

(١) محمود الشرقاوى (ب. ت) الدين والدولة العصرية. دار الشعب. القاهرة. ص٩.

(٢) النيسابورى: أسباب النزول.

(٣) الآن نحو أكثر من مليار وربع المليار من البشر.

(٤) توماس كارليل (١٩٩٣). محمد المثل الأعلى. تعريب محمد السباعى (وهو فصل من كتاب كارليل: الأبطال وعبادة البطولة). مكتبة الآداب بالقاهرة. ص١١.

(٥) المصدر السابق، ص٤٩.

(٦) أحمد حامد (١٩٩١). الإسلام ورسوله فى فكر هؤلاء. دار الشعب بالقاهرة. ص١٧.

(٧) مجلة «التبيان» القاهرية، العدد التاسع عشر، ص٣٢.

(٨) المصدر السابق رقم٦، ص٤١.

(٩) المصدر السابق، ص٢٣.

قال تبارك وتعالى: ﴿رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات..﴾ [نوح]

ليس غَـيرَكَ مَلْجِئِى

شعر/ عمر موسى موسى البرعى

يا خـالقى يارازقى يامـالكى ** يا عـالم الأسرار والهـمـسـات
مـالى نجاة غـير عـفوك سـيدى ** فـمن الذنوب تطامنت هامـاتى
كم ذا أقاسى اليوم من ويلاتها ** فـمتى أكون مـسدد الخطوات
غـفـرانك اللهم فـامنح منّةً ** عـبدا يبـوء إليك بـالدعـوات
إن لم تسـامـحنى فـإنى هالك ** ومـهـدد بالويل والنكبـات
أنا مـا تركت من الذنوب صغيرها ** وكـبـيـرها فى سـائر الأوقـات
وزرى ثقـيل أشـتكى من حـمله ** حـتى لقـد كـثـرت به عـلاتى
أمسى وأصبـح فى شقـاء همومه ** وأظل منه فى دجى الظلمـات
وغـدوت والآثام تثـقل كـاهلى ** وتسود المبيض من صفحـات
تسعى إلىّ فلا أكاد أحسـهـا ** كـالحيـة الرقطاء فى الظلمـات
أضحت حياتى ظلمة من أجلها ** ولأجلهـا أنا قـد كـرهت حـيـاتى
ياخـالقى غـدت المساوئ كلهـا ** وقـفـا على نفـسى أنا بالذات
إن لم تمن علىّ بالعـفـو الذى ** شـمل الأنام بأرحـم الرحـمـات
فـمن الذى أرجوه إن لم تعف عن ** ذنبى وفـضلك ظاهر الآيات
أفنيت عـمرى بالذنوب فـعافنى ** يارب واختـم بالقـبـول حـيـاتى

﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾

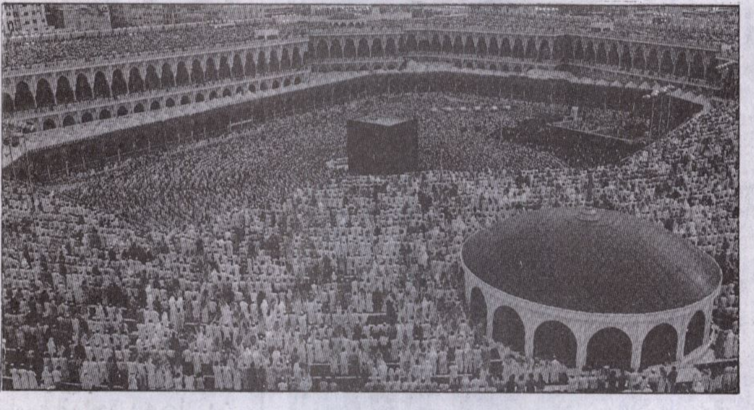

- من وحى فريضة الحج
- خواص الركن الخامس
- الحج الكبير ومشاعر فياضة
- الكعبة المشرفة مكانا ومكانة
- الحج صفحة جديدة للطهر والنقاء
- بيت الله الحرام

من وحى فريضة الحج

فضيلة الشيخ/ محمد عبدالمجيد زيدان

الحج ركن أساسى من أعمدة الإسلام الخمسة التى بنى عليها صرحه العظيم.

ولقد فرض الحج سنة خمس أو ست من الهجرة النبوية ولم يحج رسول الله ﷺ إلا بعد فتح مكة لأن المشركين كانوا يحجون ويطوفون بالبيت عراة فلما فتحت مكة فى رمضان من السنة الثامنة من الهجرة كان لابد من التمهيد لحجة الرسول ﷺ فحج أبو بكر الصديق بالمسلمين فى السنة التاسعة ولحق به على بن أبى طالب رضي الله عنه ليبلغ أول ما نزل من سورة براءة وأعلن منع حج المشركين وطواف العراة وكانت حجته ﷺ فى السنة العاشرة من الهجرة بعد إزالة آثار الشرك فعلّم فيها المسلمين مناسك الحج وقال: «خذوا عنى مناسككم».

إن رسول الله ﷺ لم يحج فى الإسلام غير حجة الوداع أما العمرة فقد اعتمر بعد الهجرة أربع عمرات ثلاث منهن فى ذى القعدة على الصحيح ومتى تمكن المسلم من الحج يجب أن يسارع فى أدائه قبل أن يفاجئه الموت أو تمنعه حوادث الدهر لذا قال ﷺ: «من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض الصحيح وتضل الراحلة وتكون الحاجة».

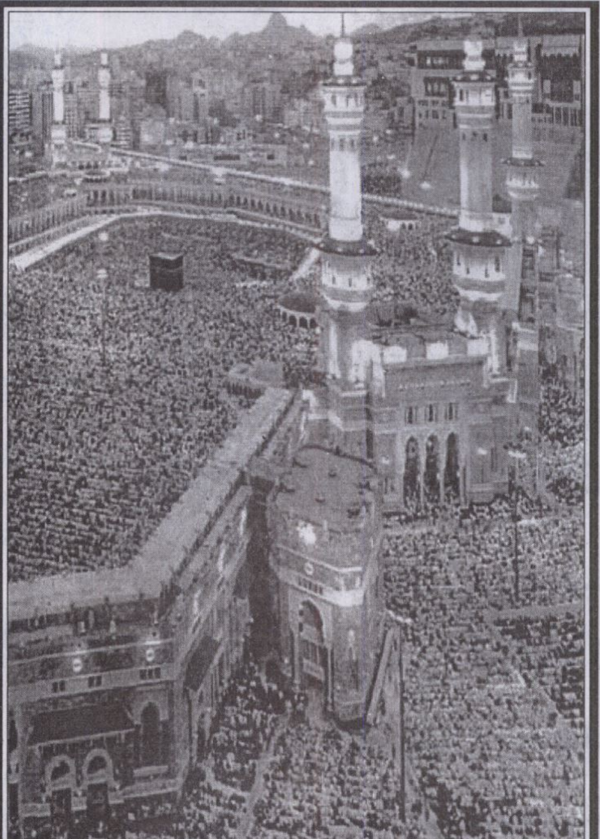

كما ينبغى أن يكون المال الذى يحج به حلالا طيبا لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا فى الصحيح أنه ﷺ ذكر **«الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له؟»**، فالحج فريضة محكمة والعمرة مطلوبة وجوبا أو استحبابا على خلاف المذاهب والمسلم مطالب بهما مرة فى العمر فقد روى عن ابن عباس وأبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ

كانت حجة الصديق أبى بكر فى السنة التاسعة للهجرة النبوية تمهيدا لحجة رسول الله ﷺ فى السنة العاشرة

أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «**أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال الأقرع بن حابس أفى كل عام يارسول الله فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، الحج مرة فمن زاد فتطوع**» ولا يصح أن يبتغى المسلم بهما إلا وجه الله - تعالى - تحقيقا لقوله تعالى: **﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾** البقرة: آية ١٩٦،، وعلى الحاج أن يرد الحقوق إلى أهلها وأن يجتهد فى إرضاء والديه ويستحب أن يودع أهله وجيرانه وأصدقاءه بقول: أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه وأن يصلى ركعتين قبل الخروج من منزله يقرأ فى الأولى «**قل يا أيها الكافرون**» وفى الثانية سورة «**الإخلاص**»، وحين يخرج يرفع بصره إلى السماء قائلا: اللهم إنى أعوذ بك من أن أضل أو أُضل أو أذل أو أُذل أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يُجهل علىّ كما يستحب الإكثار من الدعاء فإنه مرجو الإجابة لقوله ﷺ: «**اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج**» أخرجه الحاكم عن أبى هريرة.

لقد فرض الله الحج على المستطيع **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾** آل عمران: آية ٩٧، والاستطاعة تقتضى شمولية المعنى لتكون استطاعة جسمانية واستطاعة مالية واستطاعة الاطمئنان على من يتركه الحاج من الأهل والولد ولأمر عظيم شاء الله - عز وجل - أن يكون حج الأمة الإسلامية إلى بيت الله الحرام ذلك لأن هذا البيت هو أول بيت عُبد الله فيه على هذه الأرض **﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين* فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾** آل عمران: الآيتان ٩٦، ٩٧، ففيه بدأ الدين وإليه يكون حج أمة الإسلام رمزا وتجسيدا لوحدة دين الله من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ فالحج عبادة توحد وتوحيد وفيه تكريم لهذه الأمة عندما جمع الله لها طرفى المجد الدينى فكانت قبلتها وجه هذا البيت وكان حجها أيضا إلى هذا البيت الذى أقام قواعده أبوالأنبياء إبراهيم بمساعدة ولده إسماعيل **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم* ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾** البقرة: الآيتان ١٢٧، ١٢٨، فيكون حج أمة النبى الخاتم إلى هذا البيت هذه الأمة التى أحيت شريعة ملة الخليل إبراهيم **﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾** الحج: آية ٧٨، فهذه الأمة هى التى تعيد أمة الخليل إبراهيم فى مناسك حجها مجسدة بهذا الإحياء وحدة دين الله **﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين..﴾** آل عمران: آية ٩٥.

لقد دعا الخليل إبراهيم ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى بيته الحرام فتجسدت الإجابة فى فريضة الحج، هذه الفريضة الخامسة التى ربطت القلوب بهذا البيت العتيق قلوب تتوقد بالأشواق وهى تهوى إلى

هذا المكان توقدا دائما وشوقا خالدا عند كل مؤمن عبر القرون فى كل مكان ومن كل الشعوب **﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾** إبراهيم: آية ٣٧.

لقد منَّ الله على حجاج بيته بالأمن والأمان، أمن يغمر المؤمن فى بيت الله الحرام حتى ليزيد هذا الأمن على ما يشعر به الحاج فى مسكنه الخاص مما يجسد ويفسر قوله تعالى: **﴿وإذ جعلنا البيت مثابة لناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود* وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾** البقرة: الآيتان ١٢٥، ١٢٦، فالحج رمز للأمن وزرع السلام وتوطيد العلاقات الأخوية والتعايش السلمى لأن عدم الشعور بالأمن يجعل الإنسان يفقد معنى الحياة ومشاعر السعادة والاستقرار ومن أجل أن يكون البيت آمنا ومحققا قمة الأمن والأمان للطائفين والعاكفين والركع السجود شاء الله تعالى له عبر قرون التاريخ أن يكون متحررا فلم يخضع لمتجبر ولا مستعمر فكان آمنا والناس من حوله تتخطفهم مخاطر الاستبداد، وفى هذا يقول ربنا: **﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾** العنكبوت: آية ٦٧، ومن هنا سماه الله فى كتابه البيت العتيق أى الحرّ قال تعالى: **﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾** الحج: آية ٢٩، أخرج البخارى فى تاريخه عن ابن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنما سمى الله البيت العتيق لأنه أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار قط».**

لقد قصده تبَّع ليهدمه فأصابه الفالج فأشير عليه أن يكف عنه وقيل: **«له رب يمنعه»** فتركه وكساه وهو أول من كساه وقصده أبرهة الحبشى فأصابه ما أصابه كما جاء فى سورة الفيل، وأما الحجاج بن يوسف الثقفى فلم يقصد التسلط على البيت لكن تحصن به عبدالله بن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه ولعل ما وقع من القرامطة وإن أخذوا الحجر الأسود وبقى عندهم سنين من هذا القبيل والله أعلم، وقال الحسن وابن زيد العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس وهذا هو المتبادر غير أنه إذا صح الحديث لا يعدل عنه ثم إن حفظه من الجبابرة على مر التاريخ يؤكد ما جاء فى الحديث الشريف.

لقد ربط الإسلام بين العبادة ومواسم التعارف فشرع للمسلمين صلاة الجماعة ليتعارف المتقاربون منهم سكنا ويلتقوا فيتعرفوا على بعضهم ويتفقدوا أحوالهم فتتوثق الصلات بينهم بالتقائهم كل يوم خمس مرات ثم شرع لهم لقاء على مستوى أكبر فشرع لهم صلاة الجمعة والعيدين للتعارف وتوثيق الصلات بصفة أكبر ثم شرع لهم اللقاء الأعظم فى أحب البقاع إلى

يرمى الدين الإسلامى إلى التعارف بين الأجناس لأنه دين البشرية جمعاء

الحج رمز للأمن وزرع للسلام وتوطيد للعلاقات الأخوية والتعايش السلمى بين جميع البشر لغرس معانى الحياة ومشاعر السعادة والاستقرار

الله فى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ليلتقى المتباعدون من بلدان بعيدة سواء على مستوى الدولة أو مستوى العالم كله يوم أن ينادى بالحج فيأتون من كل فج عميق لأداء مناسك الحج هذه المناسك التى ترسم أرفع صور المساواة والتعادل بين الجميع ترى ذلك فى الإحرام والطواف والسعى والوقوف بعرفة وغيرها فإذا نظرت إلى الحجاج فلن تميز أحدهم بزى ولا لباس ولا بمظهر فالكل فى بساطة المظهر المتحد متساوون مساواة بين الأفراد ومساواة بين الأجناس والألوان تحقق بكل صدق قوله تعالى: **﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** الحجرات: آية ١٣، وقوله ﷺ: **«لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»**، ومن هنا نرى أن الإسلام لا يكتفى بالنظريات يقررها ولا يقف عند الدعوة للحق، بل يقرن القول بالعمل والتطبيق الفعلى، فعندما دعا إلى المساواة والتعارف والتآلف والتعاون أوجد لها اجتماع الصلاة وأوجب الجمعة وسن العيدين وأوجب الحج ليكون المؤتمر الأعظم لكل المسلمين ورحم الله أمير الشعراء شوقى عندما أنشد مخاطبا ربه:

لك الدين يارب الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة
إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوتت
لديك ولا الأقدار مختلفات
عنت لك فى الترب المقدس جبهة
يدين لها العاتى من الجبهات

إن الجميع يشكو من الفوضى التى عمت وشملت حياة المسلمين حتى سئم الجميع حالتهم وأصبح الكل يحتاج إلى علاج عاجل ودواء شاف يبدل الحال من فوضى مدمرة إلى نظام سائد معمر ومن هياج مفرق إلى هدوء جامع، فإذا بحثنا عن هذا العلاج وجدناه شاخصا أمامنا فى فريضة الحج، ففضلا عما فى الإحرام من لباس واحد والطواف فى وقت واحد والتلبية فى وقت معين مما يدل على وحدة دينية تحتم على المسلمين الاتحاد والتماسك ففيها درس عملى يدعو إلى النظام والترتيب واحترام المواعيد، فالحج بكل مناسكه فرصة للتحلية بالفضائل والقيم الإيجابية.

كما أن الحج يخرج المسلم من ذنبه وإثمه وقبيح عاداته وطبعه ففى الحديث الشريف: **«من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**، فالحاج عندما يطرح عن نفسه سيئ العادات ويخرج نفسه من سخيف التقاليد وسجن المألوف إلى ميادين التقى والفضائل والسمو الروحى والعلو النفسى يكون بذلك قد ملك نفسه بعد أن كان عبدا لها قال تعالى: **﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الألباب﴾** البقرة: آية ١٩٧.

إن الحج المبرور يحرر صاحبه من

كل ضغوط الحياة، فإذا حرر المسلمون أنفسهم من الداخل بانتصارهم على شهواتهم سينطلقون لتحرير الحياة شعار كل واحد منهم **﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له﴾** الأنعام: آية ١٦٢. منطقهم **﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾** النحل: آية ٥٣، لأن العبادة لله قد صقلتهم والطاعة له قد صنعتهم فليس للشيطان على نفوسهم سلطان نراهم فى المزارع والمصانع والمدارس والجامعات أعزة يبنون فى السلم ويحملون السلاح فى الحرب دفاعا عن الوطن والعدل والعرض والعقيدة لأن الرجال الذين صنعهم الإيمان يمثلون النبل من جميع أقطارهم ومن كل أبعادهم فهم أمل الإنسانية وقدوتها يعيشون مع الناس على الأرض وأرواحهم تحلق فى السماء يعيشون مع الله فى أمره ونهيه وحلاله وحرامه يلتزمون حدوده وينفذون أحكامه إنهم نماذج كريمة لا تجد لأحدهم سوءة خلق أو نقطة ضعف أو غرور نفس وهكذا تكون ثمرة العبادة الخالصة الصادقة الواعية.

إن الحج مبنى على التيسير فعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ وقف فى حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاءه رجل فقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح فقال اذبح ولا حرج وجاء آخر فقال لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى فقال ارم ولا حرج، فما سئل النبى عن شىء قدم أو أخر إلا قال افعل ولا حرج»، فدل على الحرج الذى رفعه الله عنهم لنسيانهم ولجهلهم بأمر المناسك فقد أخرج الطحاوى بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ سأله رجل فى حجته فقال إنى رميت وأفضت ونسيت فلم أحلق فقال ﷺ احلق ولا حرج، فالسائلون كانوا ناسا أعرابا لا علم لهم بالمناسك فأجابهم رسول الله يقول لا حرج يعنى فيما فعلتم بالنسيان والجهل وليس المراد أنه أباح ذلك فيما بعد حيث أنه ﷺ قال لبعض من سأل وقال له افعل ولا حرج «عباد الله وضع الله ـ عز وجل ـ عنكم الحرج والضيق وتعلموا مناسككم فإنها من دينكم» فقد أمرهم بتعلم المناسك.

إن كل ما أمر الله بزيارته فهو من شعائرالله أى مما أشعر الله به الناس وقرره وأشهره **﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾** الحج: آية ٣٢، ومن معالم الحج الكعبة والصفا والمروة وعرفات والمشعر الحرام. كما تطلق الشعيرة على بدنة الحج **﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾** الحج: آية ٣٦، لأنهم يجعلون فيها شعارا وهى العلامة على أنها تذبح هديا **﴿ومن يعظم حرمات الله فإنها من تقوى القلوب﴾** الحج: آية ٣٢، أى فإن ذلك من تقوى قلوب الذين يعظمون شعائر الله، أى حلت التقوى فى قلوبهم وما ذلك إلا لأن تعظيمها اعتقاد قلبى ينشأ عن العمل، فشعائر الله هى محارمه وهى لقب لمناسك الحج.

إن الدين الإسلامى يرمى إلى التعارف بين الأجناس لأنه دين مجعول للبشرية جمعاء وإن الأمل يحدونا أن يكون حج هذا العام طالع خير وعز وبركة على جميع المسلمين آملين أن تسود على العالم كله أجواء من الحب والأمن والأمان والسلام وتتوثق عرى التضامن والتآزر لما فيه خير البشرية جمعاء، وستظل هذه الفريضة فى ارتباطها بالبيت الحرام وفى تعويدها المسلم الانخلاع من بلاده وأرضه وماله وأهله نموذجا للتجرد لله ـ سبحانه ـ وسيظل الحنين إلى أدائها دليلا على الخير والحب الصادق المخزون فى القلوب نحو الإسلام ونبى الإسلام.

والله من وراء القصد.

خــواص الركـّـن الخــامس

أ.د: محمد الدسوقى

روى الإمام أحمد والشيخان والنسائى عن عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت».

ومعنى بناء الإسلام على هذه الخمس: أنها بمنزلة الأساس من البنيان، ودعامة هذا الأساس الوسطى الشهادتان، وأوتاده هى الأركان الأربعة: الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج..

وقد جاء ترتيب هذه الأسس فى الوضع اللفظى على وفق ترتيبها الزمانى فى التشريع، فالدعوة إلى الشهادتين كانت أول الجميع منذ بدء البعثة فى مكة تبعها فرض الصلاة قبل الهجرة، ثم فرض الزكاة والصوم كليهما فى السنة الثانية من الهجرة، ثم فرض الحج فى السنة السادسة أو التاسعة من الهجرة على الخلاف فى ذلك(١).

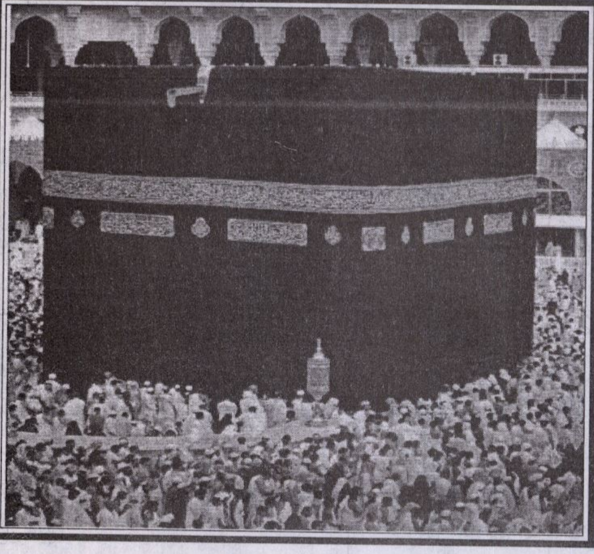

فالمراد بالركن الخامس الحج إلى بيت الله الحرام، وخواص هذا الركن ما ينفرد به دون سواه من العبادات.

على أن الحج بمعناه العام - وهو زيارة أماكن مخصوصة ابتغاء التقرب للإله المعبود - صورة قديمة من صور العبادات اتخذتها الشعوب رمزا لإجلال معبوداتهم وتقديسها، وكانت كل أمة تتخذ فى حجها ما يناسب تخيلها لعظمة معبودها، واستمرت الحال على هذا دون أن ينزل وحى من السماء بهذا النوع من العبادة لا فى أصله ولا فى تنظيمه حتى هيأ الله الأمر للخليل إبراهيم عليه السلام، وأمره ببناء البيت الحرام، ليطوف الناس به ويذكروا الله فيه(٢)، ومن ثم أصبح الحج فريضة على الناس منذ عهد إبراهيم عليه السلام ومازالوا يحجون إلى عهد محمد ﷺ، وقد أحدث العرب قبل الإسلام فى فريضة الحج ما أحدثوا من المنكرات، مثل وضع الأصنام على الصفا والمروة، والطواف بالبيت عراة إلا الحُمس وهم قريش وما ولدت، وكان الواحد منهم إذا طاف قرن يده بيد إنسان آخر بسير أو بخيط، ويرون

هذا من باب التقرب إلى الله، كما كانوا يرون الصمت فى الحج عبادة إلى غير ذلك من العادات الجاهلية، فلما أشرق نور الإسلام قضى على كل ما أحدثته الجاهلية من مفاسد ومحرمات، وزاد فى تلك الفريضة ما زاد من المناسك والتشريعات.

وأما خواص الحج أو ما ينفرد به عن غيره من العبادات فهو بوجه عام كما يلى:

أولا: يجب الحج مرة واحدة فى العمر.. إن من العبادات المفروضة ما يتكرر فى كل يوم خمس مرات كالصلاة، وما يتكرر كل عام كصيام شهر رمضان، وما يجب بحولان الحول كزكاة بعض الأموال، أو يوم الحصاد كزكاة الزروع والثمار، وذلك وفق شروط خاصة لا مجال لتفصيل القول فيها.

ولكن الحج يجب على المكلف، وهو المخاطب بأحكام الشريعة الملتزم بتنفيذها وهو البالغ العاقل إلا مرة واحدة فى العمر، فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب الحج عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ماستطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه».**

ففى هذا الحديث بيان أن الله فرض الحج على الناس، ثم يصرح الحديث بالأمر بالحج بعد الإخبار بفرضيته، ثم يأتى الجواب عن سؤال: أكل عام؟ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»، ويؤكد هذا الرد أن الحج الواجب مرة واحدة وإن كان يجب فى بعض الأحيان أكثر من مرة بالنذر، ولو كانت الإجابة إن الحج يجب فى كل عام، لعجز الناس عن القيام به، لأنهم لن يستطيعوا، فهذه الفريضة تقتضى سفرا وغربة وإنفاقا ومفارقة للأهل والوطن، وفى هذه مشقة والله سبحانه رحيم بعباده، لا يكلفهم ما تنوء به طاقتهم وإنما يكلفهم بما فيه وسعهم، فضلا عن أن التكاليف العامة إنما ينظر فيها إلى كافة الناس لا إلى بعض الأفراد، وذلك من سماحة الشريعة الإسلامية ويسرها.

ولعل فيما جاء فى الحديث عن فرض الحج مرة واحدة إشارة إلى مستقبل الإسلام وكثرة المؤمنين به، فيكون من العسير أن يلتقى وفود الرحمن فى كل عام فى أم القرى وما حولها لأداء المناسك فى يسر، والرسول بهذا يحض من أدى الفريضة على أن يتيح الفرصة لغيره من المسلمين لأداء الفريضة دون عناء أو خوف من الموت تحت الأقدام، وأن يوجه ما ينفق فى حج التطوع إلى مجالات أخرى، الأمة فى أمس الحاجة إليها.

حرص القرآن الكريم على التذكير بالبعد عن المعاصى فى الحج ليظل مؤتمرا رائع القيم والمثل والغايات

ثانيا: لا تجب فريضة الحج إلا عند الاستطاعة.. إن الحق تبارك وتعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، وهذا مبدأ عام فى كل تشريعات الإسلام، ومع هذا نصت الآية القرآنية على أن الحج لا يجب إلا عند

تتجلى وحدة المسلمين فى الحج فى انصهار كل أعراض الحياة فى بوتقة الإيمان بلغة تفيض بها مشاعر القلوب

الاستطاعة.. وتفسر الاستطاعة بالقدرة البدنية على السفر، وكذلك القدرة على الانفاق مع أمن الطريق ويشترط فى القدرة المالية أن تكفل للمسلم حياة تليق بكرامته فى سفره، وفى قيامه بأداء المناسك، كما يشترط أن يكون لدى المكلف فضلا عن نفقات الحج ما يكفى نفقة من يعول فى أيام الحج دون أن يؤثر ذلك على بضاعة يتجر فيها، أو عقار يتكسب منه، فمن كان عنده أرض يزرعها، أو تجارة يعمل فيها ثم باع بعضها أو كلها ليحج وينفق على من يعول ثم يصير بعد الحج محتاجا أو عالة على المجتمع فإنه لا يكون مستطيعا، وأيضا ألا يكون المسلم محتاجا إلى المال فى أداء دين عليه، أو بناء مسكن لابد منه أو الزواج إذا خاف على نفسه العنت، أى الإثم أو الفجور فإنه فى كل هذه الأحوال لا يكون مستطيعا.

فإذا تحققت الاستطاعة البدنية والمالية فهل يجب الحج على الفور أولا؟ لقد اختلف الفقهاء فى ذلك فمنهم من ذهب إلى أن الحج واجب على التراخى فيؤدى فى أى وقت من العمر، ولا يأثم من وجب عليه بتأخيره متى أداه قبل وفاته، واستدل هؤلاء بما فعله الرسول ﷺ فقد أخر الحج إلى سنة عشر من الهجرة، وكان معه أزواجه وكثير من أصحابه مع أن الحج فرض قبل هذه السنة.

وذهب بعضهم إلى أن الحج يجب على الفور واستدلوا بما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: **تعجلوا إلى الحج، يعنى الفريضة، فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له**(٢).

وحمل أصحاب الرأى الأول هذا الحديث وغيره على الندب، وأنه يستحب تعجيل الحج متى تحققت الاستطاعة، لأن المكلف لا يدرى متى يأتيه أجله.

والأولى للمسلم أن يبادر بأداء هذه الفريضة متى استطاع إليها سبيلا، وألا يؤخر ذلك براءة للذمة ومسارعة إلى الطاعات، والله يقول فى كتابه الكريم: **﴿فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا﴾** المائدة: آية ٤٨.

ثالثا: يجب الحج بالنسبة للمسلمين كافة فى مكان واحد وزمان واحد: إذا كانت الصلاة تجوز إقامتها فى أى مكان طاهر من الأرض، وإذا كان الصيام تختلف بدايته ونهايته باختلاف المطالع والرؤية، وإذا كانت الزكاة تتأثر بالبيئة من حيث نوعية الثروة التى تسود فيها فإن فريضة الحج جامعة فهى تؤدى بالنسبة للمسلمين كافة فى مكان واحد وزمان واحد قال تعالى: **﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾** الحج: آية ٢٧، ولأن التقاء الحجيج فى مكة وما حولها قد يفتح الباب لبعض المنازعات بينهم حذر كتاب الله هؤلاء من بعض المنهيات حتى يصح حجهم ويسلم من الهنات الهينات وغير الهينات قال تعالى: **﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يأولى الألباب﴾** البقرة: آية ١٩٧.

إن ما نصت عليه هذه الآية الكريمة من حظر الرفث والفسوق والجدال فى الحج مع أن هذه الأمور معاص يجب على المسلم ألا يقترفها فى حياته كلها فإن النص فى الآية على حظر هذه المعاصى يؤكد حرمة الحرم ووجوب تعظيمه وأن ارتكاب الإثم فيه ليس كارتكابه فى غيره من الأماكن، وأن على حجاج بيت الله أن يكونوا صورة نقية طاهرة للخلق الإسلامى والأخوة الإسلامية.

إن الحجيج الذين يفدون إلى مكة من أقطار شتى إن جمعت بينهم عقيدة واحدة، فإنهم من حيث اللغة والعادات والأعراف متباينون، والتقاء هؤلاء الحجيج فى صورة جمع حاشد من شأنه أن يثير بعض المنازعات والخلافات بينهم فجاء النص على النهى عن تلك الأمور بخاصة الجدال بمثابة التذكير بالبعد عن كل المعاصى، ومراعاة ضبط النفس والحرص على أن يكون لقاء المسلمين فى موسم الخير والتطهر، لقاء يتسم بالطاعة الكاملة كما يتسم بالحلم والسماحة وسعة الصدر والعفو؛ ليظل للمسلمين دائما مؤتمرا رائع القيم والمثل والغايات، مؤتمرا يوحد الصفوف ويقوى من ريح الأمة، فلا تنال منها قوى البغى والعدوان.

رابعا: تجمع فريضة الحج بين الدنيا والآخرة.. إن المسلم فى التزامه بكل ما كتبه الله على عباده يسعد فى حياته وبعد مماته، قال تعالى: **﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** النحل: آية ٩٧.

وورد فى بيان مقاصد الحج أو حكمته قول الله تعالى: **﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾** الحج: آية ٢٨.

وشهود المنافع بمعنى حضورها كشهود شهر رمضان، وهو يعنى المشاركة الإيجابية فيها، وأن الحج لا يكون كاملا ومقبولا إذا فرط المسلم الذى قصد البيت للنسك والطاعة فى شهود المنافع ولم يهتم بأمر المسلمين.

وقد وردت المنافع فى الآية مطلقة لم تقيد بنوع دون نوع فتشمل كل منفعة دنيوية أو أخروية، وهذا يفرض على المسلمين أن يكون لقاؤهم السنوى فى رحاب الكعبة مؤتمرا جامعا يؤكد وشائج الأخوة والمودة والتعاون وتبادل الخبرات، وعقد الصفقات التجارية، إلى غير ذلك من كل ما يوثق عرى الوحدة الإسلامية فى صورة عملية، فالمنافع بعمومها وإطلاقها تشمل كل ما ينفع الفرد(٤) والجماعة، ويعود على الأمة فى دينها ودنياها بالخير والإصلاح، ويدفع عنها السلبية والفردية.

أما ذكر اسم الله - وإن كان مطلوبا فى كل حين - فهو فى أيام الحج ذكر فى مقامات أو شعائر مباركة، إنه ذكر فى أول بيت وضع للناس، وفى مكان اختاره الله ليكون مركز الرسالة الدينية لأعظم داع إلى حياة العبودية الكاملة لله وهو إبراهيم عليه السلام، وهذا هو المكان الذى وقعت على ترابه الأحداث المجيدة التى صاغت تاريخ بدء الإسلام، وتنتشر حوله آثار الدعوة الخاتمة، والرسالة العالمية الخالدة التى تحققت قبل أربعة عشر قرنا بقيادة خاتم الأنبياء والمرسلين الذى أرسله ربه رحمة للعالمين.

خامسا: فريضة تؤكد وحدة المسلمين.. إن أول معانى الحج العامة أن الأمة الإسلامية وإن تباينت لسانا ولونا - أمة واحدة، وأن أساس وحدتها هو عقيدتها وإيمانها، فوفود الرحمن الذين أتوا من كل فج عميق جمعهم فى تلك البقاع الطاهرة والأرض المباركة إيمانهم بالله الواحد الأحد، وبما بعث به محمد صلى الله عليه وسلم كافة. وهذا الإيمان هو وحده مناط قوتهم وعزتهم، وبدونه تذهب ريحهم، ولا يكونوا خير أمة أخرجت للناس وتتجلى معانى الوحدة بين المسلمين فى الحج فى انصهار كل أعراض

الحياة من مال وجاه وقوميات وجنسيات ولغات وعادات فى بوتقة الإيمان، فهم جميعا فى مظهر واحد، ويتفاهمون فيما بينهم بلغة لا تعرفها الألسن، وإنما تفيض بها مشاعر القلوب وعواطف الوجدان وروابط الإخاء والمحبة.

سادسا: فريضة تجوز فيها الإنابة.. إن الأصل فى العبادات عدم جواز الإنابة فيها، فهى فرائض عينية تجب على المكلف مادام يتمتع بأهلية الأداء، وكان من رحمة الله أن أباح فى الحج الإنابة إذا كانت هناك ضرورة، فعن عبدالله بن عباس - رضى الله عنهما - قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبى ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يارسول الله، إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: نعم(٥) وذلك فى حجة الوداع.

ويؤخذ من هذا الحديث جواز النيابة فى الحج عن العاجز الميئوس منهم بهرم أو زمانة أو موت، وجواز حج المرأة عن الرجل، ويؤخذ من الحديث كذلك برّ الوالدين بالقيام بمصالحهما من قضاء دين وخدمة ونفقة وحج عنهما وغير ذلك، وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن أبى مات ولم يحج حجة الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت تقضيه عنه؟ قال: نعم. قال: فإنه دين عليه فاقضه**(٦).

ويعلل جمهور الفقهاء الذين أجازوا النيابة فى فريضة الحج بأن هذه الفريضة مركبة من البدنية والمالية، ففيها الخضوع لله - تعالى - بالطواف والسعى وغيرهما من الأعمال، وفيها أيضا انفاق المال فى هذا السبيل، وللإنابة فى الحج شروط متنوعة لا سبيل لتفصيل القول فيها(٧).

سابعا: التذكير بيوم النشور.. من معانى الحج أنه يذكر بيوم النشور، فهذه الثياب التى يرتديها وفود الرحمن فى إحرامهم لا تكاد تختلف عن ثياب الكفن، وهذا التذكر خير عاصم للإنسان من أن يراه الله حيث نهاه، وإنما يحرص أبلغ الحرص على أن يكون حيث أمره مولاه.

إن الموت خير واعظ للإنسان، إنه يحد من طغيان النفس الأمارة بالسوء ويجعلها دائما على ذكر من أن العمر مهما يطل سينتهى فلا تغتر بزخارف الدنيا وتعمل لما بعد الموت حتى تنعم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، والإحرام بالحج يذكر الإنسان بيوم الرحيل فيحرص على أن يتزود بخير زاد وهو التقوى.

إن الحج أو الركن الخامس بما انفرد به من خواص كانت له بين العبادات منزلة خاصة، ولهذا كان جهاد كل ضعيف لا يقوى على الجهاد لعذر شرعى، وكان أفضل العبادات كما جاء فى بعض الأحاديث، وكان الحج المبرور، أى الذى لا يخالطه إثم ليس له جزاء إلا الجنة(٨)، لأن من حج ولم يرفث ولم يفسق عاد من حجه كيوم ولدته أمه، أى أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه فعليه ألا يعود إلى ذنب بعد ذلك، فقد تزود من الحج بخير زاد، وهو به يصبح أكثر الناس خشية لله وأذكرهم له، وهذا يعنى أن صفحته بعد رحلة الحج ستظل حتى يلقى ربه نقية من دنس الإثم طاهرة من أرجاس المنكر معطرة دائما بأريج الإيمان والإحسان والتعاون على البر والتقوى.

الهوامش:

١ - انظر المنتخب من السنة جـ١ ص٣٤٥ هامش، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٢ - انظر الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص١١٣، ط دار الشروق.

٣ - انظر نيل الأوطار للشوكانى جـ٥ ص٧، ٨، ط بيروت.

٤ - انظر الإسلام عقيدة وشريعة ص١٣٢.

٥ - رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

٦ - أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط.

٧ - انظر الفقه علي المذاهب الأربعة، مبحث الحج عن الغير.

٨ - انظر حقيقة الحج لوحيد خان ص١٦، ١٧، ٢٧، ط القاهرة.

الحج الكبير.. ومشاعر فياضة

فتحى الإبيارى

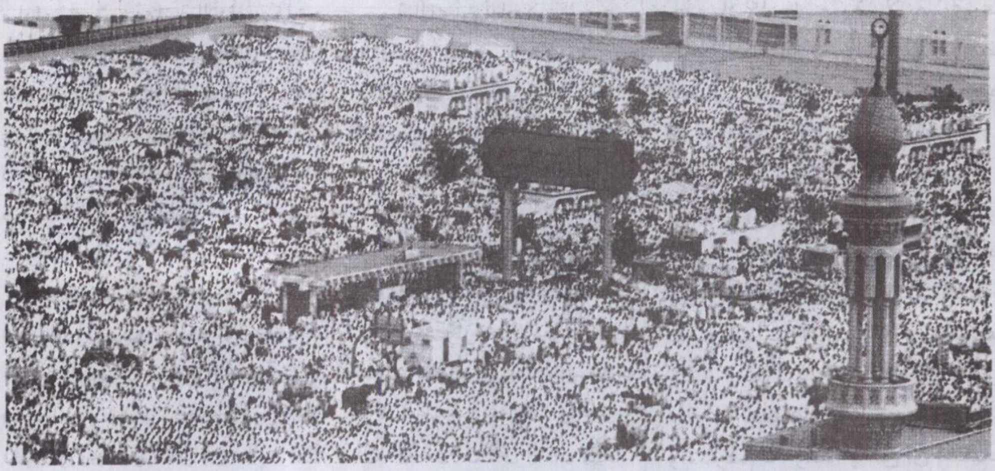

في يوم الحج الكبير.. أحسست أننى أطير.. لم أصدق أننى اجتزت كل هؤلاء الملايين من حجاج بيت الله الجالسين فى الشوارع والطرقات لأجد نفسى أمام بيت الحب الكبير - الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. رافعا يدى مع الملايين مكبرا مهللا شوقا ارتج صدرى شوقا.. واحسست أن ذراعاى قد طوقت البيت لاحتضنه فى حب الملهوف وشوق المحروم إلى صدرى المثقل بآثام الدنيا وأتربتها السوداء.

عندئذ اغتسلت نفسى.. سبحانك ربى رب هؤلاء البشر الذين استضفتهم من كل فج عميق.. لتمنحهم غفرانك وعفوك.. ورحمتك. ياأصفى نبع لسدرة الحب.. اللامنتهى.. حول بيتك الحبيب لا يشعر المرء بكينونته. فقد أصبحت ذرة من الذرات التى تطوف. وتطوف وتطوف مسبحة بوحدانيتك مترنمة بحمدك لاهثة بشكرك.

يارب ما أجمل الفناء فى فيض حبك حول بيت الحب.. بيتك.

عاريا.. عاريا.. عاريا.

من كل أدران الدنيا الدنية.. الفانية.. متعلقا بأستار نور عاريا.. التحف كفنى..

ودموعى تبلل وجهى.. وكأنها تحميها من لهيب الجو.. فما بال نار جهنم - الحجاج بآلاف الآلاف يسدون جميع الطرقات والشوارع المؤدية إلى بيت الله الحرام.. وكأنه يوم الحشر.. عيناى تعلقت بهذه الحشود الغفيرة.. وقد ارتدت كفنها الأبيض، وكأنما بعثت من جديد.. عيناى لا ترى إلا اللون الأبيض، فالدموع تنهمر شوقا.. كأمطار الربيع.. وقلبى يرقص فرحا.. وطربا.. وشوقا.. وشكرا.. لأن العلى القدير استضافنى فى بيته العتيق مع الملايين.

رحمتك الساطعة، مترنما مع الملايين ودموعهم منهمرة حبا.. وباكية.

ومنهم من يقول: ﴿**ربنا آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**﴾ البقرة: آية ٢٠١، **وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز ياغفار.**

وذهبنا إلى «منى». كان الجو حارا، وربما بلغت درجة الحرارة خمسين درجة، واحتمينا بالخيام. وكانت خيمتنا كبيرة تضم خمسين حاجا. وارتمينا على الأرض فوق الحصير، وبجوارى الحاج محمود كامل المؤرخ الموسيقى. الذى كان يعانى من مرض الربو، ولا يحتمل الحر، والمكان المغلق. والتف حولنا بعض الزملاء فى رحلة العمر، ووضعت رأسى فوق المخدة البلاستيك التى تنفخها عند الاستعمال. حاولت النوم.. ولكن الحر الشديد أذاب النوم. وشعرت بالعرق يتفجر من بصيلات شعرى، وينهمر فوق رأسى، ويسيل على وجهى، وأنا لا أستطيع أن أحرك يدى لأمسح العرق الذى يتصبب وكأننى أستحم، ونظرت إلى التراب الذى ننام فوقه. وتأملت قدرة الله العلى القدير.. يا سبحان الله.. إنها حكمة من الله، لكى يقف الإنسان مع نفسه فى ذلك الحج الكبير.. بين الملايين الذين دعاهم الله إلى رحاب غفرانه، وعفوه. من ذلك التراب خلقنا الله، وكل حاج يغطى جسده الترابى بكفنه ليستر عورته. لا استحمام، ولا قص شعر، ولا طيب، ولا رائحة. حتى يتذكر الإنسان أنه جيفة نتنة، مهما بلغ من قوة وجبروت، وسلطان. وأن حياته الدنيوية لعب ولهو، إلا من خشى ربه، وتذكر أن كل شىء زائل إلا وجهه، وكل من عليها فان، إلا الله سبحانه وتعالى. وفى كل خطوة من خطوات الحج الكبير، تشعر الإنسان بأنه من التراب.. وإلى التراب يعود.. فلم لا يكون من عباد الله الشاكرين، الساعين، العابدين، الصالحين. يرعى الله، ويرعى نفسه، ويكون محبا للآخرين كما يحب نفسه.

مشاعر وأحاسيس فياضة، تموج بها النفس، وقطرات العرق تتصبب فوق وجهى، والحرارة الرهيبة تكاد تحرق الخيام، فما بال نار جهنم، اللهم نعوذ بك من شر الجحيم، وعذاب القبر، وتولنا برحمتك إلى طريق عبادك الصالحين، الشاكرين الحامدين، يارب العالمين.

وتنامى إلى سمعى، وأنا ممدد الجسد، والوهن يتسرب إلى أنحائه، أن بعض الحجاج المسنين قد فارقوا الحياة، ولم يتحملوا تلك الحرارة الرهيبة. ودعوت الله أن يتم علىَّ نعمته، وأن تحين الساعة وأنا فوق جبل عرفات. فالحج عرفة. وشعرت بهزة عنيفة شدتنى من سبحاتى فى ملكوت الله - سبحانه وتعالى - وسمعت أن الحاج محمود كامل، أصيب بضربة شمس، وأنه يرتعش، ويرتج جسده كله، وتملكتنى قوة من الله، وقفزت من مكانى، وذهبت إلى الحاج محمود، ولمست جبهته، كانت تغلى من شدة الحرارة. وخرجت مع بعض الأصدقاء، والشمس تتوسط كبد السماء، نبحث عن مركز الاسعاف. ووفقنا الله فى سيارة إسعاف كانت تنقل بعض المصابين، وهرعنا إلى الحاج محمود وحملناه إلى السيارة، وركبت معه إلى المستشفى التى كانت مستعدة لاستقبال مئات من الحجاج

قصة نبى الله إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - رمز للطاعة والوفاء والتضحية والامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى

المصابين بضربة شمس. وكنت مذهولا، خشية أن يفارق الروح، ثم لا نعلم عنه شيئا بعد ذلك. فالذى يموت فى الأراضى المقدسة، يكون ضيفا عند الله لا مكان معلوم لدفنه، وإنما هناك مقبرة كبيرة تسمى «الشرشورة» يدفن بها الحجاج الذين فاضت روحهم إلى بارئها.

ووصلنا إلى مستشفى (منى)، وكان هناك بعض الأطباء المصريين، وعلى الفور تم إجراء الاختبارات الإلكترونية، عليه، من ضغط الدم، السكر، وضربات القلب، ثم غطوا جسده بلفافات من الشاش، ورشوا فوق جسده قطرات من الأثير، وانخفضت درجة حرارته، وطلب منى الطبيب أن أنتظر فى الاستراحة، وجلست أتأمل حكمة الله. فقد أحسست بالهواء البارد الذى يملأ كل مكان من التكييف المركزى. وكأن الله - سبحانه وتعالى - قد أنقذنى من الحرارة الشديدة، لأكون فى هذا المكان بجوار الحاج محمود المريض. وظللت فى المستشفى حتى المساء، وكنا نصلى عندما يحين وقت الصلاة. ورأيت بعض الحجاج المسنين وأجسادهم كالهياكل قد جاءوا من أقاصى الدنيا، وهم يلفظون أنفاسهم. حركة دائبة بين الأطباء والممرضات.. لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الحجاج. وخرجت من المستشفى ومعى الحاج محمود، وسرنا بين الآلاف.. نبحث عن مكان خيمتنا.. حتى وصلنا بصعوبة.

وفى صباح اليوم التالى التاسع من ذى الحجة، كنا فوق جبل عرفات. نكبر، ونهلل، ونصلى، **«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك»**. كان عدد الحجاج فى ذلك العيد الكبير. ما يقرب من خمسة ملايين حاج، استضافهم الله من أقصى أقاصى هذه الكرة الدنيوية، التى تعتبر ذرة من ذرات ملكوت الله - سبحانه وتعالى - وتهافت الآلاف من الحجاج فوق جبل عرفات بالقرب من النصب وهو ذلك المكان الذى وقف فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام ليذبح ابنه إسماعيل. وقال سيدنا إبراهيم لابنه:

- يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك.

قال إسماعيل:

- ياأبتِ افعل ما تؤمر به..

وقصة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل.. تعتبر رمزا للطاعة، والوفاء والتضحية، والامتثال لأمر الله - سبحانه وتعالى - إنه يوم عيد. يوم أن يقول الله - سبحانه وتعالى - **للملائكة.. هؤلاء عبادى.. جاءوا من كل مكان يستغفروننى.. ويسبحون، ويشكرون.. ولقد غفرت لهم.**

وسرت بين الكتل البشرية، وقد ارتدوا أكفانهم البيضاء. أترنم بالتسابيح والشكر على استضافة الرحمن لى ولعباده. ووجدت نفسى أقف فوق جبل عرفات، ودعوت الله أن يتغمدنى برحمته، وأن يدخلنى فى عباده الصالحين. وأعوذ به من عذاب القبر، ومن كل شر، وأن يجعلنى بجوار أمى نبع الحب الصافى، عندما تقترب نهاية رحلتها الدنيوية، وقد حقق لى الله تلك الأمنية، وأكرمنى. وكنت إمام المصلين عليها. فلك الحمد والشكر يارب العالمين.

وغربت الشمس من فوق جبل عرفات.. وأسرع الحجاج إلى المزدلفة لصلاة المغرب والعشاء، وجمع الجمرات التى سترمى بها إبليس فى اليوم التالى فى «منى».. وصلينا الفجر فى «منى». وطلع علينا صباح العيد الكبير.. لأول مرة.. بعيدا عن الأهل والأصدقاء كما تعودنا فى سنوات حياتنا. كان عيدا كبيرا.. فى ضيافة الرحمن العلى القدير.

ورمينا الجمرات على إبليس.. ومرت الأيام أيام مناسك الحج.. وعدنا إلى الكعبة لنطوف طواف الإفاضة. وتحللنا من كل القيود. لنعود مرة أخرى إلى حياتنا الدنيوية أطهارا كما ولدتنا أمهاتنا.

اللهم عودة يارب إلى بيتك العتيق، فى حج كبير. اللهم تقبل حجتنا.. والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين.. سيدنا محمد ﷺ.

الكعبة المشرفة مكانا ومكانة (١)

البيت الحرام والكعبة المشرفة

فضيلة الشيخ/ شوقى عبداللطيف أيوب

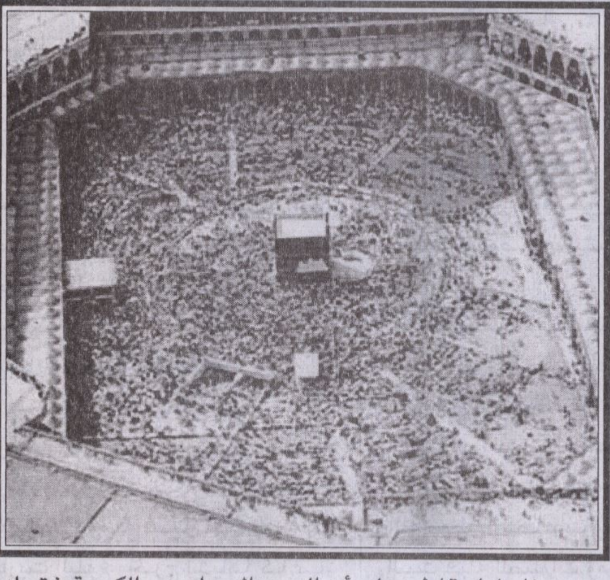

بيت الله الحرام هو الكعبة المشرفة، وهو أول بيت وضع للناس وحباه بالبركة فى العبادة وفى كل شىء، وحصن من دخله بالأمن والأمان، وهذا البيت أحاطه الله بالإسراء المملوء بالتجليات الإلهية فضلا عن الآيات البينات التى تغمر الحجيج فيشعرون بحلاوتها وجمالها قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: الآيتان ٩٦، ٩٧.

وفى قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْىَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ المائدة: آية ٩٧.

وهذا دليل قاطع على أن البيت الحرام هو الكعبة فقوله: «البيت الحرام، عطف بيان ذكر على سبيل المدح ومعلوم أن عطف البيان هو عين ما عطف عليه وهو «الكعبة».

وسمى البيت الحرام بهذا المسمى لأن الله حرم وعظم حرمته. فالحرام بمعنى المحرم.

وفى الحديث الشريف: «**أن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهى حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة، ولم تحل لأحد قبلى، ولاتحل لأحد بعدى، ولم تحل لى قط إلا ساعة من نهار**» رواه البخارى.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى، ولم يحل لى إلا فى ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى**

يوم القيامة: لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها، فقال العباس: يا رسول الله إلا الأذخر فإنه يقتهم ولبيوتهم ، فقال إلا الاذخر».

ولقد أشار الرسول ﷺ وهو فى طريق هجرته إلى فضل مكة وعظم قدرها عن عبد الله بن الحمراء الزهرى، أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف بالحرورة بسوق مكة يقول: «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت**» رواه أحمد، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة.

سبب التسمية بالكعبة:

سمى البيت كعبة لتكعبه أى لتربعه وقيل سمى «كعبة» لارتفاعها عن الأرض، وأصلها من الخروج والارتفاع ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرج ثدياها كاعب، فالكعبة لما ارتفع ذكرها فى الدنيا وأشتهر أمرها فى المدائن سميت بهذا الاسم.

ولذا .. فإنهم يقولون عظم قدره وارتفع شأنه فلان علا كعبة.

ومعنى قياما للناس أنه مدار لقيام أمر دينهم ودنياهم.

أما قيام أمر دينهم فلأنه يتوجه إليه الحجاج والعمار، فيكون مافى البيت من المناسك العظيمة والطاعات الشريفة سببا لحط الخطايا وارتفاع الدرجات ونيل الكرامات.

وأما قيام أمر دنياهم فلأنه يجبى إلى الحرم ثمرات كل شىء ينعم ويأكل من خيرها أهل مكة ومن جاورهم قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً**﴾ القصص: آية ٥٧.

وفى رحاب البيت الحرام يأمن الناس على أموالهم وديارهم ، فلا يتعرض لهم أحد فى الحرم بسوء أو أذى حتى أن الرجل إذا قتل قتيلا ولجأ إلى الحرم يأمن فيه حتى إذا خرج من أرض الحرم أقيم عليه الحد.

وفى ذلك إشارة لطيفة لأن الناس حين يأمنون على أنفسهم واموالهم فإنهم يتفرغون للطاعات والعبادات والصلوات والأذكار.

قصة بناء الكعبة:

من الأمور المؤكدة أن البيت الحرام هو أول بيت وضع للناس، وهذه خصوصية لا يشاركه فيها بيت آخر فى أولويته واشتراك جميع الناس فيه.

أما سائر البيوت فيكون كل واحد فيها مختصاً بواحد من الناس، وبالتالى فإن هذه البيوت لا تكون موضوعاً للناس.

وكون البيت مشتركاً فيه بين كل الناس لا يحصل إلا إذا كان البيت موضوعاً للطاعات والعبادات وقبلة للخلق، فدل قوله تعالى: ﴿**إن أول بيت وضع للناس**﴾ على أن هذا البيت وضعه الله موضعاً للطاعات والخيرات والعبادات، فيدخل فيه كون هذا البيت قبلة للصلوات وموضعاً للحج ومكاناً يزداد ثواب العبادات والطاعات فيه.

أسماء الكعبة:

وللكعبة أسماء هى: «الكعبة ـ بكة ـ البيت الحرام ـ البيت العتيق» وهذه الأسماء نص عليها القرآن الكريم. كما أن هناك أسماء ذكرها المؤرخون، ولكننا نكتفى بما ورد ذكره فى القرآن الكريم.

عمارة الكعبة بالبناء والتجديد:

ولما كانت الكعبة المكرمة أمرها كذلك وفضلها عظيم، بإخبار الله تعالى عنها، اقتضى مقامها اهتمام كثير من أهل العلم بالبحث فى أخبار عمارتها وفى عدد بنائها ومن بنوه ، وقد ذكر الإمام أبو الطيب/محمد بن أحمد الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢هـ فى كتابيه (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) (العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين) ذكر أن الكعبة المعظمة بنيت عشر مرات هى:

١ ـ بناء الملائكة:

وهذا ثابت بما رواه الواحدى فى البسيط بإسناده عن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ أجمعين عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى بعث ملائكته فقال: ابنوا لى فى الأرض بيتاً على مثال البيت المعمور، وأمر الله تعالى من فى الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، وهذا كان قبل خلق آدم**».

٢ ـ بناء آدم عليه السلام:

روى البيهقى فى كتاب «دلائل النبوة» عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما: ابنيا لى بيتاً، فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى أجابه الماء فنودى من تحته: حسبك يا آدم، فلما بناه أوحى الله إليه أن تطوف به، وقيل له: أنت أول الناس وهذا أول بيت، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه**» ومن ثم يعد آدم عليه السلام أول من أسس البيت وصلى فيه.

٣ ـ بناء أولاد آدم:

روى الأزرقى بسنده إلى وهب بن منبه قال: ولما مات آدم عليه السلام قام أولاده من بعده بتجديد بناء الكعبة بالطين والحجارة، فلم يزل معموراً يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق حتى بوئ لإبراهيم عليه السلام.

«أ.هـ .بتصرف من كتاب: شفاء الغرام ـ بأخبار بيت الله الحرام».

٤ ـ بناء الخليل إبراهيم:

بعد الطوفان اندرس موضع الكعبة وبقى مختفياً إلى أن بعث الله تعالى جبريل ـ صلوات الله عليه ـ إلى إبراهيم عليه السلام ودله على مكان البيت وأمره بعمارته، فكان المهندس جبريل والبناء إبراهيم والمعين إسماعيل ـ عليهم السلام ـ وبناء الخليل لا يحتاج إلى خبر لأنه ثابت بدليل قطعى الثبوت من نصوص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل**﴾.

وقوله سبحانه: ﴿**وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود**﴾.

هذا وقد حقق الحافظ ابن كثير وغيره أن أول من أقام قواعد البيت هو إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ.

٥، ٦ ـ بناء العمالقة وبناء جرهم:

ذكرهما الأزرقى بسنده عن على رضى الله عنه قال فى خبر بناء إبراهيم الكعبة «ثم انهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته قبيلة جرهم ثم انهدم فبنته قريش» وذكره أيضاً الفاكهى لأنه روى بسنده عن على رضى الله عنه وذكر المسعودى أن الذى بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الأصغر.

٧ ـ بناء قصى بن كلاب:

ذكره الزبير بن بكار قاضى مكة فى كتاب النسب لأنه قال: «وقال غير أبى عبيدة من قريش بن عبد العزى ابن عمران العنبسى أخذ قصى فى بنيان البيت وجمع نفقته ثم هدمها فبناها بنياناً لم يبن أحد ممن بناها مثله وجعل وهو يبنيها يقول:

ابنى وبيت الله يرفعها

وليبن أهل وراءها بعدى

بيتاً بها وتمامها وحجابها

بيد الإله وليس بالعبد

وللزبير بن بكار أقوال أخرى فى خبر بناء قصى الكعبة ذكرها الفاكهى فى كتاب (أخبار مكة (ونقل عنه أبو الطيب الفاسى فى (شفاء الغرام).

وذكر أبو عبد الله محمد بن عابدين الدمشقى فى مغازيه أن قصى بن كلاب بنى البيت وجزم به الماوردى فى الأحكام السلطانية لأنه قال: فكأن أول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد إبراهيم عليه السلام قصى ابن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل.

٨ ـ بناء قريش فى الجاهلية قبل البعثة المحمدية:

هو ثابت فى السنة الشريفة الصحيحة عن النبى ﷺ وكان يومئذ

ابن خمس وثلاثين سنة كما جزم به ابن إسحاق وغير واحد من العلماء.

وقيل: ابن خمس وعشرين سنة، وقيل ابن ثلاثين سنة، وقيل غير ذلك، وكلها روايات نقلها المؤرخون وكلهم يجمعون على الأصل وهو وجوده ﷺ فى زمن بنائها وأنه شاهد هذا الحدث التاريخى العظيم وكان ذلك قبل بعثته ﷺ وأنه ﷺ هو الذى وضع الحجر الأسود فى موضعه من الكعبة حين اختلفت قريش فى ذلك.

حكمة النبى ﷺ فى إخماد لهيب الفتن:

تتجلى حكمته ﷺ فى إطفاء لهيب الفتنة فى موقفين:

الأول: حين اختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود فى موضعه، فقضى رسول الله ﷺ بوضع الحجر الأسود على ثوبه الشريف، ويشترك من كل قبيلة فرد فى رفع الثوب إلى موضوع الحجر، ثم رفع النبى ﷺ الحجر الأسود بيده الشريفة، ووضعه فى موضعه، فأطفأ لهيب الفتنة، ورضى الجميع حكمه وصنيعه.

الثانى: كان بعد البعثة حين قالت عائشة: يارسول ألا ترد الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام؟ فكان جوابه ﷺ يتسم بالحكمة البالغة، وذلك فيما رواه النسائى وغيره، عن عروة، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال لها: **«يا عائشة لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين، بابًا شرقيًا، وبابًا غربيًا، فإنهم قد عجزوا عن بنائه، فبلغت به أساس إبراهيم عليه السلام»**.

قال عروة ـ كما نقل عنه النسائى ـ: فذلك الذى حمل ابن الزبير على هدمه قال يزيد: وقد شهدت ابن الزبير حين هدمه وبناه، وأدخل فيه من الحجر وقد رأيت أساس إبراهيم عليه السلام حجارة كأسنمة الإبل متلاحكة، أى: شديد الملائمة. هكذا عند النسائى.

٩ ـ بناء الزبير للكعبة:

هو ثابت مشهور، والرواية السابقة عند النسائى تؤكد فضلا عن روايات أخرى عند مسلم والأزرقى وغيرهما.

وسبب ذلك: ما أصاب الكعبة من حجارة المنجنيق حين حوصر ابن الزبير بمكة فى أوائل سنة أربع وستين من الهجرة، لمعاندته يزيد بن معاوية، وما أصابها بعد ذلك من الحريق بسبب النار التى أوقدها بعض أصحاب ابن الزبير فى خيمة له، فطارت الرياح بلهب تلك النار ، فأحرقت كسوة الكعبة، فضعفت جدرانه.. فتركه ابن الزبير حتى قدم الناس فى موسم الحج، فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس أشيروا علىَّ فى الكعبة، أنقضها ثم أبنيها، أو أصلح ما وهى منها؟

فقال له ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إنى أرى أن تصلح ما وهى منها، وتدع بيتا أسلم الناس عليه، وحجارة أسلم الناس عليها، وبعث عليها النبى ﷺ فقال ابن الزبير: لو أن أحدكم احترق بيته ما رضى حتى يجدده، فكيف ببيت ربكم، إنى مستخير ربى ثلاثا، ثم عازم على أمرى فلما مضت الثلاثة أجمع رأيه أن ينقضها.

فهدمت الكعبة حتى بلغت الأرض، وكان يوم السبت فى النصف من جمادى الآخرة سنة أربع وستين، وبناها على قواعد إبراهيم ، وأدخل فيها ما أخرجته منها قريش فى الحجر، ﷺ فى طولها على بناء قريش نظير ما زادته قريش على بناء الخليل، وذلك تسعة أذرع ، فصار طولها سبعة وعشرين ذراعا.. وجعل لها بابين لاصقين بالأرض، أحدهما بابها الموجود اليوم، والآخر المقابل له المسدود.. معتمدا فى ذلك على ما أخبرته به خالته عائشة ـ رضى الله عنها ـ.

وجعل فيها ثلاث دعائم فى صف واحد، لها درجة فى ركنها الشامى يصعد منها إلى سطحها، وجعل فيها ميزابا يصب فى الحجر، وجعل فيها روازن للضوء.

ولما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود وضعه عبد الله بن الزبير بنفسه، وذلك على أرجح الأخبار الواردة فى ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ «ذكره النسائى ومسلم».

١٠ـ بناء الحجاج الثقفى للكعبة:

هو أيضا ثابت مشهور، ذكره الأزرقى وغيره، ونقل ملخصه أبو الطيب الفاسى فى «شفاء الغرام» وهو أن الحجاج بعد محاصرته ابن الزبير وقتله، كتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس منها، وأحدث فيها بابا آخر، واستأذنه فى رد ذلك على ما كان عليه فى الجاهلية، فكتب إليه عبد الملك أن يسد بابها الغربى، ويهدم مازاد فيها ابن الزبير من الحجر ، ويكبسها به على ما كانت عليه ففعل ذلك الحجاج.

وبناؤه فى الكعبة الجدار الذى من جهة الحجر، والباب الغربى المسدد فى ظهر الكعبة عند الركن اليمانى، وما تحت عتبة الباب الشرقى، وهو أربعة أذرع وشبر، على ما ذكر الأزرقى، وترك بقية الكعبة على بناء ابن الزبير.

ثم إن عبد الملك بن مروان ندم بعد ذلك على ما وقع منه فى أمر الكعبة، وقال: وددت والله أنى كنت ابن الزبير ما تحمل حين أخبره الحارث بن عبد الله من حديث عائشة الذى سمعه منها، والذى اعتمد عليه ابن الزبير فيما فعله فى الكعبة «من كتاب شفاء الغرام».

سدانة الكعبة:

وهى ولاية الكعبة المشرفة والقيام على خدمتها بعد أن بنى إبراهيم وولده إسماعيل الكعبة ـ عليهما السلام ـ غادر إبراهيم مكة، فتولى سدانة الكعبة ولده إسماعيل، ثم من بعده الجرهميون من قبيلة جرهم، ثم تولاها فريق من الوثنيين، ثم نقلت إلى قبيلة قريش، وكان أبرزهم قصى بن كلاب الذى عهد بالسدانة والمهام الدينية لولده الأكبر عبد الدار.

فأوصى عبد الدار بالسدانة لابنه عثمان، فتولاها بعد موت أبيه، وتولاها بعد عثمان ابنه عبد العزى، ووليها بعده أبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، وانتهت إلى عثمان بن طلحة بن عبد الله بن العزى.

وفى يوم فتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة كانت السدانة بيد عثمان بن طلحة وأخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة المشرفة، ودخلها ومعه عثمان وبلال، ثم خرج فطلب إليه عمه العباس أن يضم الحجابة ـ أى: سدانة الكعبة ـ إلى السقاية التى كانت له، فأنزل الله على رسوله الكريم ﷺ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ النساء: آية ٥٨.

فتلاها ﷺ على المسلمين، ثم دعا عثمان بن طلحة وأعاد إليه مفتاح الكعبة، وأيد قول الله تعالى بقوله الحق: «**خذوا يابنى أبى طلحة بأمانة الله سبحانه واعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة، لاينزعها من أيديكم إلا ظالم**».

ومن ذلك اليوم المشهود مفتاح الكعبة فى أيديهم إلى يومنا هذا، وسيظل إن شاء الله تعالى إنفاذا لوعد الله ورسوله ﷺ.

طيب الكعبة:

طيب الكعبة مستحب فقد روى الإمام أبى الطيب الفاسى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: «**طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره**».

وروى عنها أيضا أنها قالت: «**لأن أطيب الكعبة أحب إلى من أن أهدى لها ذهبا**».

ونص النووى على أنه يجوز أخذ شىء من طيب الكعبة، لا للتبرك، ولا لغيره.

«العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ـ بتصرف للإمام أبى الطيب محمد بن أحمد الفاسى».

شاذروان الكعبة:

هو الأحجار الملاصقة بالكعبة التى فوقها مسنم مرخم، فى الجانب الشرقى والغربى واليمانى، وفى الجانب الشرقى حجارة لا بناء عليها هى شاذروان، وأما الأحجار التى تلى جدار الكعبة الشامى فليست شاذروانا، لكون موضعها من البيت بلا ريب.

والشاذروان: هو ما نقصته قريش من عرض أساس جدار البيت حين ظهر على الأرض كما هو عادة الأبنية. أشار إلى ذلك الشيخ أبوحامد الإسفراينى وغيره من ائمة الشافعية.

حكم الطواف عليه أو ملامسته:

من طاف عليه أو كان ملامسا لبدنه أو لشىء منه فطوافه غير صحيح على مذهب الشافعى، ووافقه كثير من أهل العلم، لأن الشاذروان يعد جزءا من البيت، والواجب الطواف حول البيت ، فلا يصح عليه ولا بداخله .والله أعلم.

الحج صفحة جديدة للطهر والنقاء

د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة

من قبل الإسلام، والعرب يحجون إلى مكة ويأتون بشعائر الحج من طواف وسعى ووقوف بعرفة وغير ذلك. ولما جاء الإسلام أبقى هذه الشعائر، وغير من روحها، وسما بالمقصد والغرض، فبعد أن كانت الكعبة مملوءة بالأصنام، أمر بكسرها وتحطيمها وإزالتها، وجعل العبادة والحج وشعائره لله وحده، وأفهم العرب أن الحج ليس إلا تعظيما لبيت من بيوت الله، وربطا روحيا بالسلف الصالح من عهد إبراهيم وإسماعيل ومن خلفهما من الأنبياء والصالحين، ومجتمعا للنفوس الطاهرة تدعو ربها وتسمو عن سخائف الدنيا وسفاسف الأمور، وهجرة من الديار، ومفارقة للأهل والأوطان، وتحملا للمشاق، وتهذيبا للإرادة لتعويدها تحمل المشاق فى سبيل مرضاة الله، واجتماعا لطوائف المسلمين من أقطار الأرض فى مكان واحد يتبادلون فيه الرأى فى حال أممهم، ويتعاونون على ما يصلح شئونهم، ويتعاهدون فيه الإيمان بالله والصدق فى عبادته والعمل لخير المسلمين.

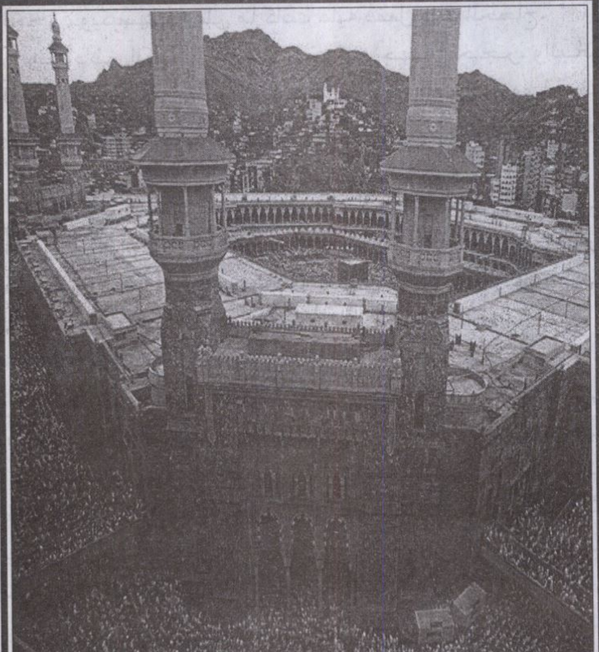

إن الحج وسيلة من أسمى وسائل قيادة الإنسان إلى الله - تعالى - وهو مجموعة رائعة من الرموز الروحية التى تنتهى بالمسلم إلى الدخول فى المحيط الإلهى، وتبدأ أعمال الحج بالاغتسال الظاهرى بالنظافة الجسمية، فإذا ما تم ذلك: يتوب المسلم توبة خالصة نصوحا نادما على ما فعل من آثام، مقلعا عن الذنب، عازما عزما لا يلين ألا يعود إلى ذنب أبدا - متجها بتوبته إلى الله - تعالى - طالبا منه العون والتوفيق، راجيا مرضاته. وتأكيدا لهذا التطهر الباطن والتطهر الظاهر، يلبس ملابس الإحرام بيضاء ناصعة: يلبسها على طبيعتها التى نسجت عليها دون أن تدخلها صنعة فتغير من معالمها أو تبدل من أوضاعها، إنه يلبسها على الفطرة وعلى النقاء تاركا ما

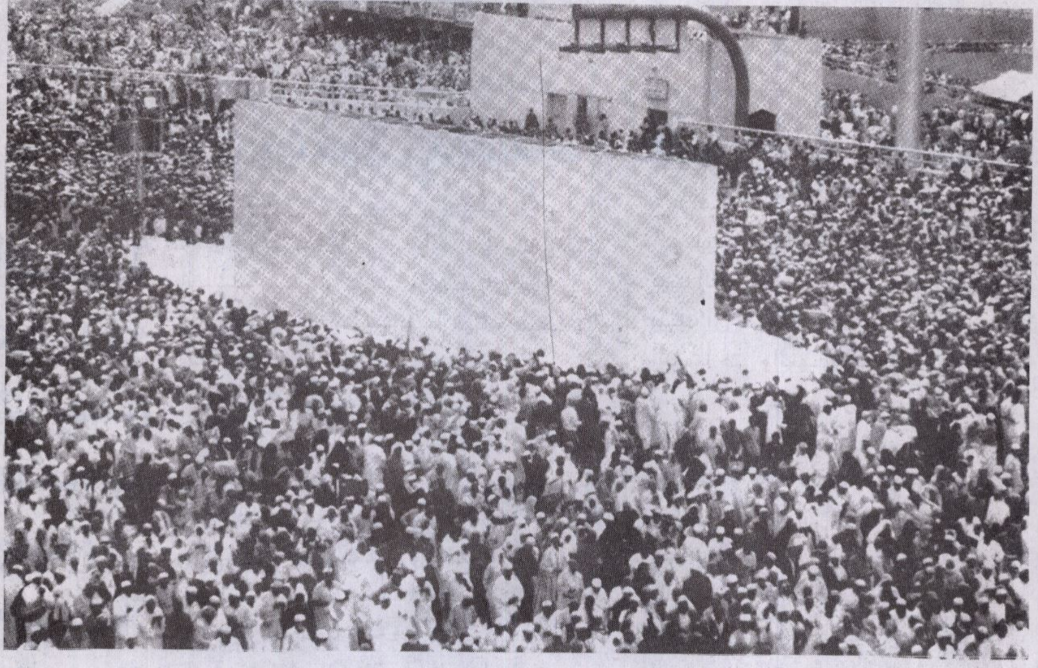

الحج مجموعة رائعة من الشعائر الروحية تنتهى بالمسلم إلى الدخول فى المحيط الإلهى

عساه أن يكون قد تلوث بالأخطاء من ملابس، ثم يسجل العزم على استمرار الطهر فيما يستقبل من أيام بهذه الكلمات التى تعبر عن الاستجابة الكاملة لله - سبحانه وتعالى -: **لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**، ويكرر الحاج هذا العهد فى كل آونة إذا نزل مصبحا وممسيا حتى إذا ما وصل إلى البيت الحرام وبدأ الطواف، يبدؤه ببسم الله الرحمن الرحيم.

وفى الحج العديد من المزايا منها: معاهدة الإنسان الله أن يفتح فى حياته صفحة جديدة فيها الندم على ما ارتكب من شرور، وفيها العزم على عمل الخير وطهارة النفس واستحضار الله فيما يأتى ومايذر.

وفى هذا كله طهارة لنفسه وتقوية لروحانيته، وكل شعائر الحج وسائل لتحقيق هذه الأغراض وتثبيت لها، وتجسيد لروحانيتها، فهو يبدأ بالإحرام، يتجرد من ثيابه المخيطة المتفاوتة فى القيمة، المختلفة فى الأشكال والزينة، رمزا إلى أن الإنسان خرج إلى ربه من زخارف الدنيا ومباهجها، ويلبس البياض رمزا إلى الطهارة فى النفس، ويلبس الحجاج كلهم لباسا واحدا من هذا الصنف رمزا إلى أن الناس أمام الله سواء، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم وملوكهم وسوقتهم، وأن الله لا يعبأ بالغنى لغناه، ولا يصد عن الفقير لفقره، وأن القيمة الحقة للإنسان فى نفسه وفضائله، لا فى ملبسه وماله وجاهه - ولهذا كان منظر الحجاج عند إحرامهم منظرا يأخذ بالنفس - يشعر المسلمون فيه بالأخوة التامة بينهم، لا فرق بينهم فى الجنس ولا اللغة ولا

التلبية عهد مع الله بفتح صفحة جديدة فى حياة الإنسان فيها الندم على ما ارتكب من آثام والعزم على فعل الخير

اللون ولا فى أى عرض من أعراض الدنيا، فإذا ارتفع صوتهم بالتلبية فمعناها رجوع النفس إلى ربها وسؤالها الله أن يوفقها لصالح الأعمال، ويمن عليها بإطاعة أوامره واجتناب نواهيه، وهو كلما قابل أحدا أو دخل مجتمعا أو صعد أو هبط واديا كرر التلبية ليذكر دائما موقفه أمام ربه، وليحفظ على نفسه طهارتها وصفاءها وشوقها إلى خالقها.

يصل الحجاج إلى مكة فى ثياب الإحرام، ويقع نظرهم على الكعبة، فيلهجون بالتلبية ويطوفون حولها سبعا، يعبر عنها فى لغة الدين بالطواف سبعة أشواط، إحياء لسنة إبراهيم عليه السلام فى عمله. والنفس إذا امتلأت بحرارة الإيمان وجدت لذتها فى الحركة، وكلما مر الطائف بالحجر الأسود - وهو فى زاوية من زوايا الكعبة - استلمه إن أمكن، أو سلم عليه بيمينه إن لم يمكنه من الزحام حوله. وتعظيم الحجر لا لذاته، فإن الإسلام تنزه عن عبادة الأحجار والأصنام، ولكن عظمه الإسلام على أنه أثر من آثار أبينا إبراهيم عليه السلام، فنحبه ونحب ذكره، وآثاره، كما يحب الإنسان أثر من كان عزيزا عليه، وفى هذا الطواف كله يحلو للحاج أن يمعن فى الدعاء، يجد فيه راحته وطمأنينة نفسه، ثم يسعى بين الصفا والمروة. وهو طريق طوله نحو أربعمائة وعشرين مترا ينتهى من ناحية بربوة تسمى «الصفا» وبربوة أخرى تسمى «المروة». وهذا السعى شعيرة من شعائر الحج. وقد حث الإسلام على السعى فى بعض أجزاء الطريق فى إسراع، ليظهر المسلمون جلدهم وقوتهم واحتمالهم للمشاق أمام أعدائهم، وبقيت هذه سنة الإسلام إلى اليوم - وفى هذا المسعى ترى جميع أجناس المسلمين من تركى وهندى وشامى ومصرى ومغربى ويمنى وفارسى ويابانى وغير ذلك، تختلف ألسنتهم وألوانهم وتتحد أغراضهم والتجاؤهم لربهم، وتراهم وقد دفعتهم حرارة الإيمان إلى السعى الطويل يتذكرون ما حدث لإبراهيم عليه السلام عندما ترك ابنه الرضيع إسماعيل وأمه هاجر عند بيت الله الحرام ومعهما زاد قليل لم يلبث أن نفد، وجاءت الأم وألح بها الظمأ هى وابنها وكان يتلوى باكيا صارخا فى منظر يفتت القلوب فانطلقت إلى الصفا أقرب المرتفعات إليها، وأخذت تجيل بصرها فى الوادى عسى أن ترى هل من أحد فلم تر أحدا. وقد أنهكها الجوع والعطش.. كانت تسعى وفى ذهنها صورة ابنها الرضيع وقد ألم به الجوع والعطش وأخذت تسعى حتى جاوزت الوادى ووصلت إلى جبل المروة، فارتقته وأخذت تنظر هل من أحد فلم تر أحدا، وعادت إلى الوادى وسعت فى اتجاه الصفا.. وعادت من جديد هابطة تتردى حيرى.. سبع مرات.. هذا هو منسك السعى بين الصفا والمروة، شعيرة من شعائر الحج، وإذا كانت رحمة وحنان الأم من أجل رضيعها، فإن الرحمة التى يستشرفها الحاج هى الرحمة بالإنسانية جمعاء، بكل من يحس بالألم أو يشعر بالضيق بسبب ما يحل به من جوع أو ظمأ أو ما يشعر به من خوف وقلق.. الرحمة بكل من هو فى حاجة إلى الرحمة.

وإذ بهاجر عند موضع زمزم بعد سعيها المرات السبع، وإذا النبع يتفجر من بين أصابع الرضيع وتلوح السعادة على وجه الأم، ويسجد قلبها

شكرا لله.. وكان من تدبير الله - سبحانه وتعالى - أن مرت فى هذه الفترة بالقرب من الماء قافلة من قبيلة جرهم.. وكانوا يعلمون أن الطيور لا تحوم إلا على ماء، ويعلمون من جانب آخر أن هذا المكان وقد مروا به من قبل لا ماء فيه، ولأجل أن يقطعوا الشك باليقين أرسلوا رسلا لمعرفة الخبر، فرجع الرسل مؤكدين متهللين بوجود الماء وأقبل الجميع وكانت أم إسماعيل على الماء..

إن الله لا يضيع أهله، من أجل ذلك فجر ماء زمزم رحمة بإسماعيل وأمه هاجر، وقامت أم إسماعيل بإرضاعه والشرب من ذلك الماء.. وهكذا أتى هذا الغلام على كبر من سن والده وكان وحيدا، وكان الأمل فيه لأن الله منحه عقلا وذكاء ونجابة.. ومن أجل ذلك كان قرة عين والديه وكان حبهما له كبيرا.

ونزلت قبيلة جرهم بالمكان وأنست أم إسماعيل بهم، وأحسنوا معاملتها وشب ابنها بينهم، وكانت لغتهم العربية، فأخذها إسماعيل عنهم، وأصبحت لغة ذريته من بعده، ولقد اشتهر بالعربية الفصحى البليغة، حتى لقد قال بعضهم: إن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان، وأخذ الغلام يشب ويترعرع حتى بلغ السن التى يتمكن فيها من السعى والعمل، وإذ بوالده يرى فيما يرى النائم، أنه يذبح ابنه، وكان الوالد يعلم أنها إشارة من الله بذبح ابنه، إنه ابتلاء جديد، يختلف عن ابتلاء تحطيم الأصنام والإلقاء فى النار، حتى لا ينبغى أن يعبد مع الله أحد، لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى شيئا. وهذا الابتلاء الجديد واضح المعنى؛ إنه ذبح إنسان وهذا الإنسان هو الابن، والوالد هو الذى يذبحه.. لقد حفظ الله هذا الغلام رضيعا وفجر له الماء رحمة به، وحفظ حياته.. هذه الأفكار جالت بذهن إبراهيم عليه السلام إلا أن الإشارة الإلهية بالذبح لابد أن تنفذ، وتهيأ إبراهيم عليه السلام لذبح ابنه وحيده وحبيبه والله يريد لإبراهيم الخليل أن يكون له كلية، فأمره بالذبح.. وقال إبراهيم لابنه ﴿**يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى..**﴾ الصافات: آية ١٠٢، أطلع ابنه على الواقعة ليظهر الصبر والطاعة لله.. الصبر على أشد المكاره. فقال الابن: ﴿**ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين..**﴾ الصافات: آية ١٠٢، وتهيأ إبراهيم لذبح ابنه واستسلم كلاهما لأمر الله ﴿**فلما أسلما**﴾ أى خلصا لله كلية جاء النداء ﴿**ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين* إن هذا لهو البلاء المبين* وفديناه بذبح عظيم**﴾ الصافات: الآيات ١٠٤ - ١٠٧، لقد تكفل الله بحماية ونصر إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - عناية ورعاية فى الدنيا والآخرة.

وشب إسماعيل عليه السلام بين قبيلة جرهم، وأهم سماته القوة والمروءة والذكاء والرجولة.. وأعجبتهم أخلاقه فزوجوه فتاة منهم، ويذهب الحاج إلى عرفات للتعرف على الله - سبحانه وتعالى - وليقف متلقيا منه سبحانه رحمته.. **والحج عرفة كما يقول الرسول ﷺ** وتعالى مصدر الخير كل الخير ومصدر النعمة كل النعمة، ومصدر الكمال كل الكمال.. إن الذى يتعرف على الله.. يصبح من الكمال الإنسانى فى الذروة.

إذا كانت رحمة هاجر بطفلها قد تجلت فى السعى بين الصفا والمروة فإن الحاج يستشرف الرحمة للإنسانية جمعاء

مع أول مسجد وضع فى الأرض تاريخاً ـ ومكانة (١)

بيت الله الحرام

فضيلة الشيخ : فكرى حسن إسماعيل

مع أول يوم من أيام شهر شوال يبدأ موسم الحج إلى بيت الله تعالى حيث إن أشهر الحج التى تحدث القرآن الكريم عنها تبدأ مع أول أيام شهر شوال قال تعالى ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج﴾ سورة البقرة آية ١٩٧ ـ ولما كانت الآية الكريمة لم توضح هذه الأشهر فإن رسول الله ﷺ كما جاء فى صحيح الإمام البخارى وغيره قد بين أشهر الحج من خلال حديثين الأول؛ وضح أن أشهر الحج هى: شوال وذو القعدة والعشر الأوائل من ذى الحجة.

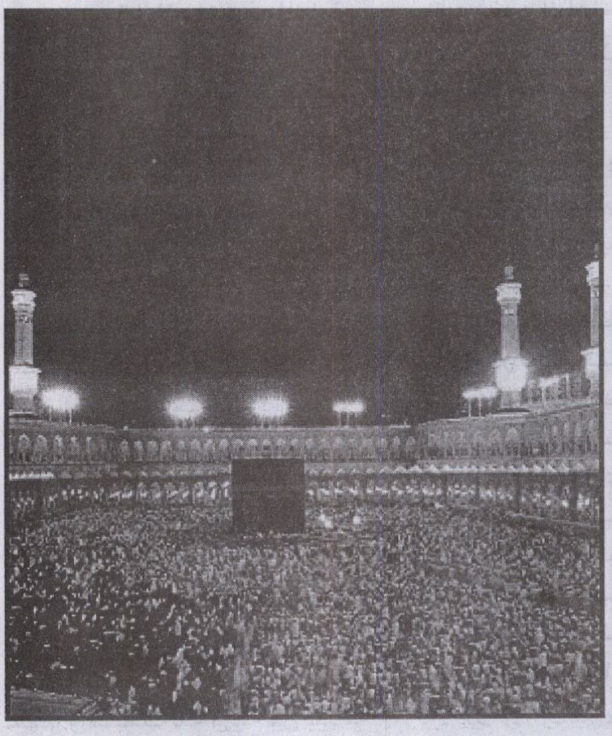

.. وبهذا الحديث أخذ الفقهاء الثلاثة أبو حنيفة والشافعى وابن حنبل. أما الحديث الثانى فقد بين أن أشهر الحج هى: شوال وذو القعدة وذو الحجة بأكمله وعليه فإن من أخر طواف الإفاضة إلى مابعد العشرين من شهر ذى الحجة فإن حجه صحيح مادام هناك عذر أدى إلى تأخره وبهذا الحديث أخذ الإمام مالك ـ رضى الله عن الجميع. والمقام يحتم علينا أن نلقى الضوء على أول بيت وضع للناس فى الأرض وذلك نظرا لأننا نعيش مع أشهر الحج فى هذه الأيام .. لقد ذكرت بعض كتب المؤرخين الأقدمين روايتين فى تاريخ بناء الكعبة المشرفة .. **الرواية الأولى:** ترى أن بناء البيت الحرام كان من قبل الملائكة الأطهار وذلك قبل أن يخلق الله الأرض بزمن طويل.

الكعبة المشرفة كانت أول بيت وضع للناس لعبادة الله الواحد الأحد

الرواية الثانية: ترى أن آدم عليه السلام هو الذى قام ببناء البيت الحرام ويرى أصحاب هذه الرواية أن ابنه شيث هو الذى بنى بيت الله الحرام .. وجميع هذه الروايات لاتستند إلى مصدر أصلى قديم .. وجميع الشواهد المؤكدة توضح أن وادى مكة المكرمة كان على غير ذى زرع ولايسكنه أحد لعدم توافر وسائل الحياة، وذلك قبل نزوح نبى الله إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ إلى مكة.

ذكر العمرى ـ صاحب كتاب (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) الجزء الأول، روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال

خلق الله البيت قبل الأرض بألفى عام وكان عرشه على الماء على زبدة بيضاء قد حيت الأرض من تحته .. وأسند العمرى هذه الرواية إلى مجاهد وقتادة والسدى .. وروى أن قتادة قال:

ذكر لنا أن البيت هبط مع آدم عليه السلام حين أهبط قال الله له .. اهبط معك بيتى يُطاف به كما يطاف حول عرشى. فطاف حوله آدم ومَنْ كان بعده من المؤمنين حتى إذا كان زمن الطوفان رفعه الله وطهره من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض فصار معمورا فى السماء ثم إن إبراهيم عليه السلام تتبع منه أثراً بعد ذلك فبناه على أساس قديم كان قبله وقال عطاء بن أبى رباح (وجه آدم إلى بكة ـ أى مكة ـ حين استوحش فشكا ذلك إلى الله ـ عز وجل ـ فى دعائه فلما انتهى إلى بكة أنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان فَرُفِعَتْ تلك الياقوتة حتى بعث الله ـ عز وجل ـ ابراهيم فبناه فذلك قول الله تعالى **﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيئا﴾**.

ذكر هذه الرواية صاحب مسالك الأبصار الجزء الأول ـ وروى أبو الوليد الأزرقى بسنده عن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب ـ رضى الله عن آل بيت رسول الله الأصفياء ـ قال : إن الله تبارك وتعالى بعث الملائكة فقال: ابنوا لى بناء فى الأرض تمثال البيت وقدره وأمر الله مَنْ فى الأرض من خلقه أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور قال (وكان هذا قبل خلق آدم عليه السلام).

أما بالنسبة للروايات التى تقرر أن آدم عليه السلام هو الذى بنى البيت الحرام فقد ذكرها ابن قتيبة ونسب هذه الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (بعث الله جبريل إلى آدم عليه السلام وحواء فقال لهما: ابنيا لى بيتا فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل حتى إذا أجابه الماء نودى من تحته حسبك يا آدم فلما بنيا أوحى الله إليه أن يطوف به وقيل له: أنت أول الناس وهذا أول بيت ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد فيه..).

وذكر ابن قتيبة فى كتابه (المعارف) أن شيث ابن آدم هو الذى بنى البيت الحرام وقال (كان شيث ابن آدم أجل ولد آدم وأفضلهم وأشبههم به وأحبهم إليه. وكان قصى أبيه وولى عهده وهو الذى ولد البشر كلهم إليه انتهى أنساب الناس وهو الذى بنى الكعبة بالطين والحجارة وكان هناك خيمة لآدم وضعها الله له فى الجنة.

وهناك روايات كثيرة ذكرها بعض المؤرخين القدماء منها ماذكره المسعودى أن قوم عاد لما أصابهم القحط وفدوا إلى مكة يستسقون وكانوا يعظمون موضع الكعبة قبل أن يشيدها إبراهيم - أى قبل أن يرفع قواعد البيت - وكان البيت قبل هذا ربوة. وتتعدد الروايات عند بعض المؤرخين فيذهبون إلى أنه كان فى مكان الكعبة معبد قديم للعماليق اندثر واختفى قبل قدوم نبى الله إبراهيم عليه السلام إلى بلاد الحجاز مما جعل هذه البلاد موضع تقديس حتى إن المصريين القدماء سموا بلاد الحجاز (البلاد المقدسة). ولقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان قبل رفع ابراهيم لقواعد البيت كان لبعض الأنبياء بيوت. فقد عرف نوح عليه السلام البيوت وسكنها قبل ابراهيم. وكانت لنبى الله إبراهيم بيوت فى وطنه ولكن الكعبة المشرفة كانت أول بيت وضع للناس لعبادة الله الواحد الأحد فيه آيات بينات - ومَنْ دخله كان آمنا ...

قدوم إبراهيم وإسماعيل إلى بلاد الحجاز:

يرتبط تاريخ بناء الكعبة التى كانت قد اندثرت بإبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - ونزوحهما من فلسطين إلى مكة ببلاد الحجاز مما يستلزم منا أن نشير بإيجاز إلى قصتيهما. نشأ إبراهيم فى بلاد العراق ولما كبر أنكر على القوم عبادتهم للأصنام مما جعله يكسر الأصنام فى يوم عيد من أعيادهم ولقد عاقب الوثنيون إبراهيم على تحطيم أصنامهم بأن ألقوه فى النار ولكن الله تعالى جعلها بردا وسلاما على إبراهيم وخرج ابراهيم عليه السلام من فلسطين ناجيا بنفسه وبزوجته سارة، ثم رحل بعد هذا الى مصر حيث كان يحكمها الهكسوس (العماليق) وكان أحد ملوكهم فى ذلك الوقت ينتزع الزوجات الجميلات بعد أن يقتل أزواجهن لذا أعلن إبراهيم بين الناس أن سارة أخته - وهى أخوة الإيمان - وذلك حتى ينجو من القتل. ومع هذا فقد انتزع الملك سارة منه ولكن العناية الإلهية كانت مع إبراهيم عليه السلام فرأى الملك فى نومه أن سارة ماهى إلا زوجة لإبراهيم فندم على فعلته حيث إنه هدد فى المنام فاعادها إلى زوجها ومنح إبراهيم الكثير من الهدايا ومن بين هذه الهدايا جارية تدعى هاجر وكانت سارة لم تنجب لإبراهيم فدفعتها عاطفة الأمومة إلى أن تطلب من إبراهيم الزواج بهاجر حتى تنجب له غلاما يقر الله به عيونهما فأنجب إبراهيم من هاجر ولدا سماه إسماعيل - وبعد مدة غير طويلة أوحى الله إلى إبراهيم أن يأتى مكة - وليس يومئذ بمكة بيت - ونفذ إبراهيم ما أمر به وحمل ابنه مع زوجته إلى مكة ثم ترك إبراهيم هاجر وابنه اسماعيل وقفل راجعا إلى بلاد الشام ولما سألته السيدة هاجر آلله أمرك بهذا؟ قال : نعم قالت: إذاً لن يضيعنا الله. ولقد تحدث المسعودى فى كتابه الرائع. مروج الذهب عن المكان الذى ولد فيه إبراهيم وهاجر وإسماعيل فقال: (ولما أسكن إبراهيم ولده إسماعيل مكة مع امه هاجر واستودعهما خالقه على حسب ما أخبر الله عنه أنه أسكنه بواد غير ذى زرع وكان موضع البيت ربوة حمراء. أمر إبراهيم

جعل الله تعالى بلاد الحجاز موضع تقديس حتى إن المصريين القدماء سموها البلاد المقدسة

هاجر أن تتخذ عليها عريشا يكون لها مسكنا) ثم بعد مدة فرغ الطعام والماء وتعالت صيحات الطفل وخشيت الأم على ابنها أن يموت بسبب العطش والجوع فغادرت مكانها لتبحث عن الماء، وأخذت تهرول بين الصفا والمروة حتى إذا أتمت السعى سبع مرات عادت إلى إسماعيل فإذا بالطفل يضرب الأرض بقدمه حيث نبع الماء من الأرض وظهرت بئر زمزم وكتب الله لإسماعيل وامه هاجر النجاة - يروى الطبرى أن الله تعالى أنزل جبريل ففجر هذا البئر وقد بشر جبريل بعودة إبراهيم فى يوم ما وبنائه الكعبة. وقال الطبرى (وقال لها الملك لاتخافى الظمأ على أهل هذه البلد فإنها عين لشرب ضيفان الله إن والد هذا الغلام سيجىء فيبنيان لله بيتا هذا موضعه).

وصادف أن مرت قبيلة جرهم بهذا المكان فشاهدت طيورا تحلق فى السماء فأدركوا أن هناك ماء وعجبوا من ذلك فقد كانوا يمرون بهذا المكان فيجدونه قفرا جدبا. مرت جرهم على هاجر وابنها واستأذنوا منها فى الإقامة إلى جانب هذا البئر فأذنت لهم. وشب إسماعيل فى قبيلة جرهم وتعلم منهم العربية - يقول المسعودى فى هذا (وأذنت لهم - أى هاجر - فى النزول. نزلوا الوادى مطمئنين مستبشرين بالماء مما أضاء الوادى من نور النبوة وموضع البيت الحرام فرحين. ولقد تكلم إسماعيل اللغة العربية خلاف لغة أبيه.)

مع مقدمات بناء الكعبة:

مرت السنون وماتت السيدة هاجر - وهى فى التسعين من عمرها واصبح إسماعيل شابا يافعا ولقد تزوج إحدى فتيات قبيلة جرهم وتدعى الجداء بنت سعد - ذكر هذا الإمام الطبرى فى الجزء الأول من كتابه - وذكر أن إسماعيل عليه السلام طلق هذه الزوجة لأنها لم تحسن استقبال والده إبراهيم وقالت له حين قال لها: هل عندك ضيافة أو ماء؟ ليس عندى ضيافة. فقال إبراهيم لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له فليغير عتبة بيته وعاد إسماعيل من رحلته وعلم بالقصة فطلق زوجته وتزوج من فتاة أخرى تدعى سامة بنت مهلهل وكانت على عكس الزوجة الأولى حيث رحبت بإبراهيم عليه السلام حين حضر مرة ثانية لزيارة ابنه إسماعيل قال الطبرى فى هذا (فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بالخبز أو التمر أو الشعير أو البر لكانت أكثر أرض الله برا أو تمرا أو شعيرا) وذكر المسعودى فى كتابه (مروج الذهب) رواية عن تبشير إبراهيم بيناء الكعبة (وألحت الجرهمية - أى زوجة إسماعيل الثانية - على إبراهيم فى النزول فأبى فقدمت له لبنا وشرائح من لحم الصيد فدعا فيه بالبركة، وجاءته بحجر كان فى البيت فمال عن ركابه وجعلته تحت قدمه اليمنى ثم رجلت شعره ودهنته ثم حولت الحجر إلى شماله فوضع رجله اليسرى عليه أيضا ومال برأسه نحوها فرجلته ودهنته فأثر قدماه فى الحجر على ما وصفنا من ترتيب اليمين والشمال فلما رأت الجرهمية ذلك أكبرت ما شاهدته - أى قال الله أكبر - وهذا الحجر هو مقام إبراهيم عليه السلام. فقال لها ابراهيم عليه السلام: ارفعيه فسيكون له شأن ونبأ بعد حين ثم قال لها: إذا جاءك إسماعيل فقولى له: إن إبراهيم يقرأ السلام عليك ويقول لك: احتفظ بعتبة بيتك. وسار إبراهيم راجعا إلى بلاد الشام تطورت مكة بعد هذا وزاد عدد سكانها بحلول الماء والخصب فى مكة. وأصبح الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى زعيم مكة «مروج الذهب للمسعودى».

والذى ذكره المسعودى كان مقدمة لبناء بيت الله الحرام. ثم قدم ابراهيم مرة أخرى إلى مكة بعد مدة من الزمن. وكان إسماعيل فى الثلاثين من عمره وفى هذه المرة امر الله إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة وتعاون الأب والابن على تنفيذ أمر الله تعالى ومازال للحديث بقية إن شاء الله تعالى.

بمشاركة ٥٣ دولة إفريقية

المنتدى الإفريقى الثانى.. حول الموقف الإفريقى الموحد بشأن الأطفال «استعراض نصف مرحلى»

السيدة الفاضلة سوزان مبارك أثناء افتتاحها للمنتدى الثانى للطفل الإفريقى

سوزان مبارك:

قانون جديد للطفل يكفل له منظومة متكاملة من الحقوق

تابع المؤتمر وأعده للنشر: محمد كامل شاهين

الوفود المشاركة فى المنتدى الثانى للطفل الإفريقى

عانت القارة السمراء ولاتزال من مشاكل عديدة أفرزها الاستعمار الأوروبى على مدى قرون عديدة، كان من نتيجتها الفقر والجهل والمرض، وظلت هذه المشاكل تتفاقم يوما بعد يوم، ولم يتضرر منها البالغون فقط بل امتد تأثيرها على الأطفال الذين عانوا أشد المعاناة، وأصبح مستقبلهم مظلما مالم تكن هناك خطوات إيجابية تنير هذا الظلام، وقد تنبه المسئولون فى القارة إلى هذه السلبيات، والى هذا الواقع المرير، وكان لابد من تغييره لضمان بقاء وحماية الأطفال وبناء على ذلك عقد المؤتمر الإفريقى الأول سنة ٢٠٠١م بالتعاون مع اليونيسيف تحت شعار «إفريقيا جديرة بالأطفال»، وتقديرا لدور السيدة الفاضلة سوزان مبارك ـ رئيس اللجنة الفنية الاستشارية للمجلس القومى للطفولة والأمومة تم اختيار مصر لاستضافة المنتدى الثانى للطفل الإفريقى «المراجعة نصف العشرية لوثيقة إفريقيا جديرة بالأطفال» فى الفترة من ١٧ ـ ٢١ شوال سنة ١٤٢٨هـ ـ ٢٩ أكتوبر ـ ٢ نوفمبر سنة ٢٠٠٧م بحضور ٥٣ دولة إفريقية بالإضافة إلى المفوضية الإفريقية، ومندوبى منظمات الأمم المتحدة، والجمعيات الأهلية المعنية بالأطفال ويناقش المؤتمر عدة محاور تهم أبناء القارة منها، التعليم والوقاية من الأمراض مثل الإيدز، وفقدان البصر، وحماية الأطفال فى النزاعات المسلحة واستغلال الأطفال والاتجار بهم.

ونظرا لأهمية المؤتمر كان لابد من إلقاء الضوء عليه حتى يتسنى للقارئ معرفة ما دار فى هذا المؤتمر الكبير.

أكدت السيدة سوزان مبارك ـ رئيس اللجنة الفنية الاستشارية للمجلس القومى للطفولة والأمومة ـ فى كلمتها عن الاعتزاز بالمشاركة الإفريقية القوية لرسم ملامح وثيقة الأمم المتحدة التى صدرت عام ٢٠٠٢م عن اجتماع نيويورك تحت عنوان «عالم جدير بالطفل» والتى جاءت تتويجا لجهود وطنية وإقليمية ودولية تواصلت عبر عقد كامل منذ انعقاد أول قمة عالمية من نوعها فى التاريخ من أجل حقوق الطفل وكان ذلك عام ١٩٩٠م.

وأضافت نجتمع مرة أخرى لمراجعة وتقييم التقدم فيما يتعلق بتنفيذ التزاماتنا وتعهداتنا تجاه قضايا الطفل فى قارتنا كما جاءت فى إعلان وخطة عمل أفريقيا جديرة بالأطفال عام ٢٠٠١م.

اليوم يلتقى مسئولون وخبراء

ومثلون للمنظمات المدنية لتناقش المشكلات والتحديات التى مازالت تعوق جهودنا لتحقيق مزيد من التقدم والرفاهية لأطفالنا، ولنتبادل الدروس المستفادة والخبرات الناتجة عن التجارب الناجحة والتى من شأنها دعم جهودنا من أجل قضايا الطفل. نلتقى لنرسم معالم المرحلة القادمة من مسيرة عملنا المشترك من أجل بناء حاضر ومستقبل أفضل لأطفالنا.. ولقارتنا السمراء الواعدة.

وأشارت إلى المناقشات الصريحة للتعامل مع المشكلات التى تؤرقنا وتحرم أطفالنا من التمتع بحقوقهم وتحرم قارتنا السمراء من الاستفادة من أهم وأكبر شريحة من طاقاتها البشرية.. والاطلاع على تقارير المداولات والنماذج الناجحة والإنجازات.

وأشارت أيضا إلى أمثلة للتطور الذى حدث، ففى الجنوب الإفريقى حققت ناميبيا وأوغندا وزيمبابوى تقدما كبيرا فى مجال القضاء على مرض فقدان المناعة «الإيدز» من خلال اللجوء إلى استراتيجيات وقائية مبتكرة وسباقة.. وفى غرب إفريقيا تحقق نجاح ملموس فى مواجهة مرض العمى النهرى الذى كان يهدد ملايين الأطفال.

وفى «مالى» ولدت مبادرة «باماكو» وهى مبادرة مجتمعية من أجل التنمية لمكافحة الملاريا وغيرها من الأمراض المتوطنة.. وفى شرق إفريقيا نجد دولا مثل كينيا وتنزانيا وموزمبيق تشهد مزيدا من التحاق الفتيات بالمدارس، وعلى الرغم من القتال والنزاع فإن جمهورية الكونغو الديمقراطية تمكنت من الاستمرار فى برنامجها «أيام الأطفال» حتى يحصل الأطفال على التطعيمات اللازمة، ويشهد شمال إفريقيا نشاطا كبيرا فى الجزائر وتونس والمغرب لتطوير سياسات عامة صديقة للأطفال.

نقلة نوعية

وفى مصر حققنا فى السنوات الأخيرة العديد من الإنجازات فى مجال حماية حقوق الطفل وانقاذها.. والعمل على رفاهيته ونمائه.. وحققنا نقلة نوعية مهمة فى جهودنا للقضاء على ختان الإناث.. كما أننا بصدد إصدار قانون جديد للطفل يستجيب لأحداث التطورات التى طرأت فى مجال حماية الطفولة ويحقق مستوياتها المنشودة ويكفل للطفل منظومة متكاملة من الحقوق تؤهله لتكوين نفسى وبدنى وذهنى سليم.

مؤشرات النجاح

وبرغم مؤشرات النجاح والتقدم التى أحرزتها بعض الدول، مازالت أوضاع الأطفال حرجة فى كثير من البلدان الإفريقية بسبب الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.. ومازال الفقر والعنف والصراعات المسلحة وغيرها من صور الاستغلال والإهمال وسوء التغذية ونقص الخدمات الصحية الوقائية وانخفاض جودة التعليم والتميز ضد البنات، والممارسات الضارة المتوارثة تلقى بظلالها على فرص الأطفال فى الحياة والتقدم.

تنسيق الرؤى

وأكدت السيدة قرينة الرئيس أنه إذا أردنا تحقيق طموحاتنا ورؤيتنا المشتركة لحاضر ومستقبل الطفل الإفريقى علينا أن ننسق الرؤى ونسرع الخطى فى سبيل إحراز المزيد من التقدم على صعيد الأولويات الأساسية التى تم التوافق حولها وأن نرسم خططا وطنية متعددة المحاور ومواءمة قوانينا وتشريعاتنا بما يكفل تمتع جميع الأطفال

حققنا فى مصر العديد من الإنجازات فى مجال حماية حقوق الطفل والعمل على رفاهيته ونمائه

مشيرة خطاب:

إعطاء الأولوية للأطفال فى رسم السياسات وتوجيه الموارد المالية

بحقوقهم كاملة دون أى تمييز.

وأضافت أنه يجب أن نضمن حصول وزارات الطفولة أو المجالس الوطنية المعنية بالأطفال على الموارد المالية والبشرية والصلاحيات الكافية بما يمكنها من القيام بمهامها، وتأكيد أهمية مشاركة وتحفيز القطاع الخاص والمجتمع المدنى للقيام بالدور المنوط به تجاه مسئوليتنا الاجتماعية.

ودعت إلى تفعيل الاستراتيجيات وخطط العمل من خلال اعتماد موارد مالية اضافية فى المجالات الخاصة بحق الطفل فى الحياة، والحق فى التنمية والتعليم، وحق الطفل فى الحماية.

وأشارت إلى أن مصر بادرت بإنشاء اللجنة القومية لمناهضة العنف ضد الأطفال، وإلى وضع الخطة القومية ورصد الموارد اللازمة لتنفيذها.

وأكدت التزامنا بوضع حقوق ورفاهية الطفل الإفريقى على قمة أولوياتنا عند رسم سياسات وبرامج التنمية، وعند تخصيص الموارد البشرية والمالية اللازمة لتنفيذها، وأعلنت «نداء الإسراع بالعمل من أجل أطفال إفريقيا» مؤكدة أنه ليس هناك استثمار أفضل عائدا من الاستثمار فى بقاء وحماية وتنمية أطفالنا، فرفاهيتهم هى الضمان الحقيقى لرفاهية المستقبل الإنسانى، وعلينا أن نعمل بمزيد من القوة والسرعة والشفافية لنحقق لهم - ما لم نحققه بعد.

وشددت على المسئولية الدولية التضامنية لتنفيذ كل المبادرات التى تم الإعلان عنها لمساعدة إفريقيا والدول النامية بوجه عام والتوسع فيها بما يلائم الاحتياجات الحقيقية للتنمية فى هذه الدول ويعزز فرص اندماجها فى الاقتصاد والمجتمع العالمى.

الوفاء بالالتزامات

ودعت السيدة سوزان مبارك المجتمع الدولى إلى الوفاء بما التزم به مرارا وتكرارا تجاه أطفال إفريقيا، ودعم مبادئ وأسس مشاركة عالمية من أجل التنمية، وتنفيذ توصيات المؤتمرات الدولية المتتالية حول التنمية المستدامة والعولمة ذات الوجه الإنسانى التى تحقق النفع للجميع.

وقالت فى ختام كلمتها: إننا نتطلع إلى «عقد اجتماع عالمى جديد» يقوم على مبادئ العدل والتكافؤ والسلام، ويؤسس على مد جسور التعاون المثمر بين جميع دول وشعوب العالم.. يسعى لتضييق الفجوة الواسعة بين الشمال والجنوب، ويتصدى بالجدية الواجبة لحل نزاعات وصراعات ومشكلات عالقة طال انتظارها لحل عادل.. يرسى قواعد الشرعية الدولية، ويقيم نظاما فاعلا للأمن الدولى.. ويضع إطارا جديدا لحوار الثقافات والحضارات يبنى على القيم المشتركة للإنسانية والنظر إلى المستقبل بمزيد من الطموحات وبآمال كبيرة فى فتح آفاق أرحب أمام غد جديد لأطفالنا.

وبفضل إيماننا وجهودنا المخلصة وبالتضامن مع كافة شركاء التنمية سوف نحقق ما نصبو إليه من آمال بإذن الله.

وأعرب السيد مودى أورى - نائب رئيس جمهورية كينيا - عن سعادته للمشاركة فى المؤتمر وحمل تحيات بلاده للسيدة سوزان مبارك واستعرض جهود كينيا لتحسين أوضاع الطفولة من خلال خطط واقعية فى التعليم ومكافحة الأمراض خاصة الإيدز.

وألقت السفيرة مشيرة خطاب - الأمين العام للمجلس القومى للطفولة والأمومة - كلمة أوضحت فيها أن المؤتمر يهدف إلى تقييم التقدم الذى أحرزته الدول الإفريقية فى تنفيذ الالتزامات الواردة فى وثيقة «إفريقيا جديرة بالأطفال وإعلان القاهرة» الصادرين عن المؤتمر الأول للطفل

الإفريقى الذى استضافته مصر عام ٢٠٠١م بالإضافة إلى بحث المعوقات التى تعوق التنفيذ.

وأضافت أنه لا مصلحة لنا فى أن نوهم أنفسنا بأننا نجحنا فى الوفاء بالتعهدات التى قطعناها على أنفسنا فى القاهرة سنة ٢٠٠١م. كما أنه لا مصلحة لنا فى جلد الذات، وأن نكرس الانطباع الذى تولد عن قارتنا السمراء بأنها قارة النزاعات والكوارث سواء الطبيعية أو من صنع البشر.. تلك الصورة التى وضعتها فيها كثير من وسائل الإعلام العالمية فأمامنا مسئولية التقييم الموضوعى لما أنجزناه على مدى السنوات الخمس الماضية، ومما لاشك فيه أن هناك دروس ناجحة علينا أن نستفيد ونتعلم منها دون أن تعمى عيوننا عن المهام الماثلة وعن إخفاقاتنا وعلينا أن نضع معايير واضحة يتم بها تقييم الأداء، وأن نضمن صوت الأطفال مسموع، وللمجتمع المدنى دور هام وفاعل وإعطاء الأولوية للأطفال فى رسم السياسات وتوجيه الموارد المالية.

مزيد من الجهود

ومن جانبها أعربت بيونس جواناس مفوضة الشئون الاجتماعية بالاتحاد الإفريقى عن شكرها لمصر لاستضافتها المؤتمر الذى يمثل شهادة على التزامها وحرصها على رفاهية أطفال القارة، وتحسين مستوى حياتهم، وتحقيق النهوض بالطفل الإفريقى خاصة الحد من وفيات الأطفال والقضاء على مرض الإيدز، وإعطاء الفرصة للأطفال الأكثر احتياجا خاصة الأيتام منهم وزيادة فرص التعليم وتنفيذ الخطط اللازمة لذلك وحل مشكلات الأطفال فى النزاعات المسلحة والاستغلال الجنسى وأهمية العمل الدائم على أن تصبح إفريقيا جديرة بالأطفال. كما طالبت مفوضة الاتحاد ببذل المزيد من الجهود من أجل تنفيذ كافة أهداف خطة العمل ومواجهة التحديات وأن تقوم كافة الدول بالتصديق على الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل، والأخذ فى الاعتبار مشاورة الأطفال وآرائهم عند اتخاذ القرارات المرتبطة بهم.

وتحدثت السيد / كول جوتام ـ نائب المدير التنفيذى لليونيسيف ـ فى كلمته أن رسالة السيدة سوزان مبارك رسالة إلى كل العالم من أجل عالم جدير بالأطفال ـ لأن الأطفال هم القوة الدافعة لعقد المؤتمر ـ حتى نستطيع أن نمكن الطفل من المستقبل.

النهوض بالأطفال

وطالب توم ميلر ـ المدير التنفيذى لمنظمة بلان الدولية ـ أن يصل حال الأطفال إلى أعلى مستوى وهذا يتطلب مزيدا من الجهد والدعم للنهوض بالأطفال لا التركيز على الشعارات لضمان نجاح هذه الجهود.

قنوات اتصال

طالبت ممثلة الشباب السيدة / ليندا يوهانس بضرورة مشاركة الأطفال فى اتخاذ القرارات خاصة فى القرى والمناطق النائية واطلاعهم على تلك القرارات التى سيتم تنفيذها فى مجالات رعاية صحة الأطفال والأمهات واستكمال الخدمات فى مختلف القطاعات، وفتح قنوات للاتصال مع الوزراء ومتخذى القرار لمتابعة الحلول التى يتم اتخاذها.

وأشارت إلى أهمية التركيز فى علاج مشكلة «الإيدز» عن طريق الوقاية لأنها خير من العلاج، وتوفير الظروف الملائمة للشباب التى تمنع التعرض للمرض، والتشجيع على ضرورة إجراء الاختبارات والفحوص لمعرفة مدى الإصابة، وتوفير الوسائل الملائمة للتصدى له.

تعزيز الفرص

وعن كيفية تعزيز فرص الحياة المواتية للأطفال لضمان بقائهم وحمايتهم فى إفريقيا. عرضت السيدة / ليلى تورى ـ المستشارة الإقليمية لصحة الأم والطفل باليونيسيف ـ ما تم إنجازه من تقدم فى هذا المجال، والتحديات والمقترحات والقضايا التى تمثل أولويات للحفاظ على صحة الأم والطفل، وضرورة اطلاع الأطفال والشباب على الوثائق التى تتناول أوضاعهم وتوعيتهم بها مثل: الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل وميثاق الطفل الإفريقى.

مخاطر جمة

وعن المخاطر التى يواجهها الأطفال نتيجة تعرضهم لمرض نقص المناعة البشرية «الإيدز» والآثار السلبية الناجمة عنه مثل الأطفال اليتامى، والمشردين، والتسرب من التعليم تحدث السيد / ميشيل بيه - نائب المدير التنفيذى لبرنامج الأمم المتحدة - مشددا على أهمية التضامن العالمى للحد من هذا الداء مشيدا بالاتحاد الإفريقى للإبقاء على فيروس نقص المناعة البشرية «الإيدز» فى مرتبة عالية من برنامج التنمية فى إفريقيا، والاستراتيجيات القارية المشتركة ذات الصلة مثل إعلان «أبوجا»، و«التزام برازفيل» بشأن التوجه نحو تحقيق وصول الجميع إلى الخدمات الخاصة بهذا الداء بحلول ٢٠١٠م.

الحق فى التعليم

وفيما يخص الحق فى التعليم أوضحت الدكتورة بياترس انجنجا - ممثل مفوضية الاتحاد الإفريقى - أن هذا الحق لابد أن يشمل النظام التعليمى كاملا وليس التعليم الأساسى فقط.

وينبغى أن تتفق الخطط الموضوعة من أجل توفير تعليم جيد النوعية، والمساواة والتكافؤ فى الفرص التعليمية بين البنين والبنات، وتطوير المناهج ودعم المعلمين وتوفير فرص التعليم للطبقات الدنيا فى المناطق الريفية والنائية بهدف سد منابع الأمية.

وأشار المشاركون من الوفود الإفريقية إلى أهمية إدماج الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة فى العملية التعليمية من خلال التعاون بين الحكومات ومنظمات المجتمع المدنى، والجمعيات الأهلية خاصة أن ١٠٪ فقط من الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة يصلون إلى خدمات التعليم، ٤ ملايين من الأطفال ذوى العاهات البصرية خارج المدارس فى إفريقيا.

التوصيات

وبعد إجراء المداولات اللازمة، اعتمد الاجتماع الوزارى النتائج والتوصيات التالية:

١ - خالص تقديره لحكومة وشعب مصر لاستضافة هذا المنتدى وعلى كرم الضيافة وجودة المرافق التى تم وضعها تحت تصرف الوفود، وأشادوا خاصة بالمجلس القومى للطفولة والأمومة الذى تترأسه صاحبة الفخامة سيدة مصر الأولى، وراعية المنتدى سوزان مبارك، على الجهود الدءوبة التى أدت إلى النجاح الكبير للمنتدى.

٢ - تقرير وتوصيات اجتماع الخبراء (٢٩ - ٣١ أكتوبر ٢٠٠٧م) المعدلة والواردة فى الملحق، وقرر أن يركز المنتدى الإفريقى على الأطفال فقط وليس على الشباب طبقا لتعريف الأطفال المتضمن فى الميثاق الإفريقى لحقوق الطفل ورفاهيته.

٣ - النداء للعمل المعجل لتنفيذ خطة عمل إفريقيا الملائمة للأطفال (٢٠٠٨ - ٢٠١٣م).

يمثل هذا النداء للعمل المعجل مساهمة إفريقيا فى الدورة الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة حول الأطفال المقرر عقدها فى نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية فى ديسمبر ٢٠٠٧م.

٤ - إطلاق حملة للقضاء على ختان الإناث باعتبارها أولوية للعمل المعجل نحو تحقيق إفريقيا الملائمة للأطفال.

٥ - إصدار بيان حول محاولة اختطاف الأطفال السودانيين عن طريق تشاد: المقدم فى وثيقة منفصلة.

٦ - اعتماد توصيات الموائد المستديرة بشأن:

- العنف ضد الأطفال.
- إعداد الميزانية وتعبئة الموارد لبرامج الأطفال.

٧ - الترحيب بالشهادة حول عمل الأطفال التى قدمها الاتحاد الإفريقى للمكفوفين.

٨ - طلب من مفوضية الاتحاد الإفريقى تقديم النداء للعمل المعجل ونتائج وتوصيات الاجتماع الوزارى للمنتدى الإفريقى الثانى حول الأطفال إلى مؤتمر رؤساء دول وحكومات الاتحاد الإفريقى.

ابنتى وشعائر الإسلام

شعر / د. عبدالحميد إبراهيم بركات أبو سعدة

بنتى العزيزة مهجتى وحياتى ** وهى السماحة كلها بثبات
وهى المهذبة الجميلة قد بدت ** وهى النضارة آية الآيات
وهى العفيفة والبديعة دائما ** فى حسنها وببذلها الحسنات
ربيتها وحفظتها وبعزة ** سارت على النهج السليم الآتى:
تصحو مع الفجر المضىء بهمة ** فى سعيها وبحبها لصلاة
ومع الطهارة بالوضوء وضيئة ** قامت تصلى أحسن الصلوات
وهى الكريمة والسخية جودها ** يكسو اليتيم بأجمل السترات
وهى الزكية والمزكية التى ** بسطت يداها أوفر النفحات
تعفو وتصفح عن إساءة من بغى ** وتبيت خالية من العثرات
وهى التى فى صبرها وصيامها ** صامت عن الحرمات والهفوات
ستر من النيران يوم قيامة ** وقرينة الأرزاق والرحمات
وهى العبير يفوح من بستانه ** ومن الورود بأجمل الروضات
بثلاث حجات أتمت سعيها ** بطوافها وأدائها العمرات
وهى التى باتت وتدعو فى منى ** بل أحسنت فى رميها الجمرات
عرفات والبيت الحرام كلاهما ** فيه الدعاء دعوت فى عبرات
سيرى بعون الله شاكرة له ** فهو المجيب وقابل التوبات
يامن لها حبى وكل مودتى ** ودعاء ربى عند كل صلاة
فلتقبلى منى ضناى ومهجتى ** كل المحبة بل وكل حياتى
ورعاك ربى بالعناية كلها ** وحماك دوما من رحى الأزمات
أدعوك ربى أن تعيش مصونة ** وتفوز بالتقوى وبالقربات
أدعوك ربى أن تصون عفافها ** وتعينها جهرا وفى الخلوات
يارب متعها بأحسن صحة ** وبأجمل الغدوات والروحات

الحضارة والعلوم

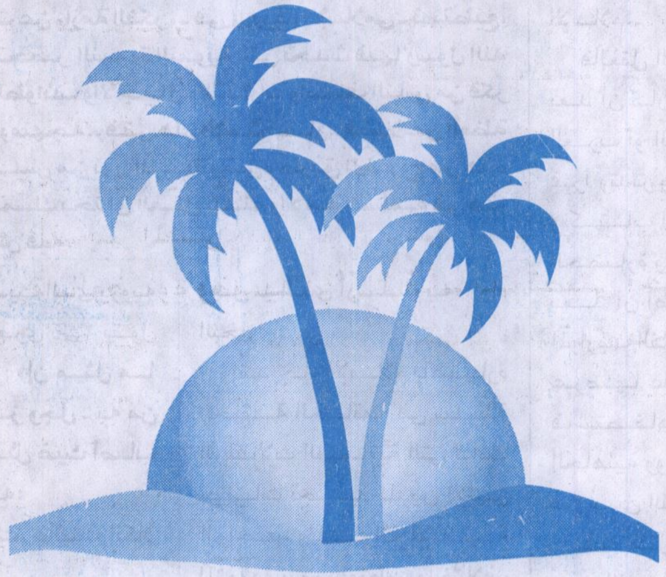

الحضارة والعلوم

- عن الأزمة الفكرية
- ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾
- تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية
- الأوقاف العربية فى ديار الغرب

عن الأزمة الفكرية

أ.د. محمد عمارة

ونحن نتحدث عن «أزمة الفكر» - فى المحيط الإسلامى - نستطيع، بل يجب، أن نستحضر النبوءة النبوية التى تحدث فيها رسول الله ﷺ عن موقف الطوائف والأجيال والتيارات وأصناف الناس من فكر الإسلام وعلمه ومنهجه.. ففى هذا الاستحضار - فضلا عن العظة والاعتبار - قبس من نور النبوة يضىء طريق الخروج من هذه «الأزمة» التى تمسك بخناق العقل المسلم والأمة المسلمة فى هذا العصر الذى نعيش فيه.

ففى الحديث الذى يرويه أبوموسى الأشعرى رضي الله عنه يقول رسول الله ﷺ: **«إن مثل ما بعثنى الله - عز وجل - به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منه:**

● طائفة قبلت، فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير.

● وكانت منها: أجادب، أمسكت الماء فنفع الله - عز وجل - بها ناسا، فشربوا فرعوا وسقوا وزرعوا وأسقوا.

● وأصابت طائفة منها أخرى، إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ.

فذلك مثل:

من فقه فى دين الله - عز وجل - ونفعه الله، - عز وجل - بما بعثنى به، ونفع به، فَعَلِمَ وعَلَّم.

ومثل: من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله - عز وجل - الذى أُرْسِلْتُ به» رواه البخارى.

لقد جاء الإسلام باعتباره الحلقة الخاتمة فى سلسلة الرسالات السماوية التى كانت حلقات تجديد للدين الإلهى الواحد، وللشرائع الإلهية المتعددة بتعدد وتطور واختلاف أمم الرسالات.. ولقد كان الجهاد الأول والأكبر الذى قام المسلمون الأوائل بفريضته، هو الوعى بهدى الله وعلم النبوة ومنهاج هذا الدين، الأمر الذى أثمر الأمة التى قبلت الإسلام وأقبلت عليه، فتوحدت به ومعه وفيه، فكان الوعى بالذات الإسلامية، والانتماء إلى خصائصها، والانخراط فى موكبها، والجهاد فى سبيل «التقنية الإسلامية»، عندما تجسدت «العقيدة» نموذجا حيا فى أمة المسلمين وفى دار الإسلام..

فالعقل الذى أصبح إسلاميا - بعد أن كان جاهليا - جاهلية العرب أو الفرس أو الروم - قد قرأ وتدبر ووعى «كتاب الوحى» و«كتاب الكون»، فأبدع علوم الحضارة وأقام صروح المدنية، بعد أن أضاف إلى إبداعه المواريث الفكرية القديمة، التى عرضها على معايير الإسلام، فاستصفاها وصَفَّاها من غبش الجاهلية ووثنيتها وجورها وزيغها عن سبيل الله.

ذلك مثل الطائفة التى قبلت هدى الله وعلم النبوة فانتفعت به ونفعت - علِمَت وعَلَّمت - كما تقبل الأرض الطيبة الغيث، فتنبت الكلأ والعشب الكثير!..

لقد واجهوا طواغيت عصرهم، وقواه الكبرى المتحكمة والمهيمنة.. وواجهوا مواريث الأمم السابقة - بما فيها من صلاح وفساد - بوعى لا غبش فيه، بطبيعة وتميز وامتياز الرسالة التى يحملون، وبانتماء لا شرك فيه إلى هذا الدين، وبشوق إلى الشهادة فى سبيل إقامة الإسلام وتجسيد القرآن حياة تسعى وتنمو وتمتد وتتطور على هذه الأرض،

تحقيقا للخلافة التى أرادها الله لهذا الإنسان فى هذا الوجود.

وإذا كان توالى السنين، ومعها طوارئ الأمراض والعوارض، هو مما يصيب الصحة الجسدية بالوهن والعلل، فإن هذه السنة تنسحب أيضا على الأنساق الفكرية، يصيبها توالى السنين والقرون، والعلل الذاتية والوافدة بالغبش الذى يحجب صفاءها ويفل من عزمها ويقلل من فاعليتها، فإذا لم يتداركها المجددون بالتجديد والمجاهدون بالجهاد الذى يجسدها نموذجا حيا معاشا، طويت صفحتها الحية، وتحولت إلى متحف التاريخ!..

ولما كانت خلافة الإنسان عن الله هى إرادة إلهية نافذة، كانت رعايته - سبحانه وتعالى - لهذا الإنسان إحدى ألطافه ونعمه - سبحانه وتعالى - على هذا الإنسان.. فكان تعاقب الرسالات السماوية تجديدا للنسق الدينى فى فكر الإنسان.. وعندما بلغ هذا الإنسان مرحلة الرشد، وشاء الله ختم طور النبوة والرسالة والوحى بمحمد ﷺ، وبالقرآن الكريم، استمر التجديد سنة من سنن الإسلام، لينفى به المجددون عن هذا الدين طوارئ القرون وعللها، وأمراض الغلو، إفراطا وتفريطا، **فالتجديد فى هذه الرسالة الخاتمة، هو القائم بمهمة الرسالات المتوالية فى تاريخ النبوة القديم، ولذلك كان علماء هذه الأمة، المجددون لدينها، مثلهم فى هذا الميدان، كمثل علماء بنى إسرائيل فى التاريخ الدينى القديم.. إنهم ورثة الأنبياء.. يجدد العدول منهم هذا الدين، عندما ينفون عنه الزوائد ويعيدون إليه النواقص.. ويكشفون عن طاقاته وإمكاناته لتفعل فعلها فى هداية الإنسان.. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»** رواه أبو داود.

***

واليوم.. لا نغالى إذا قلنا إن إجماعا يكاد أن ينعقد على أن الفكر الإسلامى يعيش فى أزمة، وعلى أن هذه الأزمة الفكرية قد أوقعت أمة هذا الفكر فى مأزق حضارى.. فأهل الفكر - بتياراتهم المختلفة - يسلمون بذلك مع اختلافهم فى تحديد أسباب هذه الأزمة، وفى تعيين سبل الخروج منها.. وواقع الأمة يشهد على ذلك، حتى لدى الذين لا يتخذون من الفكر صناعة يتخصصون ويبرعون فيها..

لقد تحققت نبوءة الرسول ﷺ، تلك التى صاغها فى حديثه الذى يقول فيه: «**بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء**» رواه مسلم.

بل إن هذه الغربة الحالية، هى - حتى الآن - متميزة عن الغربة الأولى، **لأن «الغرباء» الذين حملوا الإسلام فى عهده الأول قد امتلكوا - على النحو الذى أشرنا إليه - المؤهلات التى جعلتهم يواجهون به قوى ذلك التاريخ وطواغيته ومواريثه، وينتصرون.. أما «غرباء» هذا العصر من الذين تحققت فيهم صفات الطائفة التى تقبلت الهدى الإلهى والعلم النبوى، والمنهج الإسلامى، فَعَلِمَتْهُ وعلَّمته، وانتفعت به ونفعت، فإنهم من القلة العددية، وتبعثر الجهود والطاقات، بحيث لا يكاد يدرك الأكثرون لهم فعلا ولا تأثيرا».**

صحيح أن الله - سبحانه وتعالى - قد تعهد بحفظ هذا الدين، عندما تعهد بحفظ كتابه المبين ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر: آية ٩. لكن الأكثرية من أبناء الأمة قد غدا حفظهم لهذا الدين أشبه ما يكون بحفظ الأرض الجدباء والصخرية للماء، حفظ لا يبدد التركة، لكنه لا ينتفع بها، فضلا عن أن ينفع بها!.. حفظ لا ينبت الكلأ والعشب الكثير.. وإنما هو إمساك للماء، ماء الغيث فى انتظار من يتقبله، فينتفع به وينفع، صنعا للجديد بالتجديد.. ذلك هو حال أهل الجمود على الموروث، بالنسبة إلى «الغرباء»، أهل التجديد!..

أما الطائفة الثالثة من طوائف هذه الأمة - التى أشارت إليها نبوءة الرسول ﷺ - فهى تلك التى انتزعها

طواغيت العصر - من القوى الكبرى - بالغزو الفكرى والاستلاب الحضارى.. لقد انفصلت عن الوعى بالإسلام والانحياز لمنهجه والالتزام برؤيته والجهاد فى سبيله، فغدت، بالنسبة لتراثه، كالقيعان «التى لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ»!.. إنهم يفرون من الالتزام الإسلامى، فلم يعودوا يرفعون به رأسا، ولا يقبلون هدى الله الذى جاء به رسوله - عليه الصلاة والسلام -.

لهذا كان عجزنا أمام طواغيت العصر عجزا مخجلا.. فلم ننتصر كما انتصر الأولون.. ولهذا كان فشلنا فى الاستفادة بمواريث الآخرين فشلا ذريعا، فلم نستفد منها، ونتفوق عليها كما صنع الأولون.. إن حفظنا لتراث الإسلام - فى أغلبه الأعم - هو حفظ «الأراضى الأجادب» التى لم تضيع الماء، لكنها لم تنتفع به، فتلد وتنبت وتبدع الجديد.. ومالم تتغير موازين القوى على خارطة الحياة الفكرية لأمتنا الإسلامية، فيصبح التأثير الأفعل والأعم هو لتيار الإحياء الإسلامى والتجديد الحضارى، فستظل غربة الإسلام قائمة حتى فى ديار أمته، وسيظل عجز هذه الأمة عن تحقيق المقاصد الحقيقية لخلافة الإنسان عن الله: إعمار هذا الكون على النحو الذى تكون فيه كلمة الله هى العليا فى هذا العمران.. سيظل هذا العجز عن تحقيق هذه المقاصد قائما!..

***

ثم.. إن هذه الأزمة الفكرية، التى قادت وتقود الأمة إلى هذا المأزق الحضارى.. ليست خاصية تنفرد بها أمة الإسلام.. فحتى طواغيت اليوم، وقواه الكبرى والمهيمنة، يعانون هم الآخرون من أزمة فكرية، ومن مأزق حضارى - كما كان حال أسلافهم الذين واجههم المسلمون الأولون -.

● إننا نعانى من «انعدام» وضوح الرؤية، ومن فقدان الاتجاه.. وهم يعانون من «قلة» وضوح الرؤية، ومن فقدان الاتجاه الصحيح.

● ونحن نعانى من «الضعف» الذى يجعل كثرتنا غثاء كغثاء السيل، لا فعل لها ولا تأثير.. وهم يعانون من «تضخم» «القوة المتوحشة»، التى تهدد «الوجود» بـ«الفناء»!..

● ونحن نعانى من «فقر الإبداع» لافتقارنا إلى الإحساس بخصوصياتنا، ولانعدام الانتماء إلى مشروعنا الحضارى، الذى يفجر فينا طاقات الإبداع.. وهم يعانون من «خلل فى توازن ثمرات الإبداع»، ففى ميادين القوة والوفرة المادية، قفزت وتقفز حضارتهم قفزات عملاقة، على حين أصابها ويصيبها الفقر الشديد فى غير هذين الميدانين، فافتقد إنسانها التوازن الحضارى، والاتساق الداخلى، والاطمئنان الآمل عندما انعدمت فى نسقه الفكرى حكمة الحياة، وغاية الوجود، وإنسانية القوة والوفرة المادية.. إنه الإبداع الأعرج، القائم على ساق واحدة، الذى حقق لإنسان الحضارة الغربية: قوة الوحوش الكاسرة وشَبِع من يأكل فى سبعة أمعاء، مع أقصى درجات القلق والعبثية وانعدام المعنى الإنسانى للحياة!..

إنهم يألمون كما نألم.. لكن مع اختلاف الأسباب.. الأمر الذى يجعل من خروج الفكر الإسلامى من أزمته، وانعتاق الأمة الإسلامية من مأزقها الحضارى، الحل لا لمشاكلنا نحن وحدها، وإنما يجعل منه إسهاما مطلوبا لترشيد الخيارات الحضارية الأخرى، وخاصة الخيار الغربى مهمة الإحياء والترشيد والتجديد حتى فى إطار القوى التى ناصبته وتناصبه العداء!.. مهمة الشهود الحضارى الفاعل فى «منتدى الحضارات» الإنسانية!

لذلك.. لا غرابة فى أن تتصدر مشكلة «أزمة الفكر الإسلامى» قائمة المشاكل التى تواجه العقل المسلم فى هذا العصر الذى نعيش فيه.. ولا غرابة إذا نحن دعونا «أهل الذكر» إلى الاهتمام بها أيما اهتمام، وإلى إدارة أعمق وأوسع الحوارات حول ما لها وفيها من أسباب وأعراض وسمات.

﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾

أ. د. عبدالمعبود عمارة

قال تعالى: ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾ الأعراف: آية ٥٦.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ البقرة: آية ٦٠.

والإفساد فى الأرض له صور متعددة، منها الإفساد المعنوى والاجتماعى كقطع الأرحام والذى قال الله - تعالى - فيه: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ محمد: آية ٢٢، وقال سبحانه: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ الرعد: آية ٢٥.

ومن هذا النوع من الإفساد الذين يقتلون النفس التى حرم الله، أو يعتدون على النفس البشرية كخطف الإناث والاعتداء على الأعراض، والسرقة وتجارة المخدرات والكذب والتدليس والغش وخيانة الأمانة واحتكار السلع، وأكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ المائدة: آية ٣٣.

ويقول سبحانه وتعالى أيضا: ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ سورة ص: آية ٢٨.

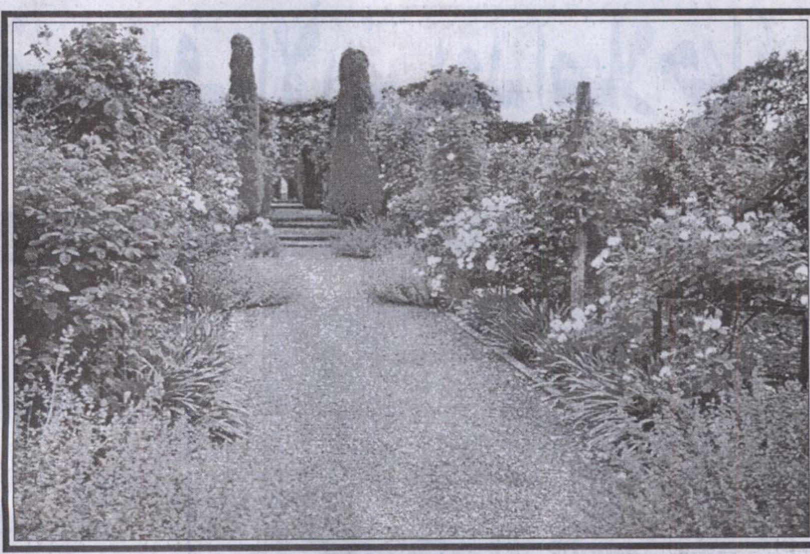

الحفاظ على البيئة واجب دينى ووطنى والإساءة إليها تخالف كافة الشرائع السماوية

أما النوع الثانى من الإفساد فى الأرض فهو ذلك النوع الحسى والملموس الذى يسىء إلى البيئة وإلى الأرض التى زينها الله وأبدعها بكل وسائل الحياة الجميلة لإسعاد البشرية ويقوم بعض الناس بإفساد هذه البيئة ويسىء إلى مائها ونيلها وهوائها وتربتها ومناخها بالتلوث العضوى والسمعى والبصرى والإشعاعى والتلوث بالعوامل الحيوية من حشرات وبكتريا وفيروسات وطفيليات كالبلهارسيا والإسكارس والانكلستوما وغيرها من الملوثات الكيميائية والعضوية والمعدنية.

تلوث البيئة بإلقاء القمامة فى الشوارع:

إن إلقاء القمامة فى الشوارع فوق أنه مخالف للشرائع السماوية وأسلوب غير حضارى إلا أنه يؤدى إلى انتشار الذباب والصراصير وانتشار الأمراض الخطيرة مثل التسمم الغذائى الميكروبى العنقودى والسلمونيلا والتيفود والدوسنتاريا والكوليرا والإلتهاب الكبدى الفيروسى والأمراض الطفيلية والديدان الشريطية والملاريا وداء الفيل وغيرها.

كما أن التبول والتبرز فى الماء يؤدى إلى أمراض خطيرة كالبلهارسيا. كما أن البصق على الأرض عادة سيئة جدا تؤدى إلى انتشار الأمراض الصدرية وخاصة مرض السل وعدم النظافة الشخصية يؤدى إلى أمراض كثيرة منها انتشار أمراض العيون كالرمد الصديدى والحبيبى والجرب والقراع والأمراض الجلدية وغيرها.

انتشار الأمراض الجنسية:

إن سبب انتشار الأمراض الجنسية البعد عن الفضيلة وعدم الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية التى حرمت العلاقات الجنسية غير الشرعية كالزنا واللواط قال تعالى: **﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة**

البعد عن الفضيلة وعدم الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية أدى إلى انتشار الأمراض الجنسية الخطيرة

وساء سبيلا﴾ الإسراء: آية ٣٢.

وارتكاب هذه الكبائر يصيب صاحبه بأمراض الإيدز والزهرى والسيلان وغيرها وهى تدمر صاحبها تدميرا مثال ذلك مرض الإيدز «طاعون العصر» والذى جعله الله عقوبة دنيوية عاجلة لمن ضل الطريق ووقع فى الرذيلة وتنتقل العدوى بهذا المرض عن طريق الاتصال الجنسى بجميع أنواعه أو انتقال الدم أو أحد مركباته من شخص مريض أو حامل للفيروس إلى آخر سليم، أو باستعمال محاقن أو إبر أو أدوات طبية أو أجهزة ملوثة بالفيروس من شخص مريض أو حامل للفيروس إلى آخر سليم بدون تعقيم، أو عن طريق زرع أنسجة أو أعضاء منقولة من شخص مريض أو حامل للفيروس إلى شخص سليم، والكارثة الكبرى أن العدوى تنتقل من الأم المصابة بالمرض أو الحاملة للفيروس إلى جنينها أثناء فترة الحمل أو أثناء الولادة أو بعدها.

وهذا المرض ينتشر بين الزناة والشواذ ومدمنى المخدرات عن طريق الحقن، وقد أصاب هذا البلاء الملايين من ساكنى الكرة الأرضية والسبب هو البعد عن تعاليم الدين الإسلامى الحنيف.

المحافظة على البيئة:

إن المحافظة على البيئة من ماء وهواء وتربة وغذاء واجب دينى ووطنى والإساءة إليها تخالف الشرائع السماوية حيث إنها تؤدى إلى الإضرار بالصحة العامة وتسبب فقدا فى الاقتصاد القومى.

ولذلك يجب الامتناع عن إلقاء القمامة فى الشارع أو المخلفات أو حرقها فى غير الأماكن المخصصة لها وبالطرق الصحية المعروفة والمحددة بواسطة السلطات الوطنية. كما يجب الاهتمام بالنظافة الشخصية لأن النظافة والطهارة هى من تعاليم الدين الإسلامى الحنيف **﴿وثيابك فطهر﴾**، **﴿وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾**.

كما يجب الاهتمام بالتثقيف الصحى ونشر الوعى بأهمية البيئة ونظافتها والضرب بيد من حديد على يد من يقومون بحرق المخلفات الزراعية والتى تؤدى إلى ما يعانيه المواطنون وهى السحابة السوداء والتى تصيب الكثيرين بالأمراض الصدرية المتعددة.

وتسبب أمراض الحساسية والربو الشعبى وتسمم البيئة بغاز أول وثانى أكسيد الكربون.

كما يجب اهتمام الأئمة والدعاة إلى توعية المواطنين بواجبهم نحو مواطنيهم والكف عن إيذائهم.

كما أنه من الواجب التحصين ضد الأمراض المعدية للقضاء عليها نهائيا مثل التطعيم ضد شلل الأطفال والسل والحصبة وغيرها.

وعلينا جميعا أن نتقى الله فى كل ما نعمل فالتقوى هى أن يقدم الإنسان الخير لدينه وبدنه ووطنه.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية

أ.د: أمان عبد المؤمن قحيف

تمهيد:

يعد تعليم تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية للأجيال الناشئة من أبنائنا وبناتنا أحد أهم الواجبات المنوط بمؤسساتنا التعليمية والأسرية تأديتها والقيام بها تجاه هؤلاء الأبناء الذين سيتحملون مسئولية الأمة وأمانتها فى المستقبل القريب.. ولاشك أن أجيالنا القادمة لن تستطيع تأدية رسالتها أو الاضطلاع بدورها على الوجه الأكمل مالم يتم تعليمهم وتشكيل ثقافتهم على أسس علمية ومنهجية سليمة يكون من شأنها إتاحة الفرصة لهم لممارسة التفكير والنقد والمقارنة والتحليل والتعليل بصورة تجعلهم أكثر حيادية وأكثر قدرة على فهم ماضى أمتهم وتراث أجدادهم، بل وتراث الإنسانية كلها، مما يتيح لهم فهم الحاضر ومعطياته والاستعداد للتعامل مع المستقبل وتحولاته.

صعوبات فى الطريق

الأمر الذى يجعل من مهمة القائمين على أمر التربية والتعليم فى مؤسساتنا التعليمية والتربوية مهمة صعبة وشاقة، ويجعل مهمة الآباء والأمهات هى الأخرى مهمة ليست من السهولة بمكان؛ ذلك لأن تعليم تاريخ حضارتنا لأبنائنا وأجيالنا الصاعدة فى الوقت الراهن يكتنفه العديد من المشكلات والصعوبات، سيما فى ضوء المتغيرات العالمية المعاصرة التى تؤثر على أوضاعنا الثقافية والاجتماعية والتعليمية إلى حد كبير... والحق أنه يمكننا الإشارة إلى بعض هذه الصعوبات على النحو التالى:

(أ) ثمة حالة من الهجوم الدائم والمستمر من بعض المتشددين فى الحضارات المناظرة لنا حالياً، وأيضا من بعض المثقفين من أبناء جلدتنا على الحضارة الإسلامية، بهدف إدانتها والتقليل من قيمة عطائها العلمى والفكرى على مدى تاريخها الطويل... الأمر الذى يقتضى منا العمل باتجاه توضيح الرؤى وإبراز الدور الكبير الذى أدته الحضارة الإسلامية فى النهوض البشرى والتقدم الإنسانى.

(ب) يكرس خطاب بعض وسائل الإعلام لحالة التفرقة والتجزئة والتشرذم بين أبناء الأمة الإسلامية عن طريق تضخيم الخلافات الداخلية كالنزاعات الطائفية والمذهبية والقبلية العشائرية والوطنية... وغيرها من عناصر تفريق المسلمين وتفتيتهم.. تلك الأمور التى لم تجن الأمة من ورائها إلا مزيداً من التخلف والتشرذم والتطاحن، مما ينعكس سلباً على توجهات العملية التعليمية فى بعض البلدان الإسلامية.

(ج) وجود بعض القضايا والخلافات القديمة التى لم يتم حسمها ولم تستطع ثلة من أصحاب الرأى المعاصرين التخلص منها ومن آثارها الضارة إلى الآن.

ويدرك الراصد هنا أن هذه المسائل تؤدى جميعها - إن لم يتم حسمها والتغلب عليها وتجاوزها - إلى تحقيق غرض واحد

وهدف محدد يسعى خصوم أمتنا إلى تحقيقه والوصول إليه، ألا وهو كسر شوكة هذه الأمة بالتكريس لفرقتها وإضعافها كى ما تستمر فى الدوران فى فلك الانقسام والتجزئة والصراعات الداخلية، مما يؤدى إلى نكوصها الحضارى وتخلفها التقنى عن الأمم التى تشاركها الوجود... ويجعلها دائما فى حاجة إلى الاعتماد على الآخرين والانصياع لهم والحرص على إرضائهم وتنفيذ رغباتهم.

قواعد مهمة

وكى ما نتخلص من هذه الحالة - التى لابد أن نتخلص منها - علينا أن ننتهج فى تعليم أبنائنا للتاريخ الإسلامى منهج الموضوعية والوسطية والحيادية والتسامح بما يتماشى مع روح عقيدتنا وسماحة ديننا وعظمة حضارتنا.. وكى يتحقق لنا ذلك يجب علينا إرساء عدة قواعد أثناء قيامنا بتعليم أطفالنا هذا التاريخ، أو حتى أثناء محادثتهم عنه فى جلساتنا المنزلية أو أثناء محاورتهم فى مقرراتهم الدراسية والندوات التثقيفية والتعليمية... ونشير إلى هذه القواعد على النحو التالى:

القاعدة الأولى: أن نستلهم تاريخ حضارتنا فى التقريب بين المذاهب واحترام الملل الأخرى والدعوة إلى التعاون والتعايش بين جميع الأمم والحضارات على أسس من الاحترام المتبادل، وثمة أهمية كبرى لأن نبين لهم أن البشرية تمر بمرحلة حضارية غير مسبوقة حيث تهيمن حضارة معينة على بقية الحضارات المعاصرة بصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ الإنسانى، مما جعل هذه الحضارة تطمح وتطمع فى أن تعمل على تشكيل السلوك الإنسانى للبشرية جميعها بما يتوافق ويتماشى مع قيمها وفكرها وفلسفتها، وتبذل - هذه الحضارة - جهودا كبيرة من أجل إقناع بقية الأمم والشعوب بأن نسقها الحضارى هو النموذج الذى لابد أن تقتدى به كل الأمم والشعوب التى تطمح إلى بناء حضارة أو صناعة تقدم علمى. وتعمل أيضا على الترويج لفكرة أن الغرب نهض وتقدم عندما أخذ بأسس ومبادئ معينة، منها العلمانية مثلا، وتزعم أن على الشعوب العربية والإسلامية أن تأخذ بنفس القيم وتتمسك بنفس المناهج وتعتمد على نفس الأساليب إذا أرادت أن تنهض أو تتقدم.

وعلينا أن نوضح لأبنائنا أنه إذا كانت هناك عدة أصوات فى الغرب تقول بهذا الرأى وتتبنى هذه الرؤية وتحاول أن تصيغ العالم كله صياغة تتماشى مع رؤيتها وفلسفتها، فإن فى الغرب أيضا أناسا محايدين وباحثين معتدلين يؤمنون بالتعددية الحضارية والدينية ولا يرضيهم أن يسعى بعض أبناء حضارتهم إلى تشكيل العالم كله وفق الرؤية الغربية؛ وذلك لأنهم يؤمنون بثقافة التعدد والتنوع.. وعلينا كأمة وحضارة عربية وإسلامية أن نتواصل مع دعاة التعددية المؤمنين بأن العالم «منتدى الحضارات»، وأن نجسد فى سلوكنا الحياتى إيماننا الراسخ بالتعددية الدينية والحضارية، وأن نبرز إيمان مرجعيتنا الدينية وثقافتنا الإسلامية بالتعددية والتنوع واعتبارهما مصادر للثراء والغنى لا مصادر للقلق والتوتر.

علينا أن ننتهج فى تعليم أبنائنا للتاريخ الإسلامى منهج الموضوعية والوسطية والحيادية والتسامح بما يتماشى مع سماحة ديننا الحنيف

ولابد أن نوضح لأبنائنا عندما نعلمهم تاريخ حضارتنا أن الإسلام كدين، وكثقافة وحضارة، ليس لديه مواقف عدائية مبدئية من أية حضارة، ولا يرفض الانتفاع بالمناهج والسبل التى أثبت التاريخ صلاحيتها للنهوض والتقدم، والتى استطاع الآخرون أن ينجزوا تقدما ويصنعوا حضارة من خلال الاعتماد عليها والأخذ بها ما لم تتعارض مع ثوابتنا الدينية والأخلاقية.. ولقد سبق للمسلمين الأوائل أن تواصلوا بشكل إيجابى مع اليونان والفرس والروم والهنود وترجموا عنهم وتعلموا منهم وأخذوا ما ينفعهم وشكروهم عليه، وتركوا ما لا نفع لهم فيه ونقدوه وسجلوا رفضهم له.. وكثيراً ما نقرأ فى كتاب «الغزالى» ت ٥٠٥ هـ، و «ابن رشد» ت ٥٩٥ هـ و«الطهطاوى» ١٨٧٣م، و«الأفغانى» ت ١٨٩٧م، و «محمد عبده» ت ١٩٠٥م.. وغيرهم ثناء على المنجزات المعرفية الصالحة التى توصل الآخرون إليها ونجحوا فى إدراكها.. شريطة ألا تتعارض هذه المعارف وتلك العلوم مع ثوابت الدين ومقومات وجوده.

ولنعلم أبناءنا أهمية الاقتداء بالأوائل فى هذا السياق، فمثلا لابد للأمة الإسلامية من استخدام المنهج العلمى فى دراسة الواقع الكونى والوجود الطبيعى من أجل فهمه وإدراك القوانين التى تحكمه، لكن لا حاجة بها إلى التخلى عن عقيدتها أو رفض موروثها الدينى والثقافى لتأخذ بالعلمانية المتطرفة، سيما وأن شريعتنا الغراء لا تقف حجر عثرة فى طريق التقدم والبحث العلمى، بل إنها حضت المسلمين على طلب العلم من المهد إلى اللحد، وأمرتهم بالبحث عنه والسعى وراءه ولو كان فى أقصى مشارق الأرض أو أقصى مغاربها، فالحكمة ضالة المؤمن، وهى هدفه المنشود الذى يجب عليه أن يسعى إلى تحقيقه والوصول إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

من ثم فإن القاعدة الأولى التى يجب أن نرسيها فى أذهان أبنائنا عند تعليمهم تاريخ حضارتهم هى: أن الحضارة الإسلامية تحض على التواصل والتعايش بين الأمم والشعوب جميعاً، ومن باب أولى فهى تؤكد على التقارب بين المذاهب والفرق التى تنضوى جميعها تحت عباءة الدين الحنيف، دعماً لوحدة الصف وتقوية لروابط الأخوة بين المسلمين الذين يمكنهم المشاركة الفاعلة فى الحضارة الحديثة عن طريق التواصل والتعايش مع الحضارات الأخرى التى تشاركهم الوجود المعاصر فى إطار من التآخى الإنسانى والمحافظة على الهوية والخصوصية.

القاعدة الثانية: إن عقيدتنا بريئة تماما من حالة التخلف الحضارى الذى يعانى منه المسلمون حاليا: لأن الشريعة تدفع المسلمين دفعاً باتجاه إعمار الكون وطلب العلم والمعرفة، وتدفعهم إلى تطبيق المنهج العلمى فى فهم الكون والطبيعة وتحذرهم من السير وراء الخرافات والأباطيل والخزعبلات، وتأمرهم بأن يرفضوا كل ما من شأنه التأثير سلبا على تقدمهم العلمى وترقيهم الحضارى قال تعالى: **﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾** (البقرة: ١٠٢).. وإن لم يفعلوا ذلك كانوا من المقصرين فى حق دينهم وثقافتهم وحضارتهم. والدليل على ذلك أن الإمام «محمد عبده» ت ١٩٠٥م، رأى أن الأمة الإسلامية تكون مقصرة كلها إذا تأخرت حضاريا فى الوقت الذى يتقدم فيه غيرها ويسبقها فى دراسة العلوم والأفكار»(١).

ويرجع ذلك إلى أن تخلف المسلمين الحضارى يمنح الآخرين الفرصة لأن يتطاولوا على الإسلام بحجة أنه السبب فى تخلف الشعوب الإسلامية فى البحث العلمى والتقدم الحضارى - كما زعم ذلك جماعة من المستشرقين، منهم «ارنست رينان» الفيلسوف والمفكر الفرنسى المعروف الذى رد عليه «جمال الدين الأفغانى» وأبطل حجته، ومنهم «هانوتو» السياسى والمفكر الفرنسى الذى رد عليه الإمام «محمد عبده»

وأثبت بطلان أفكاره وتفاهتها.. وغيرهم - فى حين أن القرآن الكريم أشار فى العديد من الآيات إلى ضرورة أن يجتهد المسلمون فى فهم حركة الكون والوقوف على القوانين العلمية التى تحكمه، قال الله تعالى: **﴿إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾** (آل عمران: ١٩٠)، وقال تعالى فى موضع آخر: **﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾** (النحل: ١٢)، وقال تعالى أيضا: **﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾** (الفرقان: ٦٢)(٢).

ويجدر بنا التركيز مع أبنائنا على أن المسلمين الأوائل استوعبوا أوامر دينهم وتعليمات شريعتهم مما أتاح لهم إبداع الكثير من الأفكار والتصورات والاجتهادات التى ساعدتهم على اكتشاف العديد من النظريات العلمية.. ويستحب التركيز هنا على الفترات التاريخية التى توهجت فيها حضارتنا العربية الإسلامية بالإنتاج العلمى الغزير فى مختلف الفروع والتخصصات من طب وصيدلة وفلك وحساب وجبر وهندسة وآداب وفنون راقية وفلسفة ومنطق ومناهج بحث ودراسات إسلامية متعددة الفروع والاتجاهات... إلخ من التخصصات العلمية والنظرية الدقيقة.. وذلك زرعاً للثقة فى نفوس أبنائنا تجاه تاريخ آبائهم وماضى حضارتهم.

نخلص إذن إلى أن ما تمر به الأمة من تخلف تكنولوجى وتقنى ليس مسئولية الإسلام - كما يزعم بعض المستشرقين - بل هو مسئولية المسلمين الذين أتى عليهم حين من الدهر أهملوا فيه البحث العلمى وفرطوا فى الأخذ بأسباب التقدم والالتزام بعوامل النهوض والترقى حيث انشغلت نخبهم بزخارف الدنيا وسفاسف الأمور.

القاعدة الثالثة: إن حضارتنا لا تتعصب لنفسها على حساب الحضارات الأخرى: لأنها قامت على تعاليم الإسلام السمحة التى لا تعطى تميزاً للمسلم على غيره من الناس لمجرد أنه من المسلمين؛ ذلك لأن التميز فى الإسلام يأتى من حسن الأخذ بالمنهج وحسن الالتزام بتعليماته والوعى بها، قال تعالى: **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** (الحجرات: ١٣).. فالمسلم لا يفضل على غيره من الناس لمجرد كونه مسلما؛ بل لابد من الالتزام بالمنهج الإسلامى الوسطى المعتدل، قال تعالى **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** (آل عمران: ١١٠)، فالتميز هنا لا يرجع إلى الجنس أو العرق أو القومية كما يزعم الآخرون، بل يرجع إلى السلوك السليم، وإلى أمر الناس بالمعروف والخير - الذى هو عبادة الله تعالى والإصلاح فى الأرض - بعد أن نكون قد فعلناه نحن قبل أن نحدث الناس به أو نطلب منهم الإقدام عليه، ويرجع أيضا إلى نهى الناس عن المنكر - الذى هو إفساد للأرض والحياة وتدمير للحضارة والتقدم الإنسانى - بعد أن نكون قد انتهينا نحن عنه عمليا فى أفعالنا وأقوالنا.

فالحضارة الإسلامية بهذا المعنى ليست حضارة شيفونية أو عنصرية تعلى شأن من ينتمى لها لمجرد انتمائه لعقيدتها ودخوله فى منظومتها؛ إذ لابد من إتيان الأفعال الصالحة والانتهاء عن كل ما هو منكر وغير مقبول.

وهى بهذا المعنى أيضا حضارة فعل لا حضارة قول، تعتمد على الفعل والإنجاز أكثر من اعتمادها على القول والكلام، فهى تميز من ينجزون على من لا ينجزون، وترفض بشدة عدم الربط بين القول والعمل، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾** (الصف: ٢).. من هنا فإن على المسلم أن يعمل، بل ويجتهد فى العمل، وعليه أن يربط بين القول والفعل إذا أراد أن يكون له التميز أو الأفضلية على غيره، فليس ثمة

مقومات أخرى تعطيه هذا الحق غير الالتزام بالعمل، بل الالتزام بإجادة العمل..

وهكذا يتأكد لدينا أن الإسلام ليس فيه نزاعات شيفونية عنصرية تدفعه إلى الإعلاء من شأن أتباعه على حساب الآخرين، ولم يقل بتفضيل جنس على جنس أو شعب على شعب أو أمة على أمة.

القاعدة الرابعة: الحضارة الإسلامية تؤمن بالتعدد، بل ترى أنه سنة الحياة. حيث أكدت النصوص الدينية فى أكثر من موضع أن الله تعالى وحده هو الذى يتميز بالوحدانية قال تعالى: ﴿**قل هو الله أحد**﴾ الإخلاص: آية ١، وقال تعالى أيضا: ﴿**الله لا إله إلا هو الحى القيوم**﴾ (البقرة: ٢٢٥)، أما بقية الموجودات فقد كانت سنة الحياة فيها هى التعددية، حيث آمن الإسلام «بأن التعددية هى السنة والقانون فى سائر عوالم الخلق، التى فطرها خالقها على الثنائية والازدواج والاشتراك والاتفاق، فطرة وسنة لا تبديل لها ولا تحويل..»(٣)، قال تعالى: ﴿**سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**﴾ (يس: ٣٦).

وتجدر الإشارة إلى أن إيمان المرجعية الإسلامية بالتعدد الدينى والحضارى قد أتاح للمسلمين عدة أمور نذكر منها ما يلى:

أولا: عدم التعامل بحساسية أو تردد مع الآخر الدينى.. من هنا نجحوا تاريخيا فى «التعايش» و«التواصل» مع الأمم الأخرى التى تختلف معهم دينيا وحضارياً.

ثانيا: جاء التصور الإسلامى لقضية التعددية متسقاً من حيث الجوهر مع طبيعة العملية الحضارية ذاتها، فالحضارات الإنسانية كانت تاريخياً متعددة ومتنوعة من حيث قيمها ومبادئها وتصوراتها عن الكون والوجود.. الأمر الذى لم يضع المسلمين فى حرج مع الحضارات الأخرى، بل ساعدهم على فهم طبيعة التطور الحضارى وأعانهم على إدراك حركية المجتمعات البشرية.

ثالثاً: المساهمة فى تضييق مساحة الخلاف والاختلاف بين المسلمين وغيرهم من أبناء الحضارات الأخرى(٤).

وحرى بنا تنبيه أجيالنا القادمة إلى أهمية الاقتداء بالآباء والأجداد فى هذا السياق والعمل على صياغة علاقات حسنة مع الآخرين تقوم على احترام الخصوصيات وتبادل المنافع والحرص على المصالح المشتركة للجميع.

القاعدة الخامسة: الحضارة الإسلامية ليست حضارة إكراه أو ضغط: فانطلاقا من إيمان الحضارة الإسلامية بالتعدد والتعددية وجدناها لم تلجأ تاريخيا إلى الضغط أو الإكراه من أجل فرض الدين الإسلامى على أى شعب من الشعوب أو أية أمة من الأمم.. ولقد سجل التاريخ فى كل صفحاته وسطوره - بما فيها كتابات العديد من المستشرقين - أن حضارتنا لم تفعل ذلك ولم تلجأ إليه كمنهج لنشر الدعوة الإسلامية(٥)، بل لم يكن من المسموح لها أن تفعله أو تقدم عليه؛ ذلك لأن القرآن الكريم وهو يمثل المرجعية الأساسية للشريعة الإسلامية قد أكد رفضه التام لإكراه الناس على الدخول فى الدين أو الانتماء إليه، قال: تعالى: ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ومعنى ذلك أن المؤمن إذا أكره أحدا من الناس على دخول الإسلام واعتناقه كان مخالفا لتعليمات دينه وتشريعات عقيدته... ولم يكتف الإسلام بذلك فحسب، بل طلب من أتباعه أن يحسنوا معاشرة من لم يدخل فى دينهم مادام لا يسعى فى حربهم أو إخراجهم من ديارهم، قال تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**﴾ (الممتحنة: ٨).

بهذا المعنى كانت الحضارة الإسلامية قادرة على التواصل مع الحضارات المغايرة لها دونما احتياج منها إلى إكراه الآخرين على الدخول فى الإسلام أو ممارسة أى شكل من أشكال الضغط عليهم.

القاعدة السادسة: إن الحضارة العربية الإسلامية ليست بدعاً من الحضارات، بمعنى أن قانون العملية الحضارية ينطبق عليها شأنها شأن أية حضارة أخرى.. من هنا فقد شهدت هذه الحضارة لحظات ازدهار وأوقات انكسار، أوقات تقدم وأوقات تراجع، أوقات تسامح وأوقات تعصب.. وبالتالى فإن ما تمر به الأمة العربية والإسلامية من نكوص وتراجع حضارى فى الوقت الراهن لا يعود إلى الطبيعة العربية ذاتها كما يحاول بعض المستشرقين الترويج لذلك، ولا يرجع إلى الدين الإسلامى ذاته كما يحاول بعضهم أيضا زعم ذلك وإشاعته منطلقين من تصورهم الخاطئ لإيمان المسلمين بالقضاء والقدر.

من هذا المنطلق نستطيع القول بأن ما تمر به الأمة الآن من تراجع حضارى هو فى صميمه عبارة عن مرحلة من التردى الحضارى من شأن الأمة تجاوزها والتخلص منها إذا ما توفرت لها شروط النهضة وعوامل التقدم.

الدرس المستفاد

والحق أنه لا يجب أن تطول فترة الركود الحضارى فى العالم العربى الإسلامى أكثر من ذلك لأن بعض خصوم أمتنا حاولوا استغلال هذا الوضع فاتهموا ديننا وعروبتنا وطبيعة تكويننا العقلى وزعموا أننا ضد التقدم بطبيعتنا ولا نعرف غير لغة القوة، لكن هيهات أن يكون الأمر على هذا النحو، فمؤشرات النهوض فى العالم العربى والإسلامى بدأت فى الظهور من خلال ارتفاع معدلات النمو والإنتاج فى العديد من الدول العربية والإسلامية فى العقد الأول من القرن الواحد والعشرين.. وهاهو العقل المسلم ينطلق فى السنوات الأخيرة مجتهداً باتجاه فهم وإدراك سر التكنولوجيا الحديثة.. وهناك العديد من الدول العربية والإسلامية التى قامت بالفعل بإنشاء جامعات للتكنولوجيا المتقدمة، وقامت بتأسيس القرى الذكية، كل هذا من أجل صناعة العقل العربى والمسلم القادر على مشاركة ومزاحمة العقول الأجنبية التى تستوعب التكنولوجيا الحديثة وثورة المعلومات والاتصالات، الأمر الذى من شأنه إتاحة الفرصة للعرب والمسلمين للمشاركة فى إنتاج التكنولوجيا الحديثة التى تشكل العالم فى العصر الحديث بما يسهم فى بناء حضارة عربية إسلامية معاصرة تستطيع تأدية دورها المنوط بها فى تطوير شعوبها ورخائها، بل يكون من شأنها المساهمة فى تطوير شعوب البشرية جميعاً ورخائها.

الهوامش:

١ ـ ذهب الإمام محمد عبده إلى هذا الرأى فى العديد من مؤلفاته مثل: المسلمون والإسلام، طبعة دار الهلال، من دون تاريخ، ص٧٥. ورسالة التوحيد، طبعة دار الهلال، القاهرة، ص١٢٥ وما بعدها. والإسلام دين العلم والمدنية، طبعة دار الهلال، القاهرة، ص٢٠ وما بعدها.

٢ ـ راجع لمزيد من التفاصيل كتابنا، إشكالية المعرفة. دراسة منهجية فى القرآن الكريم. دار الحضارة، طنطا، ١٩٩٩م، ص٨١.

٣ ـ دكتور محمد عمارة. التعددية فى الفكر. مقال بمجلة الهلال. القاهرة. اكتوبر. ٢٠٠٢م. ص٥٣.

٤ ـ دكتور أمان عبد المؤمن قحيف. اشكالية الصراع والتعايش بين الحضارات .. الإسلام والغرب نموذجا. مكتبة الآداب. القاهرة. ٢٠٠٧م. ص٥٨.

٥ ـ راجع فى ذلك: زيجريد هونكه فى كتابيها «الله ليس كذلك»، «شمس العرب تسطع على الغرب». ومارسيل بوازار فى كتابه «إنسانية الإسلام» ترجمة دكتور عفيف دمشقية. وجرهام إى. فولر، إيان أو. ليسر فى كتابهما «الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة» ترجمة دكتور شوقى جلال، مركز الأهرام للدراسات والنشر، القاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٥٠ وما بعدها .. إلخ من الأبحاث والدراسات التى كتبها العديد من المستشرقين الذين اعترفوا بعدم انتهاج المسلمين للإكراه والضغط كطريقة وسبيل لنشر الإسلام الحنيف.

الأوقاف الإسلامية فى ديار الغرب

د. أحمد عوف محمد عبدالرحمن

الوقف مؤسسة عظيمة تتجلى فيها حكمة هذه الشريعة الربانية الخالدة فى ترسيخ أسس التعاون بين أفراد المجتمع ورعاية أهل الخصاصة والفاقة حتى قبل أن يوجدوا، فهى فى الدنيا رصيد للأجيال القادمة وللواقفين صدقة جارية يجرى عليهم أجرها ويدخر لهم ذخرها فيتلقون روحها فى القبور ويوم الحشر والنشور.

ولهذا سماها رسول الله ﷺ «صدقة جارية» فى الأعمال الثلاثة التى يبقى أجرها ولا ينقطع درها بالموت حيث جاء فى الحديث الصحيح: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم.

الوقف فى اللغة، هو: الحبس والمنع، مصدر وقف وقفاً، ومنه قولهم: وقفت الدار: حبستها فى سبيل الله، والجمع: أوقاف. ومعنى تحبيسه: ألا يورث ولا يباع ولا يوهب، ولكن يترك أصله، ويجعل ثمره فى سبيل الله - عز وجل - (1).

أما الوقف فى أصل وضعه الشرعى فهو «صدقة جارية»، ولقد عرّفه فقهاء الشرع الإسلامى بأنه: «حبس المال على ملك الله تعالى، والتصدق بالمنفعة حالاً أو مآلاً على أى وجه من وجوه البر». أو كما عبر عنه البعض بأنه: «تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة» ، فهو فى جوهره - مثل الزكاة - عبادة مالية(2).

لقد شهد التاريخ مآسى كثيرة للأقليات بسبب الخصومة بين الأقليات وبين الأكثرية. إلا أنه وفى العصر الحديث حصل تطور مهم فى العالم حيث أصبح نظام حقوق الإنسان وسيلة لعيش الأقليات بين ظهرانى الأكثرية وبخاصة فى ديار الغرب التى تبنت حقوق الإنسان، مما سمح مع الزمن بوجود أقليات أفريقية وآسيوية.

وفى فترة من التاريخ كانت الحضارة الإسلامية الوحيدة بين الحضارات البشرية التى تنظم حقوق الأقليات فى ممارسة شعائرها والتحاكم إلى محاكمها.

وهكذا عاشت الأقلية القبطية فى مصر ١٤ قرناً محمية بحماية الإسلام كما هى حال الأقلية اليهودية فى المغرب.

إن أوضاع الأقلية المسلمة فى ديار غير المسلمين يمكن أن توصف بأنها أوضاع ضرورة بالمعنى العام للضرورة الذى يشمل الحاجة والضرورة بالمعنى الخاص.

والمسلمون كالجسد الواحد فلا يجوز أن نخذل الأقليات المسلمة التى هى جزء من الأمة الإسلامية وجسر للتواصل الحضارى مع الغرب وحلقة حيوية فى حلقات العلاقة مع الغرب.

وهكذا فإن تنامى الوجود الإسلامى يطرح تحديات ومهمات جديدة قد تشكل الأوقاف أداة للقيام بها والتعامل معها، إذ أنشئت أوقاف إسلامية فى مجالات متنوعة ومتعددة بالإضافة إلى المساجد والتى يسمونها فى الغرب دور العبادة، ومؤسسات التعليم التى لها أهمية كبرى وبخاصة على مستويات التعليم

الابتدائى والثانوى حيث تتشكل شخصية الفرد العقدية والخلقية، وكذلك خدمات الرعاية الطبية الخاصة بهم.

وبعد تدشين أول عيادة طبية خيرية فى الولايات المتحدة . منذ ١٠ سنوات تقريباً ـ أصبحت الجمعية الطبية الإسلامية تقدم خدماتها لنحو ١٦ ألف أمريكى من ديانات وثقافات مختلفة حيث يعتمدون بشكل أساسى على الخدمات الطبية.

يقول الدكتور «منصور خان» نائب رئيس مجلس الإدارة وأحد مؤسسى الجمعية: «بدأنا المشروع باثنين من الموظفين وعدد من الأطباء المتطوعين وعدد آخر من طاقم العاملين، واقتصر العمل وقتها على ٣ أيام فقط فى الأسبوع». وأضاف: وبعد مرور ١٠ سنوات أصبح لدينا ١٦ ألف مريض أغلبهم من الأفارقة واللاتينيين يعتمدون بشكل أساسى على «أمة» لتلقى خدمات الرعاية الطبية الخاصة بهم.

وعن فكرة الجمعية، أضاف: «جاءتنا الفكرة أنا وستة من الطلاب المسلمين بجامعتى كاليفورنيا ولوس أنجلوس عام ١٩٩٢م»، ونجحنا فى تدشين المشروع عام ١٩٩٦ لتقديم الخدمات الطبية إلى سكان مدينة لوس أنجلوس والمدن المجاورة دون أى تمييز على أساس الديانة أو الثقافة.

وأضاف: «معظمنا كنا ندرس الطب والصحة العامة، وكنا غير راضين عن قلة مساهمة المسلمين فى حل المشاكل الاجتماعية المحلية، ورأينا فى أنفسنا القدرة على المساهمة ولو بمجال الرعاية الصحية».

وتسعى العيادة إلى رفع مستوى العناية الطبية للجميع دون النظر إلى المقابل المادى، كما تهدف لتوفير بعض احتياجات المجتمع من خلال العناية الصحية المناسبة؛ حيث إن أكثر من ثلثى المرضى البالغين الذين يترددون على العيادة ذوو دخل منخفض أو يعانون من الفقر.

ولا تقتصر العيادة على تقديم الخدمات الطبية، بل أصبحت بمثابة مورد حقيقى للمجتمع من خلال الدعم المادى الذى قدمته لبعض السكان المحليين أسبوعيا. وأضاف: إن الموظفين يحتفلون بالمناسبات الإسلامية ويقدمون فيها بعض الأعمال الخيرية كتقديم وجبات إفطار فى رمضان وإقامة المآدب فى عيدى الفطر والأضحى.

ومن بين أشد المؤيدين للجمعية، إدارة الأوقاف فى كاليفورنيا، وهى مؤسسة صحية خاصة تم إنشاؤها فى ١٩٩٦م لتوفير الرعاية الصحية عالية الجودة وبأقل تكلفة للأفراد والمجتمعات.

وعلق منصور خان على هذا التعاون قائلا: «اتضح أن المجتمع الأمريكى على استعداد لتأييدك والانضمام إليك إذا شاهدك تعمل بجد فى قضية ذات فائدة».

لقد أصبحت تلك العيادة بيتا للجميع ـ للمسلمين وغير المسلمين ـ الذين يتسابقون لتقديم الدعم بوسائل مختلفة، فبعضهم يتبرع مادياً ومن لم يجد يتبرع بجزء من وقته للعمل فيها.

وثمة معوقات عدة تواجه الوقف فى ديار الغرب منها:

شح الموارد الذى كان من أسبابه

المسلمون كالجسد الواحد فلا يجوز أن نخذل الأقليات المسلمة التى هى جزء من الأمة الإسلامية وجسر التواصل الحضارى مع الغرب

عاشت الأقلية القبطية فى مصر ١٤ قرناً محمية بحماية الإسلام والحضارة الإسلامية التى تنظم حقوق الأقليات فى ممارسة شعائرها والتحاكم إلى محاكمها

الحملة الشرسة الموجهة ضد مؤسسات العمل الخيرى مما جعل كثيراً من الخيرين يعزفون عن تقديم الأموال التى من شأنها أن تساعد فى إنشاء أوقاف فى الغرب وينصرفوا إلى إنفاق ما ينفقوا - إن أنفقوا - إلى بناء مساجد ودور أيتام فى نطاق محيط جغرافى محدود جداً فى الوقت الذى تقوم فيه المؤسسات التنصيرية بإنفاق الأموال بسخاء لترسيخ دعوتها فى البلاد الإسلامية وفى إفريقيا وآسيا بلا حدود ولا نكير.

وجود بعض الخلل فى التضامن والتعاون بين الأفراد والجمعيات الإسلامية فى بلاد الغرب الأمر الذى يشكل عقبة تحول دون القيام بمجهود جماعى لإنشاء مؤسسات وقفية متعددة الخدمات على مستوى التحدى. ومع ذلك فلا ينكر وجود حد من التضامن والتكافل - بفضل الله تعالى - فى أكثر من منطقة.

النقص فى الكفاءة التنظيمية والإدارية للوصول إلى أكبر قدر من استغلال الموارد الإنسانية والمالية المتاحة أو التى يمكن أن تتاح.

التلاؤم مع النظم والقوانين الغربية إذ إن الأقلية المسلمة تعيش ضمن مجتمع غير مسلم خاضع لسلطان قوانين وضعية غالباً تختلف فى أحكامها عن أحكام الشريعة التى تحكم الوقف الإسلامى بناء على طبيعته الخاصة التى أملت أحكاماً قد لا تتفق بشىء من الاجتهاد والانتقاء من الأقوال مع الأنظمة الغربية.

إن الأقليات المسلمة فى ديار الغربة تحتاج إلى مؤسسات اقتصادية وثقافية فاعلة تجبر ضعفها، وتقيم أودها، وتحرس عقيدتها، وتحافظ على أبنائها؛ بتعليمهم أمر دينهم ولمساعدة المحتاجين والفقراء والمرضى منهم وبخاصة بعد أن تزايد أعداد المسلمين فى الغرب ولم يعد وجودهم عابراً ولا عارضاً وإنما أصبح وجودهم يتصف بالديمومة والنمو، حيث بلغ عددهم كما يراه بعض الباحثين يتجاوز ستين مليوناً فى أمريكا وأوروبا بين مسلمين أصليين فى شرق أوروبا ومسلمين جدد ووافدين. وهناك مدن مرشحة لأن يكون عدد المسلمين أكثر من غيرهم من أهل الديانات الأخرى كمدينة ابريكسل البلجيكية. وفى مدينة واحدة كمدينة باريس بلغ عدد المسلمين مليونين(٣).

إنه من الضرورى إجراء كشف لحاجات المسلمين فى مجالات الوقف فى الغرب، والتعاون مع الهيئات الإسلامية التى تهتم بأوضاع الجاليات المسلمة فى بلاد الغرب، ومن أهمها رابطة العالم الإسلامى ومنظمة المؤتمر الإسلامى.

الهوامش:

١ - عبد الستار الهيتى - الوقف ودوره فى التنمية - مركز البحوث والدراسات - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر - ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ص١٣.

٢ - محمد شوقى الفنجرى - «الوقف: السبيل إلى إصلاحه أو تصويبه، وصولاً إلى تفعيل دوره» - ندوة الوقف التى نظمتها الجمعية الخيرية الإسلامية - يوم الاثنين ١٥ من ذى القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢١ فبراير ٢٠٠٠م - ص١٤.

٣ - الشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ ابن بيّه، الوقف فى الغرب، بدون سنة أو تاريخ نشر.

الدعوة والدعاة

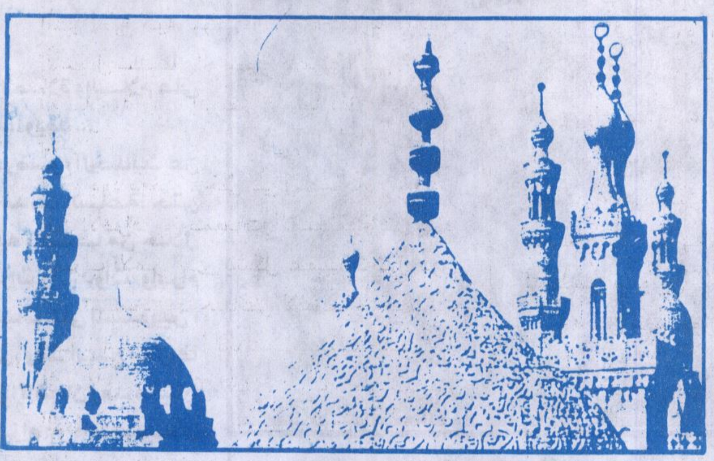

- حقوق الإنسان فى الإسلام
- التواضع من صفات الأنبياء وحلية الأولياء

حقوق الإنسان فى الإسلام

د. سالم عبدالجليل

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله،،، وبعد،،،

فلقد بات موضوع الحديث عن حقوق الإنسان حديث الساعة، حتى غدا الاهتمام به واضحاً من خلال عقد المؤتمرات والندوات، وإبرام المواثيق والاتفاقيات على المستويَيْن: الإقليمى والدولى؛ وقد أصبح معروفاً أن تطبيق حقوق الإنسان يُعد معياراً لمعرفة مدى التزام دولة ما بمبادئ العدل والإنصاف، كما أنه يُعدّ معياراً لمقياس مدى إدراك ووعى تلك الشعوب.

وتاريخ الإنسانية خير شاهد على أن حقوق الإنسان لم تحظ بالعناية بمثل ما حظيت به فى ظل الإسلام؛ والحقوق فى الشريعة الإسلامية تمثل القاعدة الأساسية للتشريع كله؛ وهى حقوق الله التى يترتّب على الوفاء بها مرضاته سبحانه وتعالى، وبذلك يرتقى المفهومُ الإسلامىُّ لحقوق الإنسان، إلى مقام العبادة الرفيع، باعتبار أن هذه الحقوق واجباتٌ دينيةٌ، وفروض شرعية.

فهى ليست حقوقًا دستورية فحسب، وهى ليست نتاجًا فكريًا يمثّل مرحلة من تطوّر العقل الإنسانى، وليست حقوقًا طبيعية كما يعبر عنها فى القانون الوضعى، ولكنها فى التعاليم الإسلامية، واجبات دينية يُكلَّف بها الفردُ والمجتمع، كلٌّ فى نطاقه، وفى حدود المسئولية التى ينهض بها.

وهى حقوق شاملة، حتى إنها لتشمل المخالف لنا فى العقيدة، يقول ﷺ: «ألا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهداً أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

تعريف الحق:

ورد استعمال كلمة الحق فى لغة العرب بعدة معان:

- فتارة يستعملونها بمعنى نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق(٢)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة: الآية ٤٢.

- وتارة يستعملونها بمعنى الواجب، يقال: أحققت الشىء: أوجبته، واستحق الشىء والأمر استوجبه(٣)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا

حقوق الإنسان فى الإسلام واجبات دينية يكلف بها الفرد والمجتمع وترقى إلى مقام العبادة

أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ سورة الإسراء: الآية ١٦.

- وتستعمل كلمة الحق أيضا بمعنى الحظ والنصيب، ومنه قوله تعالى: **﴿والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾** سورة المعارج الآيتان: ٢٤، ٢٥، الحق المعلوم هو الزكاة المفروضة.

- وتستعمل كلمة الحق أيضا بمعنى الثابت، ومنه قوله تعالى: **﴿قال الذين حق عليهم القول﴾** أى ثبت(٤).

- وورد الحق: اسم لله تعالى أو صفة له، قال ابن الأثير: هو الموجود حقيقة، المتحقق وجوده وإلهيته(٥).

فالحق هو الواجب والنصيب والثابت الذى لا يسوغ إنكاره.

حقوق الإنسان وجدت مع وجود الإنسان:

لقد وجدت حقوق الإنسان مع وجود الإنسان الأول - آدم أبو البشر - حيث أهبط إلى الأرض ومعه المنهج الإلهى الذى يضمن له حياة آمنة مستقرة، **﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾** سورة طه، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤.

وأول من ضيع حقا من هذه الحقوق - حق الحياة - هو ابن آدم الذى قتل أخاه، ولذلك يحمل وزر كل من اعتدى على أخيه بالقتل إلى يوم القيامة كما ورد فى الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل(٦) من دمها لأنه أول من سن القتل(٧)»** ولقد سجل الله تعالى هذه الحادثة المروعة - حادثة انتهاك حق من حقوق الإنسان - فى قرآن يتلى إلى يوم القيامة(٨).

حقوق الإنسان مرعية فى كل الشرائع:

- يؤكد ذلك ما ورد فى كتاب الله - عز وجل - تعليقا على قصة قتل ابن آدم لأخيه: **﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون﴾** سورة المائدة: آية ٣٢؛ والآية تدل على أن قتل نفس واحدة - فى غير قصاص يقضى به ولى الأمر أو من ينيبه، وفى غير دفع فساد فى الأرض - يعدل قتل الناس جميعا لأن كل نفس ككل النفوس.

إن الاهتمام بمجال حقوق الإنسان يرجع فى الأصل إلى الدين الذى ينظر إلى الإنسان على أنه أعظم كائن فى الوجود.

أما الاهتمام الغربى الزائد بحقوق الإنسان يرجع إلى الحرمان الذى عاشه الغربيون قرونا من الزمن نتيجة لاستبداد سياسى بل وحتى دينى فى بعض البلدان، مما جعلهم يبحثون عن الحقوق الإنسانية من خلال المنظمات المحلية والدولية، ووضعوا لذلك المواثيق والمعاهدات التى

الحق فى الحياة مكفول لكل البشر بلااستثناء بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم

تضمن الحصول على هذه الحقوق التى حرموا منها.

وهذا يختلف تمامًا عن النظام الإسلامى الذى يجعل من حقوق الإنسان واجبات دينية يُكلَّف بها الفردُ والمجتمع، ترقى إلى مستوى العبادة.

أهمية حقوق الإنسان فى الإسلام:

من أهم مبادئ الشريعة إقامة العدل فى الأرض، أى إيصال الحقوق إلى مستحقيها وأصحابها فكان العدل قيمة عظيمة من قيم الإسلام، ومبدأ أساسياً من مبادئه، فجاءت الآيات العديدات تؤكد عليه. قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** سورة المائدة: آية ٨.

ولئن كان العدل - وهو إيفاء الحقوق لأصحابها - أعظم قيم الإسلام، فإن الظلم - وهو منع الحقوق عن أصحابها، من أسوأ الأفعال وأقبحها، وظلم الإنسان للإنسان - بعدم إيفائه حقاً له - أعظم من ظلم الإنسان نفسه فيما بينه وبين ربه، ولذا حذر النبى ﷺ منه فقال: **«اتَّقُوا الظُّلْمَ فإن الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يوم القِيامَةِ»**(٩)، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، ففى الصحيح عن ابن عبَّاس - رضى الله عنهما - أنَّ النبى ﷺ بعَثَ مُعاذًا إلى اليَمَن، فقال: **«اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فإنَّها ليس بَيْنَهَا وبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»**(١٠).

وفى الصحيح أيضًا عن أبى هُرَيْرَة أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قال: **«أتَدْرُونَ من المُفْلس قالوا المُفْلسُ فينَا من لا دِرْهَمَ له ولا مَتَاعَ، فقال: إنَّ المُفْلسَ من أُمَّتِى يَأْتِى يوم القِيامَةِ بصَلاة وَصِيَام وَزَكَاة ويَأْتِى قد شَتَمَ هذا وَقَذَفَ هذا وأَكَلَ مَالَ هذا وَسَفَكَ دَمَ هذا وَضَرَبَ هذا فَيُعْطَى هذا من حَسَنَاته وَهَذَا من حَسَنَاته، فَإِنْ فَنيَتْ حَسَنَاتُهُ قبل أَنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ من خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عليه ثُمَّ طُرِحَ فى النَّارِ»**(١١).

خطبة الوداع تقرير لحقوق الإنسان:

فى الوقت الذى لم يكن أحد يسمع عن شىء اسمه حقوق الإنسان، كان النبى ﷺ يؤصل لهذه الحقوق، وفى أكبر وأهم تجمع دينى - يمكن أن يطلق عليه اسم مؤتمر - أعلن النبى ﷺ عدداً من الحقوق الأساسية، فقد ورد فى الصحيح أن النبى ﷺ فى حجته - حجة الوداع - حين خطب خطبة عظيمة قال: **«إنَّ دماءَكُمْ وأَمْوالَكُمْ حَرامٌ علَيْكُم كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، فى شَهْرِكُمْ هذا، فى بَلَدِكُمْ هذا، ألا كُلُّ شَيءٍ من أَمْرِ الجَاهِلِيَّة تَحْتَ قَدَمَىَّ مَوْضُوعٌ، وَدِماءُ الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ من دمَائنَا دَمُ ابن رَبِيعَةَ بن الحَارِث، كان مُسْتَرْضِعًا فى بَنِى سَعْد، فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا، رِبَا العَبَّاس بن عبد المُطَّلب، فإنه مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فى النِّسَاءِ، فإنَّكُم أَخَذْتُمُوهُنَّ بأَمَانِ اللَّه، وَاسْتَحْلَلْتُم فُرُوجَهُنَّ بكَلِمَةِ اللَّه، وَلَكُمْ عليهنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذلك فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غير مُبَرِّح وَلَهُن عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ**

بِالْمَعْرُوفِ»(١٢).وهذه الخطبة على وجازتها وضعت أسس حقوق الإنسان، وقد تأكدت هذه الحقوق عمليًا بفعل النبى ﷺ وصحابته الكرام.

مقاصد الشريعة تقرير لحقوق الإنسان:

للشريعة الغراء مقاصد خمس لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمن وهذه المقاصد هى: حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ الدين، حفظ العرض، حفظ المال ؛ على اختلاف يسير بين العلماء فى ترتيبها.

وبالنظر إلى هذه المقاصد، أو كما تسمى الكليات أو الضرورات الخمس نجد أنها تؤسس لحقوق الإنسان:

إذ من حق كل إنسان ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ أن يحيا آمنًا على:

١ ـ حياته: ذلك لأن الله تعالى استخلفه فى الأرض، وحمَّله مسئولية عمارتها، ولن يستطيع الإنسان أن يؤدىَ واجبه ويتحمَّل مسئولياته ويقوم بحق هذه الخلافة إذا لم يأمن على حياته.

«والحق فى الحياة مكفول لكل البشر بلا استثناء، بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم ؛ لا فرق فى ذلك بين غنىٍّ وفقير أو حاكم ومحكوم،ولا فرق بين الرجال والنساء؛ ولا فرق بين المسلم وغير المسلم، والعدوان على فرد واحد يُعَدُّ عُدوانًا على البشرية كلها؛ لأنه جزء من هذا الكل، قال تعالى: **﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾** المائدة: آية ٣٢.

وحرمة النفس المؤمنة أعظم عند الله من حرمة الكعبة؛ كما جاء فى قول النَّبى ﷺ مخاطبًا الكعبة: **«مَا أَطْيَبَكِ! وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ»**(١٣)، وقال ﷺ: **«لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق»**(١٤).

ولا ذنب عند الله تعالى بعد الشرك أعظم من قتل نفس بغير حق، قال تعالى: **﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾** النساء: آية ٩٣، وقال ﷺ: **«لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِى فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»**(١٥)، وعن ابن عمر قال: «إن من ورطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله»(١٦).

حتى نفسه التى بين جنبيه لا يحل للإنسان أن يعتدى عليها بدعوى أنها نفسه، فهى ملك لله تعالى ويجب على الإنسان أن يحافظ عليها فإذا جاع أكل وإذا عطش شرب وإذا مرض تداوى، وإلا فهو محاسب، وقد قال الله تعالى : **﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾** سورة النساء: آية ٢٩، وقال: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** سورة البقرة: آية ١٥٥، والنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول: **«مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِى يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا**

يعانى الإنسان المعاصر فراغا روحيا يجعله كالمعلق بين السماء والأرض لافتقاده الإيمان الذى يملؤه بالطمأنينة والسكينة

أبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِى يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِى بَطْنِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»(١٧).

٢ ـ عقله: إذا كان الإنسان فى حاجة إلى حفظ نفسه وحمايتها للقيام بمهمة الاستخلاف التى خلقه الله من أجلها، فإنه فى حاجة إلى حفظ العقل الذى به الفهم والإيمان والإرشاد إلى الطريق المستقيم . وبه يتميز عن الحيوان.

والعقل فى الإسلام مناط التكليف، فلا يجب على الإنسان شئ ما لم يكن عاقلاً، فإذا غيب العقل رفع التكليف؛ يؤكد هذا ما ورد عن ابن عباس قال: مر على بن أبى طالب بمجنونة بنى فلان وقد زنت وأمر عمر ابن الخطاب برجمها فردها على وقال لعمر: يا أمير المؤمنين أترجم هذه؟ قال: نعم، قال: أو ما تذكر أن رسول الله ﷺ قال: رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون المغلوب على عقله، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم؟ قال: صدقت، فخلى عنها(١٨).

لقد حذر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من إهمال العقل والاكتفاء بالتقليد الأعمى للآخرين فقال ﷺ: «لا تكونوا إمَّعَة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»(١٩).

ومن صور تغييب العقل البغيضة: الاعتقاد فى الخرافات والأوهام وتفسير الأمور بغير أسبابها الحقيقية. ومن ذلك ما ورد أنه عندما مات إبراهيم ابن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ تصادف أن كسفت الشمس فى ذلك اليوم فقال البعض: لقد كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال ﷺ: **«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته»**(٢٠).

ثم إن الإسلام حرم العدوان على العقل بأى شكل من الأشكال؛ حتى عدوان الشخص نفسه على عقله بتدميره بالمخدرات التى تفسده وتشل فاعليته. ومن العدوان على العقل تقديم الزاد الثقافى الفاسد له ومنع مصادر التثقيف السليم عنه، أو القيام بعمليات غسيل مخ لمن يراد أن ينقادوا لهم كالقطيع.

إن من حق الإنسان ـ كل إنسان ـ أن نكفل له حرية التفكير والتعبير عن رأيه وطرح وجهات نظره دون حجر على رأيه أو مصادرة لفكره .بشرط أن تكون هذه الحرية مسئولة . وإلا أصبحت الأمور فوضى لا ضابط لها ولا نظام.

٣ ـ دينه: يعد الدين فى ذاته حاجة فطرية للإنسان من حيث هو إنسان. ومن هنا عرف علماء الأديان الإنسان بأنه **«كائن متدين»** لأنه الكائن الوحيد من بين كل الكائنات الذى يميل إلى التدين بطبعه، فالتدين خاصة من خواص الإنسان.

وتشترك الأجناس البشرية كلها فى الغريزة الدينية. وهذا ما جعل أحد المفكرين الغربيين «برجسون» يقول: «لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد أبداً جماعة بغير ديانة»(٢١).

وحاجة الإنسان إلى الدين ليست مجرد إشباع نزعة فطرية لديه مثل بقية حاجاته الأخرى، وإنما هو ـ فضلاً عن ذلك ـ فى حاجة إلى الدين لأنه منهج للهداية ومرشد للسلوك ومهذب للنفوس بما يشتمل عليه من توجيهات إلهية صادرة من خالقه الذى يعلم علم اليقين ما يصلح هذا الإنسان وما يفسده **﴿ألا يعلم مَنْ خلق وهو اللطيف الخبير﴾**؟ سورة الملك: آية ١٤.

ولذا عندما نعد من الحقوق الأساسية للإنسان: حماية عقيدته الدينية فإننا نرتكز على نزعة فطرية أصيلة فى نفس الإنسان لا تستقيم حياته بدونها.

ومن هنا نرى فى عالمنا المعاصر

مقدار ما يعانيه الإنسان فى العصر الحديث من تمزق نفسى بسبب الفراغ الروحى، الأمر الذى يجعله كالمعلق بين السماء والأرض لأنه يفتقد الأساس الراسخ الذى يركن إليه، ويفتقد الإيمان الذى يملأ جوانب نفسه بالسكينة والطمأنينة. والبدائل التى يلجأ الإنسان إلى الإيمان بها كالإيمان بالعلم أو بالإنسان أو بالمادة.. إلخ لا تغنى فتيلاً ولا تشفى غليلاً.

وإذا كان الدين له فى حياة الإنسان كل هذه الأهمية الكبرى وله هذا الأثر البالغ فى تشكيل حياته وصياغة سلوكه فإنه يعد حقاً أصيلاً له، لا يجوز لأحد أن يعتدى عليه بأى شكل من الأشكال.

واختيار الإنسان لدينه ومعتقده اختيار حر لا يجوز الإكراه عليه؛ ومن هنا قرر الإسلام مبدأ حرية العقيدة بشكل صريح لايقبل التأويل: **﴿لا إكراه فى الدين﴾** البقرة: آية ٢٥٦، **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾** سورة الكهف: آية ٢٩؛ فإكراه الناس على الإيمان بدين من الأديان من شأنه أن يولد منافقين لا مؤمنين.

وإذا كان صاحب كل دين من حقه أن يدعو إلى دينه فإنه ليس من حقه أن يلجأ إلى وسائل غير مشروعة لمحاولة تحويل الناس عن عقائدهم الدينية، فالغاية لا تبرر الوسيلة بأى حال من الأحوال ومن أجل ذلك يرسم القرآن الكريم المنهج الذى يجب الالتزام به فى الدعوة إلى الدين فى قوله تعالى: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾** سورة النحل: آية ١٢٥.

ولم يلجأ الإسلام إطلاقاً إلى إجبار الآخرين من أصحاب الديانات الأخرى على الدخول فى الإسلام؛ وقد لفت القرآن الكريم نظر النبى ﷺ إلى أن مهمته تنحصر فى التبليغ فقط **﴿فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾** آل عمران: آية ٢٠، وهناك آيات عديدة فى هذا الشأن مثل قوله تعالى: **﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾** يونس: آية ٩٩، وذلك كله يأتى انطلاقاً من مبدأ ثابت فى شريعة الإسلام يضمن حرية الاختيار للمعتقد الدينى دون تخويف أو إكراه. ومن هنا نفهم حرص الإسلام على جعل حفظ الدين للإنسان وحمايته ومنع العدوان عليه حقاً أصيلاً ومقصداً أساسياً من مقاصد الشريعة الإسلامية التى ترفع لواء التسامح الذى لا نظير له فى السابق ولا فى اللاحق.

صلة العقل بالدين:

إذا كان حفظ العقل وحفظ الدين حقين للإنسان كفلتهما الشريعة الإسلامية، فإن من الأمور البدهية إذن أن يكون هناك توافق تام بين هذين الحقين.

وإذا كان الإنسان فى حاجة إلى العقل وحمايته من العبث به، وفى الوقت نفسه فى حاجة إلى الدين وحمايته من العدوان عليه، فإن المنطق يقضى بأن يكون هناك تكامل بين هذين الأصلين.

إن كلا منهما يكمل الآخر ولا يمكن فصلهما عن بعضهما، تماماً مثل الأساس والبناء اللذين لا يقوم أى منهما لذاته. فلن يغنى أساس مالم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس «فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاضدان، بل متحدان»(٢٢).

٤ ـ نسله وعرضه: يحرص الإسلام أشد الحرص على سلامة المجتمع وقوة أفراده لينهض كل فرد بمسئوليته الملقاة على عاتقه من أجل النهوض بالحياة والأحياء، وحفظ النسل يعد من أهم الحقوق التى كفلتها الشريعة الإسلامية للإنسان؛ لأن هذا يعنى المحافظة على النوع الإنسانى، كما يعنى بصفة

خاصة المحافظة على الأسرة التى تعد الخلية الأولى فى تكوين أى مجتمع إنسانى سليم.

ومن هنا يهتم الإسلام بحفظ الأنساب وحمايتها من الاختلاط، ويحرم زواج المحارم؛ وهذا كله يدخل فى إطار «جلب المصالح ودرء المفاسد» عن النوع الإنسانى. فإذا كانت الأسرة هى الخلية الأولى والعنصر الأساسى فى تكوين المجتمع، فإن الزواج هو السبيل الوحيد لتكوين الأسرة فى الإسلام. وحتى تنشأ الأسرة فى جو من الطمأنينة والاستقرار جعل الإسلام الزواج يقوم على علاقة المودة والرحمة، قال تعالى: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾** سورة الروم: آية ٢١، حتى يتهيأ للأطفال مناخ صحى لتربيتهم تربية سليمة ليكونوا بعد ذلك عناصر قوية وفعالة فى المجتمع.

ولقد حرم الإسلام الاعتداء على الحياة الزوجية، كما حرم الاعتداء على الأعراض سواء بالقذف أو بالفاحشة، وقرر العقوبات المناسبة لهذه الجرائم حماية للنسل(٢٣). وحرم الإسلام الممارسات الجنسية خارج إطار العلاقات الزوجية، لما يترتب عليها من أمراض فتاكة تهدد النوع الإنسانى كمرض «الإيدز» الذى يهدد اليوم حياة عشرات الملايين من البشر فى العالم وهو ناتج عن الفوضى الجنسية خارج نطاق العلاقة الزوجية.

٥ ـ ماله: المال فى الحقيقة هو مال الله، والإنسان مستخلف فيه بوصفه خليفة فى الأرض **﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾** سورة الحديد: آية ٧، فالملكية الأصلية لكل شىء هى لله. وملكية الإنسان للمال لا تعدو أن تكون تفويضاً من الله، وقد جبل الإنسان على حب المال وامتلاكه. ويشمل المال كل ما يتملك، سواء كان مالاً نقدياً أو عقاراً أو أرضاً زراعية أو غير ذلك من أشياء أخرى يملكها الإنسان. ويعد المال عصب الحياة. ولا يمكن أن تتقدم حياة الناس وتزدهر بدون المال. وقد صدق أمير الشعراء أحمد شوقى حين قال:

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم

لم يبن ملك على جهل وإقلال

وقد حرصت الشريعة الإسلامية على جعل حفظ المال أحد حقوق الإنسان الأساسية لأنه الثروة التى من خلالها يستطيع الإنسان أن يحقق الكثير من الخير لنفسه ولمجتمعه. والدفاع عن المال الذى يملكه الإنسان دفاع مشروع، بل إن الذى يقتل دفاعاً عن ماله يعد شهيداً فى الإسلام، كما ورد فى الحديث الشريف: **«من قتل دون ماله فهو شهيد»**(٢٤).

الهوامش:

١ ـ أخرجه أبو داود فى سننه بسند صحيح.

٢ ـ لسان العرب لابن منظور ٩٣٩/٢، مختار الصحاح للرازى ص٦٢، المصباح المنير للفيومى ١٤٣/١.

٣ ـ القاموس المحيط للفيروز آبادى ص١١٣٠، المصباح المنير ١٤٤/١، مختار الصحاح ص٦٢، لسان العرب ٩٤٢/٢.

٤ ـ لسان العرب ٤٩/١.

٥ ـ تاج العروس ج٢٥: ١٦٦.

٦ ـ كنز العمال ج/١٥ص١٠.

٧ ـ الكفل : الضعف أو النصيب.

٨ ـ الآيات من سورة المائدة : ٢٧ ـ٣١.

٩ ـ رواه مسلم عن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ.

١٠ ـ رواه البخارى.

١١ ـ رواه مسلم.

١٢ ـ رواه مسلم.

١٣ ـ أخرجه ابن ماجة فى سننه.

١٤ ـ أخرجه ابن ماجة فى سننه.

١٥ـ البخارى فى كتاب الديات٦٨٦٢.

١٦ ـ صحيح الترغيب والترهيب للألبانى جـ٢ / صـ ١٣٧.

١٧ ـ رواه البخارى فى الصحيح.

١٨ ـ المستدرك على الصحيحين ج١/ ص٣٨٩.

١٩ ـ رواه الترمذى.

٢٠ ـ رواه البخارى ومسلم.

٢١ ـ انظر: الدين للدكتور/ محمد عبدالله دراز ص٣٨، ٨٢ وما بعدها.

٢٢ ـ المرجع السابق نفس الصفحة.

٢٣ ـ انظر أيضا: أصول الفقه للشيخ أبو زهرة ص٣٤٥/ ٣٤٦.

٢٤ ـ رواه الإمام أحمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه (فيض القدير للمناوى ج٦، ص ١٩٥).

التواضع من صفات الأنبياء وحلية الأولياء

د : أحمد عبداللطيف الكلحى

قال تعالى: ﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتناوكانوا عنها غافلين﴾ الأعراف ١٤٦.

وجاء فى بيان الكبر بأنه مذموم لقوله تعالى فى حديثه القدسى (الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما ألقيته في جهنم ولا أبالى) وقيل بأن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا بنيه وقال إنى آمركما باثنتين وأنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله فإن السماوات والأرض وما فيهن لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله فى الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السماوات والأرض وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شىء وقال ﷺ «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان، وملك جائر، وعائل متكبر».

وإذا كان الكبر والغطرسة من طباع الأشرار واللئام، فإن التواضع والسماحة من سجايا الأخيار والأكرمين، أولئك الذين طابت نفوسهم واطمأنت قلوبهم، وزكت عقولهم وأرواحهم ففهموا الدنيا على وجهها، وعرفوا الحياة على حقيقتها وأدركوا مصير الإنسان فى هذا الوجود، وأنه إلى عدم وفناء، إلى حيث يقف بين يدى الله، ويحاسبه على ما قدم من إساءة أو إحسان، علموا ذلك كله، وأيقنوا أن كل ما يتمتع به الإنسان من صحة وشباب ومال وعقار، ومنصب وجاه إنما هى أعراض زائلة وظلال متنقلة لا تلبث أن تزول عنهم إلى غيرهم، كما زالت عن غيرهم إليهم، ولو تكلمت العقارات التى يملكها المتكبرون، والأموال التى يفخرون بها على الناس، والمناصب التى يتيهون بها على عباد الله لو تكلمت كل هذه الأشياء لحدثتهم عمن كانوا قبلهم بما يقطع القلوب، ويفتت الأكباد، وكيف طواهم الموت فى سجله، وغيبهم العدم فى جوفه، وواراهم التراب فى بطنه وثراه ولم يبق لهم إلا ذكريات تردد، وأحاديث تعاد، وأدعية تصعد إلى كبد السماء، إما بالمغفرة لهم والترحم عليهم، وإما بلعنهم وطردهم من رحمة الله.

كل الأمور تمر عنك وتنقضى
إلا الثناء فإنه لك باق
ولو أننى خيرت أى فضيلة
ما اخترت غير مكارم الأخلاق

لو تأمل المتكبرون فى ماضى غيرهم، ومستقبل أنفسهم، لطهروا نفوسهم من أرجاس الكبر والغرور، وملأوها بالتواضع والخشوع لله ولعباد الله - على أن التواضع صفة حميدة تكسب صاحبها عزة ورفعة، وعلوا وسموا ومهابة وجلالا وتجعله من الناس ملء عيونهم وقلوبهم، ويحبون قربه ويودون مجالسته ويشتهون بقاءه ويتمنون له كل خير وبر ويرجون له كل سعادة وهناء. كما أن الكبر رذيلة ملعونة تصغر صاحبها وتحقره،

وتجعله على الناس ثقيلا كثيفا، وسمجا سخيفا يخافونه ولكن لايحترمونه، ويتقونه ولكن لايجلونه، ويظهرون له المحبة والمودة ويضمرون له العدواة والبغضاء، وكيف لا يبغضونه وقد ابغضه الله، وصرفه عن آياته، وجعله من الغواة الغافلين **﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾** الأعراف ١٤٦. فما أجمل التواضع فى قدرة وأكمله فى عزة وأحسنه فى غنى وثراء، ولأن الغنى إذا كان متواضعاً والعظيم إذا كان سمحا جعل الناس ينظرون إليه نظرة ملؤها العجب والاستغراب ويجعلهم يقولون لماذا لم يفتنه ماله وعقاره؟ وهذا أوضح دليل على أن مجده ذاتى، وعزه طبيعى، والنفوس الكريمة لا تفخر بالمال، وإنما يفخر بها المال، ولا تعتز بالجاه وإنما يعتز بها الجاه، وأخيرا فالنفس المتكبرة عليلة مريضة، وفارغة جوفاء أشبه ما تكون بقصاصة الورق على الأرض، لا تمر عليها ريح، ولا تهب عليها عاصفة إلا ارتفعت معها إلى أجواء الفضاء، حتى إذا سكنت الريح، وهدأت العاصفة عادت كما كانت على الأرض ذليلة وضيعة، منبوذة ملقاة، كما أن النفوس المتواضعة كالذهب فى جوف الصحراء أو كالنجم على صفحة الماء، قريب ولكنه بعيد، ودان إلى العين منظره ولكنه قصى عسير المنال.

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر
على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه
على طبقات الجو وهو وضيع

وكفى بالكبر ذلة ومهانة. إنه يحرم صاحبه من عطف الناس وحبهم وتقديرهم واحترامهم، ويجعله أجنبيا غريبا فى الوسط الذى يعيش فيه لا يعرفه أحد ولا يقربه إنسان، جلوسه غم وحديثه سم، ولقاؤه شائك مرير، قذى فى العيون والأسماع، وشجى فى الحلوق والأفواه. لذلك نهى لقمان ولده فى وصاياه الخالدة عن تلك الرذيلة المشئومة التى تنغص العيش وتكدر صفو الحياة **﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾** لقمان آية ١٨ وخير عقوبة للمتكبرين ألا يحفل الإنسان بهم ولا يفكر فيهم ولا يعيرهم عناية ولا اهتماما، حتى يشعروا بالوحشة والغربة ويحسوا بالعزلة والوحدة، ويلمسوا القسوة والجفاء حتى يفكروا فى علاج مرضهم واستئصال دائهم، وإزالة ما علق بهم من أدران الصلف والتيه، وعند ذلك يعودون إلى المجتمع أصحاء وبررة أتقياء وأخياراً متواضعين يبادلون الناس حبا بحب وتقديرا بتقدير واحتراما باحترام.

ولست بهياب لمن لا يهابنى
ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا
فإن تدن منى تدن منك مودتى
وإن تنأ عنى تلقنى عنك نائبًا

التواضع من سجايا الأخيار والأكرمين الذين طابت نفوسهم ففهموا الدنيا على وجهها وعرفوا الحياة على حقيقتها

كان الرسول المثل الأعلى فى التواضع ولين الجانب فكان يجيب دعوة العبيد ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين

قال تعالى ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام* وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد* وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد**﴾ البقرة ٢٠٤ - ٢٠٦ هذا النص القرآنى يبين لنا أحوال الإنسان إذا تغطرس وتمرد فالإنسان لغز غامض، وسر مبهم وعالم مجهول، ظهر حتى كان أوضح من الشمس، وغمض حتى كان أخفى من الغيب، تبسط حتى كان أسلس من الدواجن والطيور، والتوى حتى كان اعقد من الحيات والثعابين جمع إلى ليونة الماء صلابة الحديد، وإلى نفاسة الذهب خسة الرصاص وإلى شجاعة الأسد جبن القردة وإلى وفاء الكلاب غدر الذئاب وإلى شح النمور وشراهة الخنازير اجتمع فيه الضدان والتقى فيه النقيضان يضحك لك فمه ويقهقه ويتلظى منك قلبه ويضطرم، يسمعك بلسانه الكلمات المعسولة والألفاظ المنمقة ويدير لك بعقله المكايد المحكمة والحيل المبيتة يفيض ظاهره بالنور والسرور يقذف باطنه بالشرر واللهب، يتصنع الصدق وهو أكذب من مسيلمة ويدعى العدالة وهم أظلم من سدوم ويتكلف الرحمة واللين وهو أطغى من الفراعنة والعماليق، صديق بقدر ما هو عدو، وإنسان بقدر ما هو وحش وملاك رحيم بقدر ما هو شيطان رجيم.

والكبر أثر من أثر العجب والبغى من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، ترحلت منه العبودية، ونزل عليه المقت، فنظره إلى الناس شرر ومشيه بينهم تبختر، ذاهب بنفسه تيها، لا يزور أحدا تكبرًا على الناس ولا يعود مريضا فقيرا يري نفسه خيرا منه لايبدأ من لقيه بالسلام، فإن رد عليه رأى أنه قد بالغ فى الإنعام عليه. لا ينطلق لهم وجهه، ولا يسعهم خلقه، ولا يرى لأحد عليه حقا ويرى حقوقه على الناس ويرى فضله عليهم ولا يزداد من الله إلا بعدا، ولا يرى من الناس إلا صغاراً وبغضا ومن تكبر بسبب الغنى، فإذا تأمل خلقا من اليهود وجدهم اغنى منه لشرف تسبقت به اليهود ولو عرف هذا الغنى آفة الغنى وشرف الفقر، وإن الدنيا لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضه ما سقى الكافر منها شربة ماء، وإن الفقراء يسبقون الأغنياء الشاكرين إلى الجنة بخمسمائة عام لما تكبر بها.

قال الاحنف بن قيس: عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين.

وقال أبو بكر الصديق: إياكم والفخر، وما فخر من خلق من تراب ثم يعود إليه ثم يأكله الدود، ورأى مطرف بن عبدالله المهلب يتبختر فى جبة خز فقال له وأعوذ بالله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال المهلب أما تعرفنى: قال: بلى أعرفك، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة، فترك المهلب مشيته تلك.

وقال أبو بكر الصديق: لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير، ومن الذى يسلم من ذنب يستحق به العقوبة وما مثله إلا كمثل رجل جنى على ملك جناية يستحق أن يضرب لأجلها ألف سوط فحبس فى السجن ليخرج فيعاقب، وهو منتظر أن يدعى به لذلك افتراه يتكبر على أهل السجن؟ وهل الدنيا إلا سجن؟ وهل المعاصى إلا موجبة للعقاب؟

فليس بمؤمن هذا الذى لم يتأدب بالقرآن، ولم يجر على منهج السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان . أولئك الذين وملأوا أكنافهم وأقنعوا نفوسهم وعلموا آن الناس كلهم لأدم وآدم من تراب، وانه لافضل لأحد على أخيه إلا بالتقوى والعمل الصالح وأعظم خصلة من خصال الإيمان هى التواضع والغفران، قال تعالى لنبيه **﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾** الشعراء ٢١٥.

ووصف الله أولياءه **﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾** المائدة ٥٤، فالعاقل من إذا رأى من هو أكبر سنا منه تواضع له وقال: سبقنى إلى الإسلام. وإذا رأى من هو أصغر منه سنا تواضع له وقال: سبقته بالذنوب، وإذا رأى من هو مثله عده أخا. فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه قال قتادة من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة.

ودخل ابن السماك على هارون الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين، إن تواضعك فى شرفك اشرف لك من شرفك. فقال: ما أحسن ما قلت فقال: يا أمير المؤمنين، إن امرؤ أتاه الله جمالا فى خلقته وموضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده. فعف فى جماله وواسى فى ماله وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خالص أوليائه.

ولا تمشى فوق الأرض إلا تواضعا
فكم تحتها قوم همو منك أرفع
وإن كنت فى عز وحرز ومنعة
فكم مات من قوم همو منك أمنع

وقال قوم من رؤساء الكفار للرسول: نح هؤلاء الموالى الذين كأن ريحهم الصنان، وهم ابن مسعود وصهيب وعمار وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين حين نجالسك قال: نعم فانزل الله تعالى: **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾** الكهف: آية ٢٨.

وتفاخرت قريش يوما عند سلمان الفارسى فقال سلمان: لكننى خلقت من نطفة مذرة ثم أعود جيفة منتنة، ثم آتى الميزان، فإن ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا لئيم وقال لقمان لابنه: يابنى تواضع للحق تكن اعقل الناس.

وروى الطبرانى مرفوعا: **«من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله، ومن ارتفع عليه وضعه الله»** وسئل الفضيل عن التواضع فقال: (أن تخضع للحق وتنقاد له، وتقبله ممن قاله) وقال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك عليه بدنياك فضل. وان ترفع نفسك عمن فوقك فى الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل.

وحكى انه لما أهم قيصر ملك الروم بأمر أمير المؤمنين عمر، أرسل رسولا لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك، لنا أمير خرج

إلى ظاهر المدينة، فخرج الرسول فى طلبه فرآه نائما فوق الرمل الحار وقد وضع رداءه تحت رأسه، لما رآه على تلك الهيئة وقع الخشوع فى قلبه وقال: رجل ملوك الأرض تهابه لا يقر لهم قرار من عظيم هيبته تكون هذه حالته. لكنك حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر ولولا أنى رسول لأسلمت ولكن سأعود بعد هذا واسلم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه «من خضع لغنى ووضع له نفسه إعظاما وطعما فيما لديه ذهب ثلثا مروءته وشطر دينه».

وفى الزهد للإمام أحمد: قال وهب بن منبه وجدت فى التوراة من تضعضع لغنى ذهب ثلثا دينه.

وقال بعض الفلاسفة اظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه.

روى الترمذى عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بئس العبد عبد تخيل واختال ونسى الكبير المتعال. بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى. بئس العبد عبد سهى ولهى ونسى المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتى ونسى المبتدا والمنتهى. ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين﴾** سورة القصص: آية ٨٣.

وكان - صلوات الله وسلامه عليه - المثل الأعلى فى التواضع ولين الجانب، فكان يجيب دعوة العبيد، ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويخدم أهله، وقد حث - صلوات الله وسلامه عليه - على خلق التواضع، ودعا إليه، لما فيه من رفعة صاحبه، وعلو منزلته فى الدنيا وعند الناس ولما يترتب عليه فى الآخرة من المثوبة والأجر.

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**مانقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد للهإلا رفعه الله**». ولقد وعى سلفنا منزلة هذه الفضيلة، فكانوا حريصين عليها يعالجون بها نزعات النفس، ويكسرون بها حدة الاستعلاء، ليظلوا بعيدين عن الترفع والغرور، فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب فيقول: «**أيها الناس: لقد رأيتنى أرعى الغنم عند خالات لى من بنى مخزوم، فأقبض القبضة من التمر والزبيب فأظل بها ويومى**» فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين مازدت على أن عبت نفسك، فقال له عمر: ويحك يا ابن عوف أنى خلوت بنفسى فحدثتنى، فقالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها نفسها، وهذا عمر بن عبد العزيز، يضرب أروع الأمثلة فى التواضع، موضحا أن التواضع لا ينقص من قيمة صاحبه، ذات مرة كان مع بعض جلسائه فاحتاج السراج إلى شىء من الإصلاح فقام ليصلحه، فقالوا له: كلنا نكفيك ذلك، فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قمت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ما نقص منى شىء.

والتواضع كفضيلة من الفضائل، هو وسط بين رذيلتين من الإفراط والتفريط، فجانب الإفراط فيها، يخرجها عن حدودها حيث يصبح المفرط فى ذل ومسكنة وهذا ما لا يرضاه الإسلام ففى الحديث: «**طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وانفق مالا جمعه فى غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة**» وأما جانب التفريط أو التقصير فيؤدى بصاحبه إلى الغرور والاستعلاء والتكبر، والغرور آفة الآفات، وأخطر الرذائل، ومهما اختال الإنسان وتكبر فإنه ضعيف، بل هو أضعف من الجمادات التى يظهر زهوه وخيلاءه فيها، فالأرض

التى يمشى عليها مهما ضربها بقدميه فلن يخرقها، والجبال التى يراها مهما اشرأب بعنقه وتطاول بقامته فلن يبلغ طولها، فعلام يتكبر الضعيف؟ قال الله تعالى: **﴿ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾** الإسراء ٣٧.

وكما يدخل الغرور والتكبر فى المشى، فإنه يكون فى المظهر كإمالة العنق، وفى الصوت برفعه، وبهذا ورد التحذير من كل مظاهر الاستعلاء والغرور، فقال تعالى: **﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور* واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾** لقمان ١٨ - ١٩ وللكبر آثاره الأليمة، وعاقبته الوخيمة، فنهايته فى الدنيا الذل والهوان، وعاقبته فى الآخرة الحرمان من الجنة، قال ﷺ **«لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر»**.

وإذا كان هذا النوع من الكبر وهو استعلاء بعض الناس على بعض أكثر شيوعا فى المجتمعات ، فإن هناك نوعا خطيرا من الكبر ظهر فى الجاهلية، ويظهر فى المجتمعات المادية الملحدة، والبعيدة عن الإسلام وتعاليمه وهو الاستكبار عن عبادة الله، فلا يقوم أصحاب هذا النوع بالعبادة من صلاة أو زكاة أو صيام أو دعاء أو نحو ذلك، وقد توعدهم الله فى قوله **﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾** غافر ٦٠.

ومن هذا القبيل من منعهم كبرهم وغرورهم عن الفكر والمعرفة والبحث عن الحقيقة بل منهم من عرف الحق وعزف عنه كبرا وعلوا قال تعالى: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾** النمل ١٤، وترجع أسباب الغرور والكبر إلى المتكبر نفسه عجبا واستعلاء وقد ترجع إلى المتكبر عليه حقدا وحسدا، وقد ترجع إلى أسباب غير ذلك كالرياء والتفاخر بالمال أو الجمال أو العلم أو نحو ذلك من الأسباب، وليس من الكبر نظافة الثوب وجمال المظهر، وإظهار آثار نعمة الله وإنما الكبر هو الطغيان عند النعمة واليسار والغنى واحتقار الناس والاستعلاء عليهم وقد قال رجل: يارسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: **«إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس»**.

وأهل التواضع هم عباد الرحمن الذين قال فيهم ربنا **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾** وعباد الرحمن مبتدأ خبره **﴿أولئك يجزون الغرفة﴾** فإن قيل من من هم قال تعالى **﴿الذين يمشون على الأرض هونا﴾** أى هم الذين أضافهم إلى نفسه وذلك التخصيص والتفضيل لأنهم ابعد ما يكونون عن مرض الكبر) **﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾** تسلما منكم ولكم. فهم الذين يطبقون قول النبى ﷺ **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**.

وقيل لما توجه عمر بن الخطاب إلى الشام جعل بينه وبين غلامه تناوبا فى الركوب فكان عمر يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمام الناقة، ويسير فرسخا وينزل عمر ويأخذ بزمام الناقة ويركب الغلام ويسير مقدار فرسخ، ثم ينزل فلما قرب الشام كانت نوبة الركوب للغلام فركب الغلام واخذ عمر بزمام الناقة، فاستقبل الماء فى الطريق فجعل عمر يسير فى الماء ونعلاه تحت إبطه اليسرى فخرج إليه أبو عبيدة فقال يا أمير المؤمنين إن عظماء الشام يخرجون إليك فلا يحسن أن يروك على هذه الحالة فقال عمر إنما أعزنا الله بالإسلام فإذا التمسنا العز فى غيره أذلنا الله.

يترقب ميلاد فجر جديد يشرق على بلاده

نعيم ترمانوف ـ مفتى كوسوفا ـ:

تعاطف المجتمع الدولى مع قضيتنا العادلة يُعَجّل باستقلال كوسوفا

نعيم ترمانوف
مفتى كوسوفا

من رحم الألم والمعاناة يولد رجال ثقلتهم الحياة وعركتهم الأيام، وهاهو العالم اليوم يترقب مخاض الأمة الإسلامية ليعلن عن ميلاد عضو جديد ينبض بالحياة فى قلب أوروبا، إنه إقليم كوسوفا المسلمة الذى ظل ردحا طويلا من الزمان، يرزح تحت نير الاستعمار وأسر الذل والهوان، وهاهو يعود ليستقبل شمس عهد جديد، يتنسم فيه عبير الحرية ويطوى سنوات عجاف طويلة من الظلم والقهر قضاها فى أسر العبودية، ويضع لبنة قوية فى صرح هذه الأمة الشامخة، ويشكل قوة دافعة هائلة لها لتخطو قدما إلى الأمام على درب العزة والتقدم، وعنصرا فاعلا يسهم فى صياغة مستقبل الأمة.

وهاهى كوسوفا اليوم توشك أن تقرر مصيرها وتنفض عنها غبار السنين، وتحطم حواجز الزمان وتمضى بخطى ثابتة على طريق الحرية التى غابت عنها طويلا.

وقد آن لهذه الدولة الوليدة أن تستكمل مقومات نجاحها وما أحوجها إلى أن تمد الأمة يدها لتمنحها شهادة ميلاد جديدة.

عن أحوال المسلمين فى كوسوفا ومستقبل هذا البلد الوليد كان هذا اللقاء بمفتى كوسوفا نعيم ترمانوف ورئيس الاتحاد العالمى لمسلمى كوسوفا.

حوار: مصطفى إبراهيم خيان ـ تصوير: سيد الزفزاف

أغلبية مسلمة

● توشك شمس كوسوفا أن تشرق من جديد.. لتنضم لأسرة المجتمع الدولى. فهل لنا فى نبذة عن هذا البلد المسلم الشقيق؟

ـ على الرغم من أن كوسوفا ذات أغلبية سكانية تدين بالإسلام.. إلا إنه مما يؤسف له، ومما يترك غصة فى الحلق أن الكثير من أبناء العالم الإسلامى لا يعرفون عن كوسوفا إلا اسمها، وقد كانت كوسوفا فيما مضى جزءا من ألبانيا التى فتحها المسلمون فى القرن الخامس عشر، حيث اعتنق جميع سكانها الإسلام، وكانت طوال تاريخها مسرحا لحروب وأحداث تاريخية عديدة.

تقسيم البلاد

● وكيف انفصلت إذن؟

ـ جرى تقسيم ألبانيا بعد انسحاب العثمانيين الذين كانوا يحكمون البلاد، فى مؤتمرى برلين وباريس عامى ١٩١٢، ١٩١٨م، إلى خمسة أقسام حيث سيطرت مقدونيا على جزء، وجزء آخر خضع لسيطرة اليونان، وثالث ضم للجبل الأسود، ورابع تحت حكم صربيا، وإقليم كوسوفا وبعد انسحاب العثمانيين،

قدم أبناء كوسوفا أرواحهم رخيصة لنصرة الإسلام فاستحقوا دعم الأمة ونصرتها

خضع لسيطرة صربيا، ويوغسلافيا الفيدرالية فيما بعد.

الانتماء للدين

• هل يمكن لكم أن تصفوا لنا أحوال المسلمين آنذاك؟

ـ عاش المسلمون فى هذه البلاد تسعين عاما من القهر والاضطهاد وهم يدافعون عن قضيتهم العادلة حتى سقط منهم ما يربو على نصف مليون شهيد من الألبان، وزج بقرابة المليون منهم فى غياهب السجون واضطر نحو ثلاثة ملايين إلى النزوح إلى أمريكا وأوروبا.

وخلال الفترة بين عامى ١٩٨١، ١٩٩٨م، أعلنت حالة الطوارئ وتم إغلاق جميع المدارس الدينية ودمرت المساجد حتى لا تترك تأثيرها فى نفوس الناس، ورغم ذلك استطاع أبناء كوسوفا افتتاح مدارس علاء الدين الإسلامية لتواصل رسالتها فى تعليم أبناء المسلمين حتى يظلوا موصولين بإسلامهم منتمين لدينهم.

ضريبة الحرية

• لاشك أنكم دفعتم ضريبة باهظة لاستعادة حقوقكم المشروعة.. هل يمكن أن تلقى لنا بالضوء على ذلك؟

ـ فى عام ١٩٩٨م تكون جيش تحرير كوسوفا وقام بعملياته العسكرية ضد القوات الصربية فى حربه المشروعة لاسترداد أرضه السليبة؛ حيث نال أبناء كوسوفا تعاطف المجتمع الدولى مع قضيتهم العادلة ويذكر أن هذه الحرب قد خلفت وراءها ما يربو على خمسة عشر ألف شهيد من ألبان كوسوفا جادوا بأرواحهم فى سبيل هذا الوطن، وفى عام ١٩٩٩م اضطرت قوات حلف الأطلنطى إلى التدخل بعد أن رأى العالم بأم رأسه حملات التطهير العرقى التى تعرض لها ألبان كوسوفا.

حق تقرير المصير

• وما الموقف الآن؟

ـ منذ عام ١٩٩٩م وحتى يومنا هذا تخضع كوسوفا لإشراف هيئة الأمم المتحدة حيث أجريت ثمانية انتخابات محلية، وقد جرت المفاوضات قبل أكثر من عام ونصف فى فيينا عن تقرير مصير نهائى بين لجنة مفاوضات كوسوفا وصربيا تحت إشراف مبعوث الأمم المتحدة دون الوصول إلى نتيجة، الأمر الذى أدى بالمبعوث إلى تقديم مشروع قانون إلى مجلس الأمن لمناقشة تقرير مصير نهائى لإقليم كوسوفا.

تأييد عالمى

• قضيتكم ولاشك عادلة لا يختلف عليها اثنان.. فما موقف المجتمع الدولى منها؟

ـ باعتبارى مفتيا ورئيسا للاتحاد الإسلامى فى كوسوفا ناشدت كافة دول العالم وخاصة الدول العربية والإسلامية تأييد شعب كوسوفا البالغ ٢,٥ مليون نسمة فى تقرير مصيره، وقد نلنا تأييد الدول الغربية فى حق تقرير المصير، ووعدوا بالوقوف إلى جانب كوسوفا فى المطالبة بالاستقلال، كذلك فقد جرت بعض اللقاءات المهمة بيننا وبين المبعوثين الدوليين فى لجنة المفاوضات بالأمم المتحدة. ومن جانبها أكدت منظمة المؤتمر الإسلامى على لسان أمينها العام على دعمها لقضية كوسوفا وأبدت الاستعداد للسعى من أجل استقلال الإقليم.

الوحدة الإنسانية

• من وجهة نظركم كيف ترون الأسس التى يجب أن تقوم عليها العلاقة بالآخر؟

- الإسلام يقرر وحدة الأصل الإنسانى ويدعو إلى التعارف والتعاون بين بنى البشر جميعا وليس إلى الصراع والتناحر لقول الحق تعالى: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** الحجرات: آية ١٣، كما أن اختلاف الناس لا يلغى الوحدة الإنسانية بينهم، فالوحدة تقوم على الاختلاف، يقول تعالى: **﴿كان الناس أمة واحدة فاختلفوا﴾**، ويقول سبحانه: **﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾** الروم: آية ٢٢.

ولذلك فإن العلاقة مع الآخر يجب أن تقوم على الاحترام المتبادل بين أصحاب الديانات المختلفة والتعاون فيما بينهم بما يعود على الإنسانية بالنفع، مع نبذ أى تعصب يرفضه الإسلام ويأباه الذوق السليم.

الدعم المادى والمعنوى

• فى ظل الأوضاع الحالية التى تعيشونها.. ما الدور الذى يمكن أن يساهم به المسلمون فى دعم أبناء كوسوفا؟

- كوسوفا أحوج ما تكون إلى الدعمين المادى والمعنوى. فنحن ندعو الدول الإسلامية إلى أن تقوم بفتح مكاتب تمثيل لها فى كوسوفا، لتحذو حذو تركيا وماليزيا التى فتحت مكاتب تمثيل لها على غرار ماقامت به جميع دول الغرب من مبادرة جماعية بإنشاء مكاتب تمثيل لها تدعم بها مطالب أبناء كوسوفا العادلة.

كما أننا بحاجة إلى دعم عربى إسلامى لإعادة إعمار ما خلفته الحرب من دمار وخاصة المساجد التى استطعنا أن نعيد بناء الكثير منها بدعم مادى من عدد من الدول العربية ومنها الإمارات والكويت وقطر، فضلا عن تبرعات أبناء شعب كوسوفا الذين قدموا العديد من التضحيات ولايزالون يقدمون كل ما فى استطاعتهم من جهود عينية ومعنوية.

علاقات طيبة

• كيف تقيمون العلاقة بين كوسوفا والعالم الإسلامى؟

- علاقاتنا والحمد لله طيبة بمختلف دول العالم العربى والإسلامى وهى علاقات تنمو بشكل مطرد على كافة الأصعدة باعتبار كوسوفا جزءا غاليا من الأمة الإسلامية يستحق الدعم والتأييد، وإن كنت أرى أن الإقليم يستحق المزيد من الدعم المادى والمعنوى خاصة فى المحافل الدولية وبما يملكه العالم الإسلامى من تأثير على الساحة الدولية، باعتبار أن مسلمى كوسوفا الذين قدموا أرواحهم فداء للوطن ولنصرة دين الإسلام يستحقون أن يبذل من أجلهم كل مرتخص وغال ليعودوا إلى حظيرة الأمة الإسلامية أعضاء فاعلين يمثلون إضافة قوية إلى منظومة العمل الإسلامى فى كافة مجالات الحياة، كذلك فأهل كوسوفا فى حاجة ماسة إلى دعم التعليم سواء ببناء المدارس المتخصصة أو بإيفاد المدرسين خاصة فى مجال تعليم الدين الإسلامى واللغة العربية.

ولابد هنا أن أذكر بالشكر والتقدير كل من قدم المساهمة فى دحر العدوان وإعادة الحقوق لأصحابها، آملا أن نشهد ميلاد دولة مسلمة جديدة تنضم إلى الأسرة الدولية.

الاستغلال الأمثل للموارد

• وماذا عن مواردكم الطبيعية؟

- كوسوفا بلد غنى بخيراته الطبيعية التى لو أتيحت لأبنائه الفرصة المناسبة لاستغلالها لازدهرت ازدهارا كبيرا وحققت دخلا وفيرا لشعبها؛ حيث إنها تملك أراض زراعية تعد من أجود الأراضى التى تجود فيها المحاصيل المتنوعة، فضلا عما يحويه باطنها من معادن نفيسة، إضافة إلى توافر الموارد المائية اللازمة للزراعة والصناعة، وكل ذلك مما يبشر بالخير وبالمستقبل المشرق لهذا البلد الذى عانى طويلا، ولا ينقصنا سوى الاستغلال الأمثل لهذه الموارد، وهو ما يجعل مساهمة العالم الإسلامى فى تنمية وتطوير كوسوفا أمرا حيويا للغاية.

من أعلام المصلحين

عبدالحميد بن باديس.. الإمام الثائر!

تتصارع الأمم وتتسارع فى سباق محموم من أجل الفوز - بأى ثمن - بموقع الصدارة، تحقيقا لرغبة حارقة فى القيادة والسيطرة!.. ومن تتعثر من هذه الدول فى الطريق، وتتخلف عن ركب الذين يركضون، فإنها تفقد مواقعها، ويفوتها الكثير!.. وتظل هكذا - للأسف - تابعة فى المؤخرة.. تنهض تارة، وتسقط أخرى!

والأفراد كالأمم تماما:

- إما أن يندفعوا فى معركتهم مع الحياة بروح التحدى والمبادرة، وهؤلاء - يقينا - يتقدمون ويحرزون!
- وإما أن يتقاعسوا خذلانا، ويكتفون - كسلا - بالتعليق أو التصفيق، وأولئك - حتما - يتراجعون ويتأخرون!

كمال عبدالوهاب

والقارئ اليوم - خاصة من الشباب - يصطدم فى مقتبل حياته بعقبات عديدة وإحباطات، قد تنال من عزائمه. وهو إن لم يتقدم - جادا - ويُجمع شتات ذاته الموزعة:

- مؤمنا بأن الله - بحكمته وقدرته - **لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم!..**

- ومدركا بأن المولى - بعدله وفضله - قد أنعم على كل إنسان وحباه بملكات هى بمثابة أدوات وإمكانات.. عليه - فقط - استخدامها تحريكا وتفعيلا!..

إن لم يتقدم كل شاب - كما سبق أن ذكرت - بجد وليس بهزل، مؤمنا - بما قلت - ومدركا، فإنه يسلم مصيره إلى الآخرين، يفعلون به ما تشاء أهواء نفوسهم ورغائبها!

سنذوقُ من مرِّ الكفاح حلاوةً
تَغْدو شَرابًا سائغًا وطعاما
سنخوضُ معركة المصير، نخوضها
وندقُّ فوق عصيِّها أقداما

إنَّا عنادُ الصَّخْرِ، إنَّا صبرُه
إنَّا أشدُّ صلابةً وقَوَاما
لو يعرفون لَمَا تَحدَّوْا ماردًا
غضبان، قد نفض الترابَ وقاما(1)

معنا - الآن - نموذجٌ مضيءٌ نقدمه إلى الشباب الواعد ليقرأ سيرة حياة مناضل عظيم تضافرت عوامل كثيرة لتثبيط همته وتيئيسه، ولكنه لم ينحن ولم ييأس، بل قاوم وصمد حتى انتصر فى تحقيق رسالته فى الحياة.

إنه نموذجٌ حيٌّ فى ذاكرة التاريخ يستحق من الشباب جميعا أن يطل عليه لعله يعى ثم لعله يتأسى!

• ترى من هو.. الإمام الثائر؟!(2)

إنه عبدالحميد بن محمد المصطفى بن مكى بن باديس. ولد فى قسنطينة بالجزائر فى ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م. نشأ نشأة دينية مستنيرة، إذ درس اللغة ومبادئ الإسلام على أيدى أناس يفهمون الشريعة فهما صافيا، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس

فأكمل دراسته الدينية، ورحل إلى بلاد الشرق العربى، فزار مصر وسوريا ولبنان ومكة والمدينة، واتصل عن كثب بمحاور الإصلاح الدينى الذى كانت تمثله مدرسة الأستاذ الإمام فى مصر.

كان حنين عبدالحميد بن باديس دافقا إلى هذه المدرسة منذ سمع فى نعومة أظفاره بمحمد عبده، ولمس من أساتذته بجامع الزيتونة إجلالا لذكره وتمسكا بمبادئه، كما كانت رحلة الأستاذ الإمام إلى الجزائر فى خاتمة حياته مجالا طيبا للحديث عن آرائه القويمة فى نهضة الإسلام وإصلاح المسلمين.

لم تثنه كل العقبات عن التصدى للاستعمار الفرنسى فى وطنه «الجزائر». وقد حاولت الحكومة الفرنسية إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذى وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، ولكنه تمسك بمبدأه فى مواصلة الكفاح ضد المستعمر الغاصب.

ارتقى ابن باديس إلى أن أصبح رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١م إلى نهاية عمره.

• الظروف السياسية التى واكبت نشأة ابن باديس[٢]

حين قامت فرنسا باحتلال مصر كان من خطة داهيتها الكبير نابليون بونابرت، ألا يظهر عداءه السافر للإسلام، فوزع المنشورات المتلاحقة، تعلن احترامه لنبى الإسلام وشعائر المسلمين وتدعو إلى المحافظة على المقدسات الإسلامية من مساجد ومشاعر، كما حاول أن يتألف قلوب الصفوة من علماء الأزهر، فجعلهم أعضاء فى مجلس الديوان، ظنا منه أنه يستطيع بهذه المداراة الخادعة أن يذلل طريق الاستعمار الفرنسى فى مصر، ولكن يقظة الشعب الغيور قد فطنت إلى خداع الداهية الفرنسى، فقامت الثورات المتلاحقة فى وجه الحملة الفرنسية، واضطر نابليون إلى أن يغادر القاهرة تحت ستار الظلام، حيث جلت عن الديار يائسة فاشلة.

أرادت فرنسا أن تثنى الدور البغيض فى أرض الجزائر فاستطاعت بعد ثلاثين عاما من فشلها فى مصر أن تعبئ قوتها الباغية لاحتلال الجزائر. ولم تشأ أن تخفى حقدها على الإسلام كما حاول نابليون فى مصر، بل أعلنت فى وقاحة ولؤم: أنها أرسلت كتائبها إلى شعب همجى؛ ليستضىء بنور الإنجيل.

وفى ضوء هذا التصريح الخطير نستطيع أن نفهم الرسالة التى تبنتها فرنسا يوم أن سيّرت جيوشها لاحتلال الجزائر، وقد أغراها على العدوان الآثم مع مهمتها الصليبية الفاتكة ما تعرفه من خصب البلاد وكثرة خيراتها، حيث إن بها أكثر من عشرين مليونا من الأفدنة الزراعية تنتج أعظم الثمار وأوفر المحاصيل، غير الغابات التى تزدحم بالنخيل والكروم والزيتون، مما يصل بمساحة الأرض المزروعة إلى نحو خمسين مليونا من الأفدنة، هذا إلى جانب الثروة المعدنية الهائلة المتراكمة فى طبقات الأرض من فحم وحديد ورصاص وزنك ومنجنيز وبترول.. إلخ.

لقد كانت دواعى الإغراء إذًا أكبر من أن تقاوم من قِبَل دولة استعمارية كفرنسا التى صممت على أن تلتهم البلاد بأى ثمن، ورسمت لذلك خطة جريئة «فرنسة» البلاد واعتبارها جزءا من فرنسا. ولقد قام علماء الجيولوجيا بدورهم المغرض بتثبيت الخرافة القائلة: بأن الجزائر هى جزء من فرنسا، وأن الشمال الإفريقى كان منذ القدم متصلا بالساحل الجنوبى لفرنسا، فى سلسلة جبال واحدة، ثم تصدعت الأرض ببعض عوامل الزلازل والبراكين فى عصور قديمة، فأحدثت شقوقا كبيرة، كان من أهمها بوغاز جبل طارق، ومضيق مسينا!

وتحت تأثير هذه الأباطيل تكالبت هذه الدولة المستعمرة الظالمة بغية «فرنسة» البلاد ومطاردة العربية والإسلام بأبشع الوسائل من إبادة وتشريد واستئصال!، حيث أخذت هذه

الدعايات المسمومة ترمى هذا الدين العظيم بالجمود والهمجية، وتعتبره شريعة متخلفة. لذلك أقدمت قوات الاحتلال على هدم المساجد وإغلاق الكتاتيب والمدارس فى غلظة، وحاربت القضاء الشرعى بضراوة!

ولا يظن القارئ أننا نسترسل دون تحقيق، فإن الإحصاءات الرسمية الفرنسية نفسها تثبت ذلك بما لا يقبل الشك، وحسبك أن تعلم أن مدينة الجزائر كان بها وحدها مائة واثنا عشر مسجدا، فلم تبق السلطات الفرنسية إلا على خمسة مساجد فقط! وتحول الباقى إلى كنائس(٤) أو دور للإدارة!

أما اللغة العربية فقد وضعت القوانين الماحقة لإبادتها، إذ أعلنت فرنسا: أن اللغة الفرنسية هى لغة الدولة الرسمية، وأصدرت فرمانات صارمة تحرم أن يقوم أى مسلم بإدارة مكتب للغة العربية إلا بتصريح من قائد المنطقة، فإذا اتجه عربى غيور إلى المطالبة بهذا التصريح اعتقل أو أعدم، ثم فتحت المدارس الفرنسية لتضم شذاذ الآفاق ممن جلبتهم فرنسا من شتى الأقطار الأوروبية، وكانت المناهج التعليمية لا تعتبر اللغة العربية مادة تستأهل الدراسة، وكذلك الدين الإسلامى، ولكنها تركز اهتمامها على تاريخ فرنسا القديم والحديث، والتغنى بما تنسبه لنفسها من حرية وحضارة ودعوة إلى المساواة!

● جهاده(٥)

وسط هذه الظروف العصيبة نشأ عبدالحميد بن باديس، حيث أخذ على عاتقه القيام بالدعوة إلى الإسلام فى وطن مستضعف يجثم عليه الباطل بكل ثقله الثقيل، ورأى أن الدعوة إلى الإسلام لا تفترق عن الدعوة إلى العربية، فهما قطبا الدائرة فى مناوأة الاستعمار.

كان ابن باديس خطيبا فصيح العبارة إذا صعد المنبر يوم الجمعة، فينفخ من روحه فى سامعيه، ويفسح الطريق للأمل العريض، وأما قدرته القلمية فقد كانت تمهد له انتصار الفكرة الصادقة إذا اصطدمت بالفكرة المغرضة، فيعبئ شتى جهوده كى يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق!

لذلك كان تلاميذه يلهبون عواطفهم بأحاديثه المنبرية ومجالسه الدراسية، كما يصقلون تفكيرهم بآثاره القلمية، وقد تعدد مجال الإصلاح أمامه، فسلك طرقا مختلفة تلتقى جميعا فى الدعوة إلى الله على بصيرة، وقد كان من قوة الإرادة بحيث واجه الاعتقال والاضطهاد دون أن يستكين، وزاد فى صلابته القوية أنه كان يتوقع هذا العذاب قبل وقوعه، فهو يعلم أنه مجاهد يجالد الأعداء فى حومة حامية، لابد وأن تنوشه السهام فى كل وقت.

يمكننا - فى عجالة - أن نشير إلى أهم الميادين التى انفسحت لجهاده فآتت النصر المرتقب:

● أنشأ جمعية العلماء، وفتح لها فروعا تتشعب فى أنحاء الجزائر، فخلق طائفة من الدعاة والمرشدين يحملون أمانة الكلمة، ويؤدون دوره الإصلاحى فى القرى المتناثرة. ولا يكتفون بمقاومة العدو المستعمر، بل تضطرهم المعركة إلى منازلة فريق من مشايخ الطرق الذين أغواهم الاحتلال الفرنسى، فاتخذهم أداة لتخدير العقول وتسميمها باسم الدين، وبث التواكل والزهد بمعناه الخاطئ، وعرض الإسلام فى صورة انعزالية جامدة لا تدعو إلى بعث أو إصلاح!

● رأى ابن باديس الاستعمار يحارب اللغة العربية فى مدارسه، فأنشأ مدارس إسلامية عربية أهلية وأعدّ لها أبناءها من المعلمين، ووضع برامج الدراسة الإسلامية: إذ تقوم بتفسير كتاب الله وتعليم اللغة العربية، وتشرح دور المسلمين فى اليقظة الفكرية وأثرهم فى الحضارة الإنسانية حين كانوا هداة العالم فى عصور الظلمات، مبينة أسباب الضعف الطارئ على الدول الإسلامية، وراسمة وسائل العلاج

الصحيح من دعوة إلى الإسلام السلفى كما يترقرق فى أصفى المنابع الرائعة المتمثلة فى آيات الكتاب وأحاديث الرسول ﷺ وسيرة السلف الصالح ممن يهدون إلى الحق وبه يعدلون!

● أنشأ ابن باديس صحيفتى المنتقد والشهاب ليؤديا دورا مهما فى الدعوة إلى التحرير السياسى، كما كشف على صفحاتها فظائع فرنسا فى أرض الجزائر من قتل وغصب وإبادة.. هذه الفظائع وأمثالها كانت أدلة ابن باديس وحججه القاطعة على نذالة الطغيان الفرنسى، واستطاع أن يعصف بأسطورة «فرنسة» الجزائر، ويرد على هذه الدعوة المزعومة بمثل قوله فى صحيفة الشهاب فى إبريل سنة ١٩٣٦م: «إننا نرى أن الأمة الجزائرية موجودة، وهى لاتزال حية. ولهذه الأمة تاريخها اللامع، ووحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها وتقاليدها، وهذه الأمة الجزائرية ليست هى فرنسا، ومن المستحيل أن تصبح هى فرنسا حتى لو جنسوها».

● نجح ابن باديس فى إيجاد جيل من الشباب المناضل، يفهم عروبته حق الفهم، ويرى العار فى بقاء الاحتلال الفرنسى فى أرض الجزائر، كما ترك من تلاميذه من صاروا قادة الثورة الجزائرية التى أدت إلى الاستقلال التام، بعد أن دفعت ضريبة الدم فى وطن المليون شهيد!

● آثاره[٦]

له «تفسير القرآن الكريم» اشتغل به تدريسا زهاء ١٤ عاما، ونشرت نبذ منه، ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم «مجالس التذكير ـ ط». ونشر فى الجزائر «آثار ابن باديس فى ٤ مجلدات.

رحيله[٧]

انتقل إلى رحاب الله ـ بعد حياة حافلة بالكفاح المتواصل ـ فى بلدته قسنطينة بالجزائر ودفن فى ثراها الطاهر فى ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م، (كانت وفاته فى حياة والده).

ولعل خير ما أختتم به هذه الصفحة البيضاء من جهاد هذا الإمام العظيم هو شهادة واحد من أهلها.. شهادة الكاتب الفرنسى «فرانسيس چانسون»[٨]، حيث قال: «إن المعركة الباديسية أحدثت إصلاحا شاملا فيما وصل إليه الإسلام بعد تخلصه من التحريف والشوائب التى علقت به نتيجة للتفسيرات المشكوك فى صحتها، حيث تراكمت خلال قرون عدة»!

هذه شهادة صادقة لابن باديس من فرنسى استعمارى لم يكن يتمنى من أعماقه أن تكلل الحركة الباديسية بالنجاح!

***

قُلْ للذِّئاب إذا اشتدَّتْ ضَرَاوَتها
فينا.. لها بضفَافِ النيل صَيَّادُ
يستعذبُ الموتَ لا يرضى الحياة له
وقدْ تسلَّط فوق الدارِ أوغادُ
إنْ كان موتهم معنى يُخيفُهُم
فالموت فى ديننا مجدٌ وإسعادُ[٩]

الهوامش

١، ٩ ـ الشاعر الإسلامى محمد التهامى.

٢ ـ الأعلام للزركلى، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، جـ٣، ط١٤، فبراير ١٩٩٩م، ص٢٨٩.

٣ ـ الدكتور محمد رجب البيومى، النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين، جـ١، فبراير ١٩٨٠م، ص١٠٨.

٤ ـ من المساجد التى تحولت على أيدى قوات الاحتلال إلى كنائس: مسجد كتشادة الذى أصبح كاتدرائية، ومسجد على تبشنى الذى أصبح كنيسة تسمى بكنيسة قديسة الانتصار!

٥ ـ المصدر رقم ٢.

٦، ٧ ـ المصدر السابق.

٨ ـ سجل هذه الشهادة الأستاذ أنور الجندى (المفكر الإسلامى) فى كتابه: «الأدب فى معركة التجمع والمقاومة»، ص٩٣.

عقدتها الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة..

ندوة حول: «مبدأ المواطنة من منظور إسلامى»

يحمل الإسلام فكرا متقدما لحقوق الإنسان وصفة المواطنة وحرية التدين

فى إطار النشاط الثقافى للجمعية الخيرية الإسلامية عقدت ندوة تحت عنوان «مبدأ المواطنة من منظور إسلامى» تحدث فيها المستشار الدكتور إدوار غالى الذهبى - رئيس هيئة قضايا الدولة الأسبق - ورئيس لجنة حقوق الإنسان بمجلس الشعب، وقد أكد أن الموضوع بالغ الأهمية والحساسية فى آن واحد وأن كثيرا من المتحدثين لم يكونوا موفقين فى عرضهم ونسبوا للإسلام ما ليس فيه مما شوه صورته فى الغرب وأساء إلى المسلمين.

تابع الندوة: **أحمد فاروق الهلباوى**

العقيدة الإسلامية

أكد د. إدوار فى بداية محاضرته على أن العقيدة الإسلامية تؤكد أن الله - سبحانه وتعالى - قد رفع شأن الإنسان من ثلاث نواحٍ: **بداية** من تكريمه **﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾** الإسراء: آية ٧٠.

وثانيا: بأن جعله خليفة لله فى الأرض **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾** البقرة: آية ٣٠.

وثالثا: بأن حمل الله الإنسان الأمانة وذلك فى قوله تعالى: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾** الأحزاب: آية ٧٢.

كل ذلك التكريم للإنسان يوضح مدى المكانة الرفيعة لبنى آدم فوق جميع المخلوقات وليس أدل على ذلك من سجود الملائكة لآدم.

ونبه د. غالى بداية على أن الوحدة الوطنية هى الصخرة الصلبة التى تحطمت عليها جميع محاولات الدس والوقيعة بين أبناء الوطن الواحد موضحا أن التفرقة بين الناس حسب اعتقادهم أو جنسيتهم أو لونهم ليست من منهج الإسلام؛ إذ القاعدة هى المساواة بين الجميع فى ديار الإسلام، والخلق كلهم عباد لله خلقوا من نفس واحدة حسب التعبير القرآنى؛ فحفاوة الحضارة الإسلامية بالإنسان تتناول الإنسان لذاته من حيث هو تكوين بشرى سواء كان مسلما أو نصرانيا أو يهوديا أو أسود أو أبيض.

واستطرد د. إدوار قائلا: إن هذه الحفاوة ليست من نصيب المسلمين وحدهم؛ فالنصوص القرآنية شديدة

الوضوح فى هذه النقطة بالذات؛ فهى تارة تتحدث عن الإنسان وتارة تتحدث عن بنى آدم وتارة تتحدث عن الناس، وهذا التعميم لا تخفى دلالته على أى منصف يدرك لغة الخطاب فى القرآن الكريم التى تستخدم موازين للتعبير غاية فى الدقة وأن الخطاب للناس عامة لا المسلمين دون غيرهم.

المساواة بين الناس جميعا

الوحدة الوطنية هى الصخرة الصلبة التى تحطمت عليها جميع محاولات الدس والوقيعة بين أبناء الوطن الواحد

وأضاف أنه من هذا المنطلق فإن القرآن الكريم يزخر بالآيات العديدة التى تساوى بين الناس جميعا مؤكدا أن هذه المساواة تعد من الواجبات أو الضرورات التى يأثم المسلم إذا خرج عليها.

التزام المسلمين بالعدل كقيمة مطلقة:

وطوف بنا د. غالى فى تاريخ الدولة الإسلامية موضحا بالقرائن مدى ما وصل إليه حكام المسلمين الأوائل من عدل مشيرا إلى قصة الشاب القبطى الذى اشتكى إلى عمر بن الخطاب من ظلم ابن عمرو بن العاص له فأنصفه عمر على ابن الأكرمين. واستدل كذلك بالخصومة التى حدثت بين على بن أبى طالب واليهودى وحكم القاضى لليهودى، فما كان من اليهودى إلا أن أسلم لما وجد فى الإسلام من عدالة، وبموقف الرسول ﷺ من الصحابة الذين جاءوا يشفعون لامرأة مخزومية سرقت حين قال ﷺ: **لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**».

وإشار إلى أن المسلم لا يعد مكتمل الإيمان إلا إذا آمن بجميع الرسل والأنبياء لأنهم جميعا يدعون إلى دين واحد.

واستشهد د. غالى بما لاحظته الدكتورة «بنت الشاطئ» من أن كلمة «أديان» لم ترد فى القرآن الكريم بصيغة الجمع وإنما هو دين واحد. وذلك يفسر لنا ما ورد فى الحديث الشريف «**الأنبياء إخوة علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بينه وبينى نبى**».

صحيفة المدينة:

وعن التعددية فى المجتمع الإسلامى أشار إلى أن المجتمع الإسلامى يضم مواطنين من غير المسلمين يعيشون جنبا إلى جنب مع المسلمين، يتمتعون بحقوقهم ويلتزمون بواجباتهم، وهذه التعددية تجد أساسها فى أول وثيقة مكتوبة فى تاريخ الإسلام وهى الوثيقة التى عرفت باسم **«صحيفة المدينة»** فقد وردت بها عبارة كانت غريبة فى ذلك الزمان وهى تقول «إن اليهود مع المسلمين» «أمة واحدة» بحيث يعاملون كمواطنين فى الدولة الإسلامية الوليدة ولم يعاملوا كأجانب أو رعايا.

واستطرد قائلا: إن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى تناول فى مقالات طويلة بصحيفة الأخبار، ماورد بصحيفة المدينة فكان مما قال: «وكان هذا العهد دستورا لأهل المدينة جميعا مسلمين وغير مسلمين ولم يترك صغيرة ولا كبيرة تؤدى إلى الألفة والمحبة والتعاون إلا نص عليها وقررها..

وبهذا يكون النبى ﷺ قد أقام وحدة وطنية داخل المدينة يعمل الجميع فى إطارها، ويلتـزمـون بكل بنودها متمتعين بعدل الإسلام وسماحته، وإذا كان اليهود أقلية فى مجتمع المدينة وهذا شأن الحكم العادل الذى لا يعتدى على ضعيف ولا يظلمه ولا ينكر حقا من حقوقه مادام يؤدى ما عليه من واجبات فالكل سواسية أمام القانون، وإن اعتراف هذه الصحيفة بالأمة الواحدة يؤكد أن الألفة بين الجماعات على أرض واحدة هى الأساس فى بناء الوطن ومفتاح الطريق إلى المستقبل».

وعلق د. غالى قائلا: إن صحيفة المدينة تبين ما يحمل الإسلام من فكر متقدم حقوق الإنسان وصفة المواطنة وحرية التدين وإنكار التصفيات العرقية، وأن لكل إنسان حقا فى الحياة الكريمة التى يؤدى فيها واجباته ويعرف فيها حقوقه.

فرية اضطهاد المسلمين للأقباط:

وعرض د غالى لما عرف باضطهاد المسلمين للأقباط وبين أنه فى القرن الخامس الميلادى وبسبب الخلافات المذهبية بين مسيحيى أوروبا تعرض بعض المسيحيين للاضطهاد، وأن عمرا بن العاص هو الذى أنقذ الأقباط فى مصر من اضطهاد الرومان، وقد أعاد المطران الذى كان مطرودا من قبل الرومان وخرج يستقبله بنفسه. وليس أدل على شعور قبط مصر بالعدل فى عهد عمرو بن العاص من أنهم أحسنوا استقبال جيش المسلمين، بل وحاربوا مع المسلمين يدا بيد فى كل الحروب ولم ينخدعوا أيام الحروب الصليبية برفع الصليب على صدور هؤلاء الغزاة حتى أننا رأينا الصليبيين يمنعونهم من دخول بيت المقدس مثلهم فى ذلك مثل المسلمين.

واختتم د. إدوار غالى محاضرته بالإشارة إلى ما ورد فى خطاب الرئيس مبارك بشأن التعديلات الدستورية حيث استخدم الرئيس مصطلح «جناحى الأمة» وقال: إن الوحدة الوطنية راسخة منذ الفتح الإسلامى وحتى اليوم وبعد، فقد كانت هذه شهادة من رجل وطنى مخلص لم يمنعه كونه مسيحيا أن يشهد شهادة حق، بل ونؤكد أن أى منصف عاقل لن يستطيع أن يحيد عن كون الإسلام الدين الخاتم جاء لحماية الإنسان من نفسه أولا ومن أولئك الذين يدعون على الدين ما ليس فيه.

عمل الجميع فى إطار «صحيفة المدينة» متمتعين بعدل الإسلام وسماحته

وإن الإسلام جاء كدين خاتم ليبين للناس ما ينبغى أن تدركه عقولهم من أنه لا تفرقة فى المعاملة بين مسلم وغيره بل التعامل قائم على مبدأ أصيل هو مبدأ الإنسانية التى حض عليها الإسلام من مخاطبته بقوله: **«ياأيها الناس»، «يابنى آدم»، «ياأيها الإنسان»**، ولا أدل على سماحة الإسلام من قوله تعالى: **﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾** البقرة: اية ٢٥٦.

فينبغى على كل عاقل أن يدرك ما أعطاه الإسلام للبشرية جمعاء من صفاء مجتمعى يجعل الجميع يعيشون فى أمان وسلام.

الدكتور حامد عمار فى حديثه لمنبر الإسلام حول:

المستقبل العربى فى ظل ثورة المعلومات

المشتغلون بالعلم والثقافة يؤمنون بأن رسالات السماء تدعو إلى إعمال العقل والتدبر فى الكون الذى خلقه الله لما فيه صالح المجتمعات الإنسانية

يعيش المجتمع الإنسانى المعاصر ما يمكن أن نطلق عليه عصر الثورات العلمية والتكنولوجية وثورة الاتصالات والمعلوماتية.. هذه المتغيرات العولمية المتسارعة تفرض على المجتمع الإسلامى عدة ضرورات يجب إدراكها ومتابعتها..

حول هذه الضرورات وما يترتب عليها من نتائج فى الحياة المعاشة تحاورنا مع شيخ التربويين العرب الأستاذ الدكتور حامد عمار الذى تناول فى حديثه معنا إلى جانب ذلك توصيف الواقع الحالى وانعكاس ذلك على مجمل الأوضاع، ورؤيته الخبيرة واستشرافه للمستقبل العربى(*).

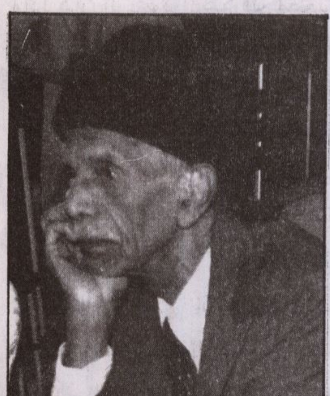

الدكتور/ حامد عمار

أجرى الحوار: محسن عبدالفتاح

- **يرى البعض أن هناك تعارضا بين العلم والدين فى مسيرة تطوير المجتمع الإسلامى.. كيف تفندون هذه التهمة، وتوضحون حقيقة كل من خطابى العلم والدين ومدى خطورة مثل هذا الخلط على مسيرة التقدم العلمى المنشود لمجتمعاتنا؟**

- بداية أستشهد بقول الحق تبارك وتعالى: **﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾**..

أذكر هذه الآية الكريمة بالذات، وفى خلفية تفكيرى ما قد يراه البعض من أن ثمة تعارضا بين العلم وثقافته وبين الدين وشريعته.. وهم فى تصورهم الخاطئ هذا يظنون أن المشتغلين بالثقافة العلمية والمتمسكين بقيمها ودورها المهم فى نهضة المجتمعات علمانيون أو ماديون أو مغتربو الفكر أو غير ذلك من المسميات المتحيزة بغير دليل أو سند.

إن رسالات السماء جميعها تدعو إلى إعمال العقل والتدبر فى الكون الذى خلقه الله لما فيه صالح المجتمعات والإنسان باعتباره مناط الاختيار والمسئولية والإرادة.. والإسلام باعتباره خاتم الرسالات يحث فى العديد من آياته البينات على توظيف العقل والسعى فى هديه؛ وأعتبر ذلك فريضة على كل مسلم ومسلمة، وكثير هى المؤلفات التى تناولت تلك القضية

مجتمع الغد يجب أن نصوغه بأنفسنا بأقصى الجهد فكرا وفعلا ومسئولية.. نقتحمه قبل أن يفرضه علينا الغير

باستفاضة نذكر منها على سبيل المثال مؤلف الكاتب الكبير عباس العقاد الذى جاء تحت عنوان: «التفكير فريضة إسلامية».

كذلك ثمة تشوه فكرى عند البعض ناجم عن الخلط بين المصدر والمنهج فى فهم حقيقة كل من خطابى العلم والدين.. ذلك أن نصوص القرآن ثابتة مقدسة مصدرها الوحى الإلهى وسنة رسوله ﷺ من أحاديث وأفعال صحيحة السند، وهى مناط التأويل والاجتهاد الفقهى.

أما العلم فهو نتاج نشاط عقلى نظرى تجريبى بشرى، قابل للتغيير والتفنيد والتعديل بصورة مستمرة. بيد أن الملاحظ لدى بعض أصحاب النيات الحسنة ما يقومون به تعسفا فى الخلط بين كل من المصدرين والمنهجين، ومن ثم نعثر بين الحين والآخر على كتابات تستخلص من القرآن آيات علمية فيما يسمى بالإعجاز العلمى فى القرآن الكريم كما لو كان هذا الكتاب المقدس من كتب الفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء أو الفلك.. حاشا لله.. إنه فى المقام الأول والأخير كتاب هداية للبشر جميعا يدعوهم إلى التفكير والتدبر والتأمل فى خلق الله وسننه الكونية ومرشد إلى جادة الصواب فى معاد البشر ومعاشهم.

وهذا بطبيعة الحال لا يحول دون أن يتطابق النص الدينى مع بعض ما تنتهى إليه الاكتشافات العلمية التى تتغير يوما بعد يوم.. لكن الخطر والخطأ يتمثلان بالخلط بين المصدرين والمنهجين فى المعرفة، وقد يؤدى ذلك إلى خلخلة مفهوم العلم وطمس معالمه ناهيك عن الاستهانة بحقيقة الدين ودوره الإيجابى.

• هناك تغيرات متسارعة تقتحم أبواب المجتمعات الإنسانية - ونحن من بينها - تسعى لفرض قوانين جديدة لها خطورتها الشديدة على الحضارة الإنسانية.. هل لكم أن توضحوا لنا ما يجرى فى عالمنا اليوم ورؤيتكم لهذه التفاعلات باعتباركم أحد علماء التربية؟

- إذا ما أردنا استعراض الثقافة العلمية واستشراف المستقبل فنحن على وعى تام بما نعايشه وبما يحيط بنا من تلك المتغيرات العولمية المتسارعة التى تفرض علينا ضرورة إدراك أن عوامل التغير والتحول قد غدت من السنن الاجتماعية العلمية، وما يترتب على هذا من توترات فى الحياة والمجتمع.. كما تؤكد أن التقوقع والثبات ضد حركة العلم والتاريخ بل ضد إمكانات البقاء والنماء.

إن ما يجرى فى العالم اليوم - حسب رؤيتى - يتم بواسطة قوى عظمى تسعى إلى ترسيخ نظرية مفادها أن العالم آلة ميكانيكية عملاقة تحكمها قوانين جديدة يراد أن تفرض على الجميع!، ويشهد تطور العلم اليوم تداعيات وانعكاسات نسبية لتلك النظرة وما يترتب عليها من أن العالم ليس مجزأ كما كان من قبل، وإنما هو شبكة معقدة من الأحداث والعلاقات والتفاعلات.

وغدت تقاليد العلم ونظرياته الفيزيقية خاضعة للتغير والتفنيد والمراجعة وإلى أن العالم والحياة عمليات ديناميكية مركبة ومعقدة ومفعمة بالمفاجآت والفوضوية.

هذه النظرية الضيقة لم تأخذ فى الاعتبار العلاقات الإنسانية وخصوصيات الحضارات الإنسانية، وهو ما أشار إليه ابن خلدون من «ادعاء الثقة المطلقة والذهول عن المقاصد ووهم التحيز وإخفاء الحقيقة، خوفا أو تقربا لذوى الجاه».

• ما دور الجانب العلمى فى صنع المستقبل الواعد الذى ننشده.. وعلى من تقع مسئولية أخذ المبادرة للبدء فى صياغة هذا الغد المشرق؟

- إن دور الثقافة العلمية فى استشراف المستقبل موضوع متشعب ومجال للبحث العريض والعميق، وكل ما يمكن أن أركز عليه هنا أننا نستشرف تشكيل مجتمع يشارك الجميع فى قراراته وفى العمل على بنائه بأسلوب عصرى يواكب خطا التطور المتلاحقة، مجتمع يسوده العدل ويتحمل أفراده ومؤسساته مغانمه ومفارقه، مجتمع ينطلق من قناعة حكامه أن نظمه ومؤسساته قد غدت هدفا إنسانيا لا مناص منها، وحاجة علمية راسخة لا غنى عنها.

إن هذا النهج اختبره تاريخ الحضارات الإنسانية العالمية فلم يجد أفضل ولا أنسب منه، وأنه هو السبيل إلى كرامة الإنسان وإمكانية العيش المشترك بين الشعوب.

وقبل أن أختم إجابتى هذه أشير هنا إلى أن الرصيد العلمى والمعرفى فى النهج المجتمعى يحتل موقعا وموردا مهما فى سيرورة المجتمع وصيرورته، شأنه فى ذلك شأن الأرصدة والموارد المادية.. ويعتبر كلا الموردين فى واقعنا العربى فى حاجة ملحة ومطردة للاهتمام به إنتاجا وإتاحة ونشرا وتوزيعا وتوظيفا وهما بذلك هدف ووسيلة فى الوقت ذاته لتحقيق تماسك مسيرة المجتمع نحو مستقبل يستحق بذل أقصى الجهد فكرا وفعلا ومسئولية، نصنعه بأنفسنا ونقبل عليه ونقتحمه قبل أن يجىء إلينا أو يفرضه الغير علينا.. تلك مسئوليتنا ومسئولية الأجيال من بعدنا.

* الأستاذ الدكتور حامد عمار فى سطور

- تدرج فى المناصب القيادية بحقل التدريس الجامعى حتى وصل إلى منصب أستاذ بكلية التربية جامعة عين شمس.

- حصل على العديد من الأوسمة ونال الكثير من التكريم من مصر والدول العربية لجهوده المتواصلة لأكثر من نصف قرن من الزمان فى مجالات التربية والتنمية البشرية والاجتماعية وتوج هذا التكريم بمنحه جائزة الدولة فى العلوم الاقتصادية والاجتماعية من مصر كما حاز جائزة الكويت فى التقدم العلمى منذ سنوات قليلة لجهوده العلمية فى التربية المتخصصة.

- له مؤلفات عديدة.. نذكر منها:

• دراسات فى التربية والثقافة.

• التنمية البشرية العربية.

فضلا عن الكثير من الدراسات والأبحاث والمقالات المتخصصة فى حقل التعليم الجامعى والتى نشرت بالدوريات العلمية المختلفة.

فى افتتاح فعاليات الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الإمام الأكبر:

لا ينبغى ربط النظريات العلمية القابلة للتبديل بهداية القرآن التى لا تتغير بتغير الزمان والأشخاص

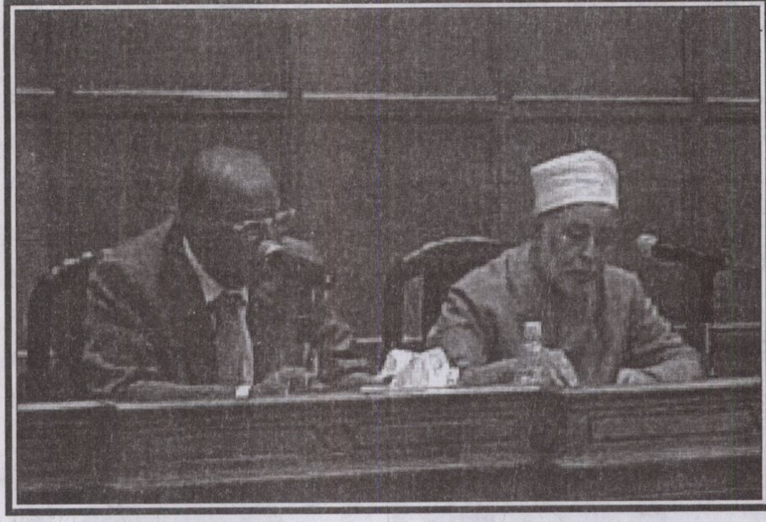

الإمام الأكبر ووزير الأوقاف فى افتتاح فعاليات الموسم الثقافى

وراء الأخبار

منير بيومى

تصوير: إسماعيل رجب

أكد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - أن الخطاب الدينى هو أشرف خطاب لأنه خطاب الله إلى رسله وملائكته أوحاه إليهم وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ. مشيرا إلى أن الرسل جميعا جاءوا برسالة واحدة تقوم على أصلين ثابتين أولهما إخلاص العبادة لله، والثانى وجوب التحلى بمكارم الأخلاق.

وقال الإمام الأكبر فى افتتاحه لأعمال الموسم الثقافى الذى ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمسجد النور بالعباسية وحضره الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - أن جميع الأنبياء جاءوا برسالة واحدة هى إسلام الوجه لله - عز وجل - وأن الإسلام هو دين جميع الأنبياء أى إسلام الوجه لله كما قال الله فى شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين* إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين* ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون* أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾ البقرة: الآيات ١٣٠ - ١٣٣.

فالإسلام بمعنى إخلاص العبادة لله - عز وجل - وإسلام الوجه لله هو دين جميع الأنبياء وكلهم قد تلقوا ما بلغوه للناس عن الوحى عن الله.

وأكد الإمام الأكبر أن الخطاب الدينى الصادق المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة له تأثيره فى النفوس لأن الاستشهاد فى الخطاب بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لا يقابلها معارضة لأنه يعتمد على كلام الله الذى ليس فيه تحريف ولا تبديل أنزله الله لمقاصد متعددة على رأسها أن يكون هداية تمتاز بأنها هداية عامة وتامة وواضحة، رسالة عامة لأنها جاءت إلى الإنس والجن. يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿قل أوحى إلىَّ أنه**

استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا* يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ الجن: الآيتان ١ ـ ٢.

والقرآن هداية تامة لأنه لم يترك بابا من أبواب الخير إلا وفتحه لنا ولم يترك بابا من أبواب الشر إلا وأوصده أمامنا. كل ذلك بأسلوب حكيم، فهو يخاطب الناس بلغة العقل والمنطق ولذلك نحن نكرر فى اليوم الواحد فى صلاتنا سبع عشرة مرة ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾.

وأضاف الإمام الأكبر إن هداية القرآن واضحة، فإذا قرأ القرآن الراسخون فى كل العلوم ـ التى أحلها الله ـ من أصحاب الفطرة النقية فإنهم يتأثرون به. ودعا إلى عدم الربط بين النظريات العلمية القابلة للتبديل والتغيير بهداية القرآن لأن هداية القرآن هداية ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة والأشخاص.

وعن مكانة السنة النبوية وأهميتها يؤكد فضيلة الإمام الأكبر أن السنة النبوية الثابتة هى وحى كالقرآن والفرق بينها وبين القرآن أن القرآن من عند الله بلفظه وبمعناه بلغه الرسول ﷺ دون أن يزيد أو ينقص حرف واحد من حروفه، والآيات الكريمة تؤكد ذلك: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه* فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ القيامة: الآيتان ١٥ ـ ١٦.

والسنة النبوية هى وحى من عند الله بمعناها، أما ألفاظها فبإلهام من الله لنبيه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾.

أ. د. محمود حمدى زقزوق:

الخطاب الدينى الراشد ينبغى أن يستمد من تعاليم القرآن والسنة وأن يواكب أحداث العصر ومستجداته

ولكى يكون الخطاب الدينى مشوقا ومؤثرا طالب الإمام الأكبر الدعاة بأن يكون الخطاب مواكبا للأحداث المتغيرة المتلاحقة وبأسلوب حكيم يبين الصحيح ويشخص الداء ويصف له العلاج وأن يبين للناس حدود الله وشريعته وأن يشتمل الخطاب الدينى على الحقائق الثابتة التى لا ينكرها عاقل لأن الله منح الإنسان منذ أوجد آدم وذريته عقلا يميز به بين الخير والشر، وبين الفضائل والرذائل، والحياء والقبح، فأصحاب العقول الراجحة يجمعون على أن هناك فضائل يجب أن تعتنق وأن الصدق فضيلة والكذب رذيلة، وأن النقاء والطهارة فضائل يجب التحلى بها، وهم يجمعون على أن الفحش وعدم الاحتشام رذائل يجب الابتعاد عنها.

وفى ختام كلمته أشار الإمام الأكبر إلى ضرورة تذكير الناس بالحقائق التى جاءت بها شريعة الإسلام متى اتبعناها فتح الله علينا بركات من السماء والأرض.

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزق ـ وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ أن وزارة الأوقاف تستعين بأصحاب الخبرة وكبار العلماء وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر أ. د. محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ فى تطوير أداء الأئمة والدعاة بما يواكب متطلبات العصر المتغيرة حسب الأحوال والأزمنة مشيرا إلى أن وزارة الأوقاف أصدرت مؤخرا كتابا بعنوان: «دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الدينى» يجرى توزيعه على كل الأئمة ليكون زادا لهم فى تناول مشكلات العصر.

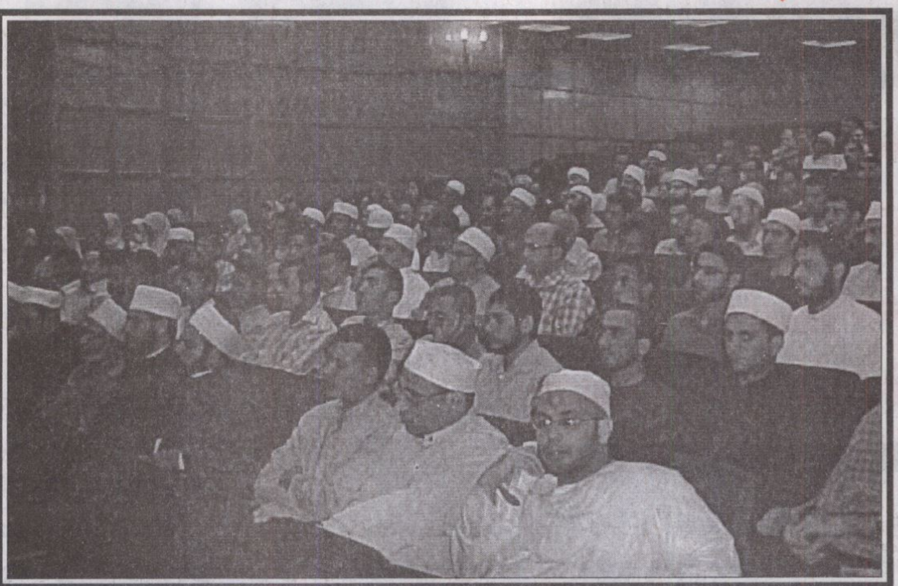

جانب من الدعاة يتابعون كلمة فضيلة الإمام الأكبر

وقال إن الوزارة ستعقد ندوة حول هذا الكتاب يحضرها نخبة من العلماء والباحثين لتقييم الكتاب ويدلون بدلوهم حول ما جاء به وما تناوله من موضوعات.

ونصح وزير الأوقاف الأئمة بأن يلجأوا إلى الأسلوب الحكيم الهادئ الواضح الذى يعتمد على العقلانية بعيدا عن الانفعال والصراخ على المنابر، وأن يعتمد خطابهم الدينى على المصدرين الرئيسيين: القرآن والسنة، مع مواكبته لأحداث العصر وأن يعتمد على الحقائق الثابتة بعيدا عن القصص الخرافية التى لا تجدى ولا تفيد لأنها تبعد المتلقى عن منطق العقل وتجعل البسطاء من الناس يصدقون كل ما يقال سواء كان حقا أو باطلا.

المجلس القومى للطفولة والأمومة ينشئ وحدة لتشجيع الشباب على التطوع فى مشروعات خدمة المجتمع

قام المجلس القومى للطفولة والأمومة بإنشاء وحدة للمتطوعين الشباب من البنين والبنات وتوظيف طاقاتهم فى خدمة المشروعات التى يتبناها المجلس.

وصرحت السيدة السفيرة/ مشيرة خطاب الأمين العام للمجلس أن فكرة إنشاء الوحدة انطلقت من الإيمان بأهمية دور الشباب فى العمل التطوعى وقدرته على دفع برامج التنمية المختلفة، وأن الهدف الأساسى لهذه الوحدة هو إعلاء قيمة التطوع بين الشباب، وتعزيز ثقافة التطوع وروح الانتماء بينهم من خلال فتح آفاق لمشاركتهم فى قضاياهم ومختلف القضايا المجتمعية الأخرى، وبناء قدراتهم وإكسابهم الخبرة العملية فى المجالات التى يهتمون بها، حيث تعمل الوحدة على التنسيق بين المتطوعين الشباب وإمكانياتهم ومهاراتهم واهتماماتهم وظروفهم من جانب، والفرص التطوعية المتاحة من جانب آخر، لضمان التوظيف الأمثل لقدراتهم وطاقاتهم.

المجلس العربى للطفولة والتنمية يدعو إلى تفعيل استراتيجية حماية وتنمية لغة الطفل العربى

قام الأمير طلال بن عبدالعزيز - رئيس المجلس العربى للطفولة والتنمية - فى إطار الإعداد لاستراتيجية حماية وتنمية لغة الطفل العربى التى بادر المجلس بوضعها بالتعاون والشراكة مع عدد من المنظمات الإقليمية والدولية المعنية بمخاطبة كل من وزراء الإعلام والثقافة والتربية والتعليم ورؤساء المجالس التشريعية والسفراء العرب، ودعوتهم إلى إبداء ما قد يكون لديهم من مقترحات أو ملاحظات أو تعديلات أو إضافات على الإطار العام للاستراتيجية للوصول إلى شكلها النهائى، والعمل على تنفيذها بعد ذلك.

وأكد سمو الأمير طلال إنه إدراكا للأخطار التى تهدد لغتنا العربية فى هذه الأيام التى تشهد ضعف أو فناء العديد من لغات العالم فقد بادر إلى طرح هذه القضية المهمة فى الأمة العربية باقتراح خطة لإنقاذ اللغة العربية التى توحد بين البلاد العربية، عن طريق تنميتها وتجديد شبابها وإحياء تراثها العريق ومساعدة الطفل العربى رجل الغد على حبها والاعتزاز بها واستخدامها فى كل شئون حياته.

وكان المجلس العربى للطفولة والتنمية قد نظم مؤتمرا بعنوان: «لغة الطفل العربى فى عصرالعولمة» فى فبراير الماضى بمقر جامعة الدول العربية، وخلص إلى ضرورة إعداد استراتيجية لحماية وتنمية لغة الطفل العربى.

وقد أنجز المجلس مشروع الاستراتيجية المقترحة على المستوى القومى التى تهدف إلى حفظ المقومات الأساسية للغة الطفل العربى وحمايتها من المتغيرات التى تهددها، وتمكينه من امتلاك مجموعة من المهارات اللغوية التى تؤهله لاستخدام فنون اللغة بكفاءة. وتوسيع الثقافة اللغوية والأدبية للطفل العربى وتعميقها وتعدد المصادر التى تثرى من خلالها لغة الطفل العربى. شارك فى إعداد مشروع هذه الاستراتيجية أكثر من ٢٩ خبيرا عربيا من ١٧ دولة.

طالبت بها رابطة الجامعات الإسلامية:

استراتيجية للدعوة فى إفريقيا

أشاد الدكتور عبدالله التركى - الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى - رئيس رابطة الجامعات الإسلامية - بدور الأزهر الشريف فى نشر العلم والدعوة الإسلامية فى جميع أنحاء العالم.

وأوضح أن المسلمين اليوم يواجهون العديد من التحديات فى الداخل والخارج، أبرزها محاولات إحداث الفرقة والاختلاف عن طريق النزاعات بين المنتسبين للعلم والدين.

وطالب أن تكون هناك شروط لمن يتصدى للافتاء والدعوة، فدخول هذا الميدان من غير أهله يؤدى إلى زعزعة الإسلام من الداخل.

وأضاف التركى أنه لا يمكن أن تصلح الأمة الإسلامية إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

واستعرض الدكتور جعفر عبدالسلام - الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية - المشكلات التى تواجه المسلمين فى القارة السوداء، وأهمية الدور المصرى للنهوض بمشكلات القارة الإفريقية باعتبار أن مصر هى الحلقة الأمنية الأولى فى القارة الإفريقية. كما شدد على أهمية تكريس الجهود من قبل المنظمات والمؤسسات الإسلامية للنهوض بمستقبل الإسلام فى القارة السوداء وحل المشكلات التى تواجه المسلمين هناك مثل حركات التبشير وغيرها. من المشكلات التى تؤثر على مستقبل الإسلام فى إفريقيا.

كما طالب بأن يكون هناك استراتيجية للدعوة الإسلامية المستقبلية فى إفريقيا وذلك من خلال عقد المزيد من المؤتمرات التى تهتم بعرض مشكلات المسلمين فى إفريقيا، ووضع آليات لدعم وتقوية المنظمات والاتحادات الإسلامية العاملة فى إفريقيا والتنسيق بينها.

قطوف دعوة أبى الأنبياء

محمد سيد أحمد علىّ الدين

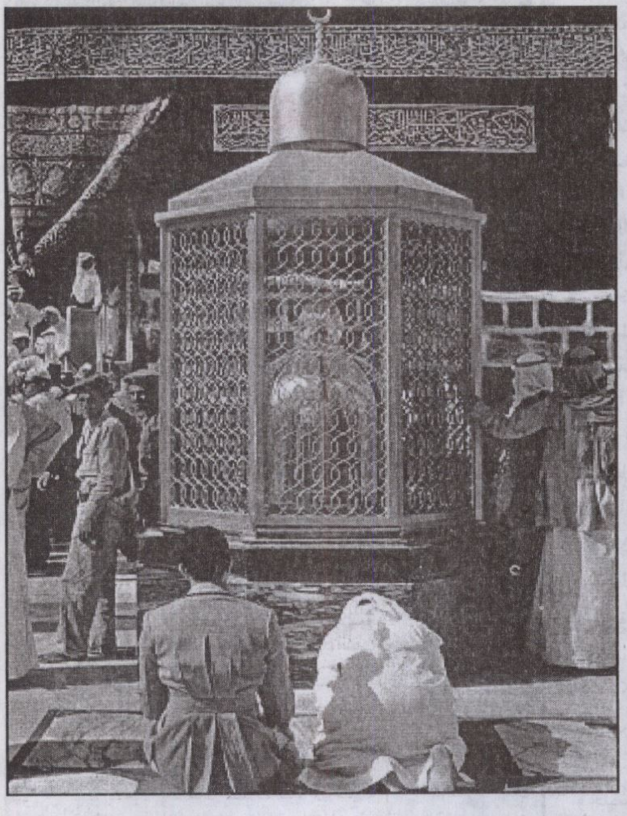

لا تكاد الأيام تنقضى، وتبدأ أشهر الحج المعلومات حتى يشهد العالم كله حركة دائبة واستعدادا قائما يدفع بهذه الجموع المتلهفة إلى بيت الله الحرام، يدفعها الشوق إلى رؤيته والحنين إلى رحابه وجواره. رحاب البيت العتيق الذى شرفه الله - عز وجل - وعظمه وبارك حوله استجابة لدعاء خليله إبراهيم أبى الأنبياء عليه السلام الذى قال فى دعائه" ﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ إبراهيم: آية ٣٧.

وقد جاء رسولنا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - ليحيى هذه النفوس بالحق، ويهديها إلى الرشد، وينقذها من الضلالة، فلتكن تلك الأيام فى التاريخ أياما مشهودة يتعلم فيها الناس كيف يتعالون على أحقادهم وأهواء نفوسهم، يتذكر فيها الحجيج وهم فى هذا الموقف رسولهم الكريم.

وقد كانت شعيرتا الحج والعمرة معروفتين عند العرب قبل الإسلام، ولكن بأقوال وأفعال جاءت تعاليم النبوة وهدى الرسالة الخاتمة لتهذيبها فوضع رسول الله ﷺ لهما أفضل الأحكام وأمرنا أن نقتدى به فيها فقال ﷺ: «**خذوا عنى مناسككم**».

ومن هنا جاء تعريف الحج فى الشريعة الإسلامية بأنه القصد لزيارة بيت الله الحرام، فى وقت مخصوص، بأفعال مخصوصة، وبكيفية مخصوصة بينتها الشريعة الإسلامية ووضحها رسول الله ﷺ فى حجته.

فريضة الحج وركن الإسلام الخامس

وقد ثبتت فرضية الحج بقوله تعالى: ﴿**ولله على الناس حج**

البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ آل عمران: آية ٩٧، وقوله تعالى مخاطبا إبراهيم عليه السلام حينما أمره أن يؤذن فى الناس بالحج: **﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق* ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير* ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق..﴾** الحج: الآيات ٢٧ ـ ٣٠.

وروى مسلم بإسناده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا النبى ﷺ فقال: **«يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا.. فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا.. ثم قال ﷺ: ذرونى ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه».**

وقد أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده المتقين بقوله: **﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾**، دون غيرهم لأن العرب فى جاهليتهم كانت تقصد الحج للاجتماع والتظاهر والتفاخر وقضاء الحوائج وحضور الأسواق دون أن يكون القصد منه ـ لله ـ فأمر الله ـ سبحانه ـ المسلمين أن ينزهوا عباداتهم ـ وخصوصا الحج ـ عن الأقوال السيئة والأفعال القبيحة، وأن يقصدوا بأداء تلك الفريضة ما كلفهم الله وإن كان قد أباح لهم **﴿ليشهدوا منافع لهم﴾**، وذلك لأن الله تعالى: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** البقرة: آية ١٨٥، وقوله تعالى: **﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾** الحج: آية ٧٨.

وكانت فرضية الحج فى السنة التاسعة من الهجرة النبوية على أرجح الأقوال عندما أرسل رسول الله ﷺ أبا بكر أميرا على الحج وكان ذلك تمهيدا لحجة رسول الله ﷺ **«حجة الوداع»** فى السنة العاشرة من الهجرة.

من أهم مقاصد الحج

الإخلاص: بأن يقصد وجه الله وحده لا شريك له بالعبادة **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾** الكهف: آية ١١٠، وقوله تعالى: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾** البيّنة: آية ٥.

والمال الحلال: ففى الحديث: **«إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا»**، وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾** البقرة: آية ١٧٢.

وسداد الديون وعدم الاستدانة لأداء الحج: لأنه تحميل للنفس فوق طاقتها، والله تعالى يقول: **﴿لايكلف الله نفسا إلا وسعها﴾**، وقال تعالى: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾** التغابن: آية ١٦.

وكذلك توفير المال الكافى لنفقة أهله إلى أن يرجع، والخروج من مظالم العباد قبل الخروج إلى الحج أو العمرة.

والوصية قبل سفره: لأن الرسول ﷺ قال: **«ما حق امرئ مسلم شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»**(1).

وحسن اختيار الرفقة للصحبة الطيبة والتجرد من الأنساب والألقاب وزخرفة الدنيا منذ الإحرام وحتى الانتهاء من جميع المناسك مع الطاعة والبعد عن فحش القول والفعل، لذا قال سبحانه وتعالى: **﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾.**

خذوا عنى مناسككم

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن فى الناس فى السنة العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى أتينا الحليفة، فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد ركعتين ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء فأهل أى رفع صوته بالتوحيد: **«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا**

شريك لك» وأهل الناس بهذا الذى يهلون به، فلم يزد رسول الله ﷺ عليه شيئا منه.. حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا - أى أسرع الخطى فى مشيته ثلاثة أشواط - ومشى أربعا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: **﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾**، فجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين قرأ بعد الفاتحة فى الركعة الأولى: **﴿قل يا أيها الكافرون﴾**، وقرأ بعد الفاتحة فى الثانية **﴿قل هو الله أحد﴾** ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: **﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾** البقرة: آية ١٥٨، وقال أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة ووحد الله وكبره وقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**»، ثم دعا بين ذلك ثم نزل إلى المروة حتى إذا نصبت قدماه فى بطن الوادى سعى - أى أسرع فى مشيته - وبطن الوادى هو ما بين الجبلين الأخضرين - حتى إذا صعدنا مشى حتى إذا أتى المروة فعل مثل ما فعل على الصفا من الدعاء، ثم قال بعد تمام سعيه: «لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة.. فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يارسول الله ألعامنا هذا أم لأبد؟ - أى إلى مالا نهاية - فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة فى الأخرى وقال: **«دخلت العمرة فى الحج»** مرتين، **«لا، بل لأبد أبدا»**. فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبى ﷺ، ومن كان معه هدى، فلما كان يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذى الحجة توجهوا إلى مِنى فأهلوا بالحج وصلى بها رسول الله ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر - فجر يوم عرفة - ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر - أى خيمة - تغرب له بنمرة.. ونمرة ليست من عرفة - فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أى بعد الزوال - أمر بناقته القصواء فرحلت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس خطبته المشهورة بخطبة الوداع.

يوم الحج الأكبر

يسمى يوم النحر يوم الحج الأكبر لأن النبى ﷺ قال فى خطبته يوم النحر: **«هذا يوم الحج الأكبر»** رواه البخارى، وذلك لكثرة أعمال الحج فيه من الوقوف بالمشعر الحرام، والدفع منه إلى مِنى، والرمى والنحر والحلق وطواف الإفاضة والرجوع إلى مِنى للمبيت فيها، وليس فى غيره مثله.. وهو مع ذلك يوم عيد ويوم يحل فيه من إحرامه بالحج، ومن آثاره الدنيوية أنه يعمل على نشر الأمن والسلام بين جميع الأمم.

من فقه الحج

● ولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبى بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع؟ فقال: **اغتسلى واستشفرى بثوب - أى تحفظى بثوب فى موضع الدم - وأحرمى، فالحيض والنفاس لا يمنعان الإحرام بالحج.**

ويستحب الاغتسال للإحرام منهما ومن غيرهما ويصح من الحائض والنفساء جميع أفعال الحج إلا الطواف وركعتيه لقوله ﷺ: **«اصنعى ما يصنعه الحاج غير ألا تطوفى بالبيت»**.

● يحل للمحرم ما كان محظورا عليه بالإحرام بعد رمى جمرة العقبة والحلق أو التقصير.

● يجوز للعاجز أن يوكل من يرمى له الجمرات.

والله أسأل أن يجعله حجا مبرورا يرجع منه المسلم مغفور الذنوب كيوم ولدته أمه.

الهامش:

١ - رواه الترمذى ٦٣٩/٣ رقم ١٣٥٨ وأبوداود ٢٨٩/٣ رقم ٣٥٣٠، والنسائى ٣٤١/٧ رقم ٤٤٥٠ وابن ماجه ٧٦٨/٢ رقم ٢٢٩٠ وفى مسند أحمد ١٧٩/٢ رقم ٦٦٧٨.

أنت تسأل؟ والمفتى يجيب

فضيلة الدكتور
على جمعة محمد

نفقة حج الزوجة

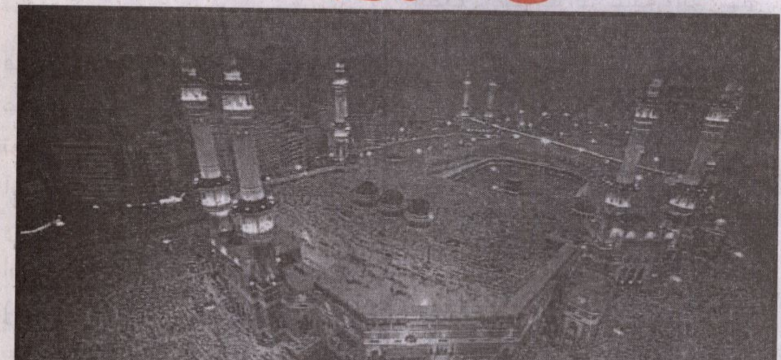

السؤال من القارئ/ محمد إبراهيم، من محافظة بنى سويف، يقول:
على من تقع مسئولية الحج، على المرأة أم زوجها؟

الجواب: الحج ركن من أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**﴾ آل عمران: آية ٩٧.

والحج واجب على المسلم رجلاً كان أو امرأة إذا كان مستطيعاً فى بدنه وماله على أداء مناسك الحج ونفقاته.

وللزوج ذمة مالية مستقلة عن زوجته، وللزوجة كذلك ذمة مستقلة عن زوجها، فإذا كان أحدهما مستطيعاً للحج دون الآخر، وجب الحج على المستطيع منهما دون غيره سواء أكان المستطيع الزوج أم الزوجة.

وليس الزوج مكلفاً شرعاً بدفع نفقات الحج لزوجته، ولا الزوجة مكلفة شرعاً بدفع نفقات الحج لزوجها.

أما إذا أراد أحدهما التبرع للآخر بنفقات الحج فلا مانع من ذلك شرعاً.

حكم المال الذى تعذر صرفه فيما رصد له من الصدقة

السؤال من القارئ/ إبراهيم مصطفى، من القليوبية، يقول: تبرع رجل بقطعة أرض لبناء مسجد عليها ورصد مبلغاً من المال لإقامة هذا المسجد على نفقته الخاصة إلا أن أمر البناء تعسر إدارياً بعد وفاته، وهناك مشروع لإقامة معهد أزهرى فى نفس القرية، فهل يجوز دفع المبلغ الموجود لبناء المسجد المذكور مع قيمة ثمن الأرض المخصصة لبناء المسجد والمساهمة بها فى بناء هذا المعهد أم لا؟.

الجواب: يبين الحق تبارك وتعالى فى القرآن الكريم أنه لا يقوم على عمارة المساجد إلا أهل الإيمان قال تعالى: **﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾** (التوبة: ١٨)، وذلك لأن المساجد هى بيوت الله تعالى فى الأرض، قال عز من قائل: **﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾** (الجن: ١٨).

وقال فى الحديث القدسى: **«إن بيوتى فى الأرض المساجد، وزوارى فيها عمارها، فحق على المزور أن يكرم زائره»**[١].

وبين سيدنا رسول الله صلوات الله وتسليماته عليه وآله وجزاء من يبنى لله مسجد فقال ﷺ: **«من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة، بنى الله له بيتاً فى الجنة»**[٢].

كما بين الحق ـ عز وجل ـ وظيفة المسجد ومهمته فى حياة المسلم فى قوله سبحانه: **﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال* رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾** (النور: ٣٦ ـ ٣٨).

والمسلم إذا نوى فعل خير ولم يتمكن من فعله لأمر خارج عن إرادته، كأن عاجله الأجل أو غير ذلك، فإنه مأجور على عمله هذا، لأن الأعمال بالنيات كما قال الحبيب المصطفى ﷺ وبين أيضا ـ صلوات الله عليه وآله وسلم ـ هذا فيما يرويه عن رب العزة فى الحديث القدسى: **«إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، فإن همّ بها وفعلها، كتبها الله له عنده عشر حسنات. إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيئة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها، كتبها الله له سيئة واحدة»**[٣].

وفى واقعة السؤال: فإن المتبرع بالأرض والمال لبناء المسجد عليها ومن ماله يثاب عند الله تعالى، وهو صدقة جارية له عند ربه عز وجل، وما دام أمر المسجد قد تعذر، ولأسباب خارجة عن الإرادة، فإنه يجوز أن يحول هذا المال المعد لبناء المسجد، وكذلك قيمة ثمن الأرض للمساهمة بالجميع فى بناء معهد الأزهرى، لأنه يحفظ فيه كتاب الله وتدرس فيه سنة الحبيب المصطفى ﷺ، وكذلك أحكام ديننا الحنيف والشريعة الغراء، وهى مهمة من مهمات المسجد بعينه، لأن من رسالة المسجد العلم وتحصيله وتعليمه للمسلمين عامة، ولقد كانت أول الآيات نزولاً على سيدنا رسول الله ﷺ تحث على القراءة والتعلم قال عز وجل **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم﴾** (العلق: ١ ـ ٥).

وقال عز وجل: ﴿الرحمن* علم القرآن* خلق الإنسان* علمه البيان﴾ (الرحمن: ١-٤).

وقال عز وجل مخاطباً رسول الله ﷺ فى سورة محمد: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ (محمد:١٩).

ولقد قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت معلماً»(٤)، وربما تكون المساهمة فى المعهد أكثر ثواباً من المساهمة فى بناء المسجد، لأن سيدى رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن نبى قبلى ... » ومنها: «جعلت لى الأرض مسجداً وتربتها طهوراً»(٥).

فالصلاة تؤدى فى أى مكان، ولكن تلقى العلم جرى العرف على أنه لا يكون إلا فى أماكن معدة لذلك مثل المعاهد، وهو إن شاء الله من الصدقات الجارية لقول حبيبنا وسيدنا رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٦).

وعليه: فإنه يجوز لورثة المتبرع لبناء المسجد أن يحولوا هذا التبرع إلى المساهمة فى بناء المعهد ما دام الأمر تعثر، ولا حرج فى ذلك قطعاً، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

الهوامش:

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٢٦٠٥/٨) وابن كثير فى تفسيره (٢٩٣/٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه فى المساجد والجماعات (٧٣٨).

(٣) أخرجه البخارى فى الرقاق (٦٤٩١) ومسلم فى الإيمان (١٣١).

(٤) أخرجه ابن ماجه فى المقدمة (٢٢٩) والدارمى فى المقدمة (٣٤٩).

(٥، ٦) سبق تخريجه.

حكم فرض الزوج على البنت وتركها لهذا الخطيب

السؤال من القارئ/ على محمود طه، من الدقهلية، يقول:

بنت تقدم لها شخص والعائلة فرضته عليها وخطبها وأثناء هذا عرفت شخصاً آخر وأحبته وتريد أن تسأل هل لها أن تترك هذا الخطيب المفروض عليها؟

الجواب: لها أن تترك الخطيب، لأن الخطبة مرحلة فيها نوع من أنواع التمييز للزواج.

أما لو ارتبطت فى زواج، فلا يمكن أن تنظر إلى شخص آخر، ولاتدعى أنها تحب أو لا تحب.

فترة الخطوبة خصصت من أجل أن الشخص يختار شريكة حياته وتختار شريك حياتها بحرية.

ولذلك فسخ الخطبة أهون من الفراق بعد الزواج، فنحن هنا مازلنا - كما يقولون - على البر، ولذلك البنت التى أحبت شخصاً آخر وتريد أن ترتبط به، يمكنها أن تفسخ خطوبتها.

وهنا نقول: إن النبى ﷺ علمنا أن للمرأة أن تستشار فى أمر زواجها، فعن عن عائشة: **أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته وأنا كارهة، قالت: اجلسى حتى يأتى النبى ﷺ فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه، فجعل الأمر إليها، فقالت: يارسول الله قد أجزت ماصنع أبى ولكن أردت أن أعلم النساء من الأمر شىء؟**(١)

قال: فيجوز فى فترة الخطبة أن تكون المسائل على الاختيار والسعة، ولذلك ننصح هذه البنت التى تعلق قلبها بالآخر ولم يكن مع خطيبها أن تبادر من الآن بحسن الاختيار.

هامش:

(١) أخرجه النسائى فى النكاح (٣٢٦٩) وابن ماجه فى النكاح (١٨٧٤).

حكم الخروج من غير موافقة الزوج

السؤال من القارئة/ أ. م. ع. من محافظة القاهرة، تقول:

أنا وزوجى متزوجان من سبع سنين ولم نرزق بأطفال حتى الآن، وكلما أقول له نذهب لطبيب للكشف أو عمل فحص مجهرى أو أى طريق آخر يرفض أو يقول: ليس الآن نؤجل بعد ذلك، بالتأكيد أتمنى أن يكون لدى أطفال ولا أعرف ماذا أفعل لكى يفهم أن هذا حقى ويقول إن هذا كلام لا يخصك فقط؟.

الجواب: هذه القضية من القضايا الحساسة، لأنه يترتب عليها أمور عجيبة وغريبة فيما بعد، فليس من عيوب الزواج أن الإنسان لا ينجب، ولكن عيوب الزواج التى يمكن فسخ النكاح بها أن يتضح أن الرجل أو المرأة مجنون، أو عنده مرض معد فيه ما يمنع كمال الاستمتاع والحياة الهادئة، لكن كون أن المرأة لا تنجب أو الرجل لا ينجب هذا ليس أحد أسباب الطلاق.

وشخص يقول لى: لكنها لم تقل ننقض الزواج ولكنها تقول: تريده أن يذهب إلى الطبيب، إذا ذهب للطبيب وعرفت أن العيب منه فماذا تفعلين؟ ليس لك إلا أن تطلبى الطلاق، ليس هذا من أسباب طلب الطلاق فى شىء، فماذا نفعل؟ تطلبين الخلع؟ إذاً هدمنا البيت، إذاً الذهاب إلى الطبيب قد يؤدى إلى هدم البيت قد يكون هو ذهب ويعرف أن العيب منه.

ولذلك فإن هذه الأمور لو سكتنا عليها أبقينا على الأسرة، طبعاً المرأة متشوقة ـ والرجل أيضاً متشوق ـ لأن يكون لها ولد تمارس فيه ما خلقها الله من أجله من الأمومة، ولكن هذه أرزاق قال تعالى: ﴿**لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً**﴾ (الشورى: ٤٩) فافرضى أنك طلقت منه أو تركتيه أو انفصلت عنه وتزوجت آخر فلم تنجبى وليس فيك عيب، فكيف يكون الحال فى هذا الوقت؟.

حدث ذلك أمامنا فى الحياة الدنيا، فالقضية فى الحقيقة تحتاج إلى تسليم ورضا بأمر الله، هذا من قبيل المرأة، أما من قبيل الرجل فنحن ننصحه بأن يهدئ بالها ويذهب إلى الطبيب، حتى إذا ظهر من هذا أن الأمر من ناحيته وليس من عندها فالحياة بما فيها من ود هى المقصد من الزواج، لكن النفقة عندما نذهب للمحكمة ونقول: ياحضرة القاضى طلقنى لأن هذا الرجل لا ينجب، فلن يوافق القاضى على الطلاق، لأنه ليس من الأسباب التى تبيح للمرأة أن تطلب الطلاق، فالحقيقة أن هذه المشكلة مشكلة حياة، وهذه المشكلة الخاصة بالحياة تجعلنا دائماً محافظين فيها بما لا يؤذينا قال تعالى: ﴿**لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾ (المائدة: ١٠١).

تناول الأدوية لمنع الحيض فى الحج

السؤال من القارئة/ أ. م. ح. من ميت حلفا، قليوبية، تقول:

أنا ذهبت إلى مكة وكنت مقيمة مع زوجى فى المملكة العربية السعودية وذهبت لعمل العمرة، وقد كنت متشوقة إلى أن أذهب إلى الحرم وأؤدى عمرة، وكنت حائضاً فى هذا الوقت، فذهبت إلى الطبيبة وأعطتنى عقاراً لرفع الدم، وذهبت وأديت العمرة، مع العلم بأننى كلما ذهبت إلى الحرم لأصلى أو أعتمر كنت أغتسل فى كل وقت، فهل على شىء، وهل عمرتى صحيحة؟.

الجواب: إذا كان الدم قد ارتفع عنك، ولم ينزل منه قطرة واحدة، فإن عمرتك صحيحة.

علاقة الزوجة بالأم

السؤال من القارئة/ أمانى محمد إبراهيم، من محافظة الدقهلية، تقول:

أنا متزوجة من فترة وللأسف أنا أسكن مع حماتى فى نفس البيت، وليس فى نفس الشقة، لكن المشكلة بينى وبينها دائماً: أنها تريد أن تجعلنى أحس بأن هذه الشقة ليست ملكى، وأن البيت بيت ابنها وفلوس ابنها، وأنا ليس لى حق أبداً فى أى شىء، وأنا لا أعرف كيف أتصرف معها، وللأسف أيضاً زوجى لايستطيع أن يأخذ منها حقاً ولا باطلاً، فماذا أفعل؟.

الجواب: نحن ندعو الناس إلى الإخاء والود، وندعو الحماة إلى أن تنزل البنت هذه منزلة بنتها وتحبها وتشعرها بالحنية وبالأمان، وندعو البنت أن تعامل حماتها معاملة أمها. لكن إذا تبين أن تلك الحماة تريد أن تتسلط وتبين للبنت أنها ليس لها شىء، وكانت هذه البنت تعتز بنفسها، وأن الزوج يريد أن لا يُغضب أمه، ولا يغضب زوجته.

هنا نقول لهذه الزوجة: أن تحاول أن تعامل هذه الحماة مثل الأم، وذلك لأن النبى ﷺ يقول: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**(1).

ونقول لتلك الحماة: اعتبرى زوجة ابنك مثل ابنتك.

ونقول للزوج: حاول أن تجهز شقة مستقلة لهذه الزوجة، لأن السكنى أول مقتضيات القدرة على الزواج، وإذا لم يستطع ذلك فما كان عليه أن يتزوج إذا لم يكن يقدر على أنه يعد مسكناً للزوجية، فالمرأة من حقها شرعاً وقانوناً أن يكون لها مسكناً مستقلاً، ولابد عليه من الآن أن يسعى إلى تحصيل هذا المسكن مستقلاً، لأن الأم لاتريد أن تتنازل عن تصرفاتها ولاتريد أن تضع هذه البنت تحت جناحها، والبنت أيضاً لاتريد أن تعامل هذه المرأة كأنها أمها، وتتنازل عن بعض حقها أو عن كل حقها، ثم نسأل الله السلامة لانريد هذا العلو والرقى.

الهامش:

١ ـ أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (١/١٩١).

لمن تكون الشبكة عند فسخ الخطبة

السؤال من قارئ، يقول:

تقدم رجل لخطبة امرأة وتمت الخطبة والشبكة وأراد الخاطب فسخ الخطبة من قبله: فهل الشبكة التى قدمها الخاطب لمخطوبته من حقه أن يستردها أم أنها من حق المخطوبة علماً بأن المخطوبة قد جهزت نفسها استعداداً للزفاف؟.

الجواب: من الثابت والمقرر أن العرف أحد أركان التشريع الإسلامى لما جاء فى الأثر: **«ما رآه المؤمنون حسناً فهو عن الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح»**(1).

وقد جرى العرف على أن الشبكة جزء من المهر لا تستحق الزوجة منه شيئاً إلا بالعقد، فإنها تستحق بالعقد نصف المهر وتستحق بالدخول المهر كاملاً، والمخطوبة المعدول عن خطبتها ليست زوجة، لأنه لم يتم العقد عليها ولا الدخول بها، والخطبة ما هى إلا وعد بالزواج فقط، فلا يترتب عليها أحكام العقد والدخول، وعليه فإن الشبكة المقدمة من الخاطب لمخطوبته إذا عدل الخاطبان أو أحدهما عن الخطبة تكون للخاطب وليس للمخطوبة منها شىء.

هذا عن الشبكة، أما عن الهدايا: إما أن تكون مستهلكة كالطعام والشراب فلا يجوز الرجوع فيها، وإن كانت غير مستهلكة مثل الأشياء الثمينة ففيها خلاف بين من يجيز الرجوع فيها وبين مانع من الرجوع فيها.

وفى واقعة السؤال وبناء على ماسبق:

فإن الشبكة تكون حقاً للخاطب ولا حق للمخطوبة فى شىء منها، ولا عبرة بما أعدته العروس وأهلها من تجهيزات لإتمام الزفاف.

الهامش:

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٩/١١٢)، والبزار فى مسنده (٥/٢١٣).

مع القراء

مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء □ أ. حسين السكرى □ مع القراء

الإيمان قاعدة الإصلاح

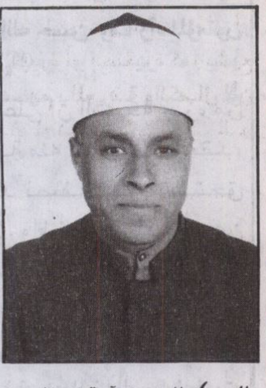

للقارئ/ الشيخ مصطفي عبدالظاهر أبو عمرة، طما ـ جزيرة طما ـ محافظة سوهاج.

الإيمان بالله ـ عز وجل ـ منارة تهدى الحائر وترشد الضال. كل إصلاح لا يعتمد على الإيمان يكون ناقصا.

يقول الله ـ عز وجل ـ : **﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾** البقرة: آية ٢٥٧.

وعن سفيان بن عبدالله قال: قلت يارسول الله «قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك. قال: **قل آمنت بالله ثم استقم**» رواه مسلم وأحمد والترمذى.

فلن تستطيع أمة أن تنهض أو تقوى بعد ضعف أو ترقى إلا بعد تربية أصيلة من تقوى الله ـ عز وجل ـ.

إن التغيير الذى يصيب الأمم ويوجهها إلى الخير إنما يكون بإشعاع من داخل النفس.

فالإيمان الحق هو الركيزة التى يقوم عليها منهج الإصلاح الإسلامى وقاعدة النظام الإسلامى ـ الإيمان ودعامته اليقين والإيمان واليقين محلهما القلب وهو أمير الجسد وراعيه.

من واقع الحياة

للقارئ/ السيد التحفة ـ شبراخيت ـ شارع أحمد عرابى.

الكذاب متاح له أن يسبك كذبته بحيث يحتاج أن يخدع المتحدث أو يدخل عليه ويخال كذبة صاحبها صدقا لمرة واحدة هى قطعا المرة الأولى التى يكون فيها محاوره التى يكون فيها بكل برهة روح الكذب أو بغيته وجب عليه ألا يصدقه لثانى مرة لأنه فى تلك الحالة بكون كالذى يضحك على نفسه والكذوب إنسان لا يؤتمن على سر ولا على مال ولا على شىء، لقد ضيع ببساطة عهده مع الله وآثر أن يسير وراء حبائل الشيطان ويغوى عباده ظنا منه أنه غير متتصح ولكن هيهات فسيفضحه الله ولو ارتدى ألف قناع وقناع، فالصدق الصدق هو منجاة الغريق حتى وإن بدت الحقيقة للبعض مرة المذاق فعقباها الخير كله.

***

الكذب لا يصل بالإنسان إلى مذاق، فالكذاب ليس له طعم ولا مذاق وسيكون كذبه بينا بين الناس وكلامه واضحا ليس له أى بيان وكأنه يسير فى أرض بوار مجراها ليس مجرى الناس والشيطان يزفه فى كل وقت وأوان ويسوقه إلى الفضيحة ليلعنه جميع من يراه.

التجارة فى الإسلام

للقارئ / رضا أبو الغيط المحامى - كفر الصعيدى - منيا القمح - شرقية.

ينظر الإسلام إلى الأعمال التجارية نظرة تقدير واحترام ويعتبر التجارة عملا جليلا نافعا ويرفع من شأن من يقومون بذلك من تلك الأعمال التجارية إلى درجة الصديقين والشهداء، ذلك لأن التجارة تعد مقياسا لرقى الأمم والشعوب، وميزان تقدمها فقد روى الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«يعتبر التاجر الصدوق يوم القيامة مع الصديقين والشهداء»**، ونظرا لأن العمل التجارى مهم وضرورى تحتاج إليه جميع الأمم كحاجتها للماء والهواء، فقد وضعت الشريعة الإسلامية مجموعة من القواعد المستقيمة لممارسة العمل التجارى من خلالها، فلو التزم التجار بتلك القواعد وساروا عليها ما كسدت تجارة وما خسر تاجر حيث حثت الشريعة الإسلامية التاجر ألا يغش ولا يدلس ولا يكتم عيب البضاعة على المشترى كما حثه على ألا يتخذ الحلف سبيلا لترويج بضاعته، فقد روى الترمذى عن رفاعة بن رافع قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال: يامعشر التجار؟ فرفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: **إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق»**، وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب كما روى عن النبى ﷺ قوله: من غشنا فليس منا».**

كما حثت الشريعة الإسلامية التاجر أن يصدق فى السعر ولا يخفى منه شيئا وأن يبتعد عن التغرير بالمشترى وأن يكون ناصحا أمينا وأن يوفى الكيل ولا يكون من المخسرين، فقال تعالى: **﴿ويل للمطففين* الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون* وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾** المطففين: الآيات ١ - ٣، فنجد أن الشريعة الإسلامية أفاضت على المعاملات التجارية من روحها وصبغها بسماحتها وألبستها لباس التقوى ومزجتها بالعقيدة الطاهرة وجعلتها جزءا من الدين، فالدين المعاملة والدين النصيحة، فقد روى عن مسلم عن تميم الدارى قال: «قال رسول الله ﷺ: **الدين النصيحة ثلاثا؛** قلنا لمن يارسول الله؟ قال: **لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».**

***

الدين الإسلامى هو دين القيم والمبادئ فليس من شأنه الغش أو النفاق أو التملق أو التغاضى عن العيوب الكبيرة أو الصغيرة كما يشيع عنه بعض الحاقدين الذين يصفون أنفسهم بالمعرفة والكمال لأن القوة الغاشمة تسيطر عليهم وتجعلهم أدعياء فى كل شىء وأعمالهم وأقوالهم شاهدة عليهم.

ما أجمل العيد

للقارئ/ حسن محمود رمضان محمد - بهتيم - شارع التبع - بجوار السوق - قليوبية.

ما أجمل العيد لو كان المعروف فيه بين الناس متبادلا والارتحام بينهم سائدا، ما أحلى هذا العيد لو بر كل منا بأمه وأبيه، ما أهنأ لو سعينا فيه بصلة الأرحام ومواساة الأيتام، والعطف على المساكين والبر بذوى القربى والمحتاجين، صلوا أرحامكم فى هذه الأيام يصلكم الله - سبحانه - برحمته واذهب إلى والديك وأخواتك وعماتك وخالاتك وأعمامك وأخوالك وأجدادك وجداتك فإن صلة الرحم تزيد فى العمر وتبارك فى الرزق والله - تعالى - أقسم: **«أيتها الرحم وعزتى وجلالى لأصلن من وصلك وأقطعن من قطعك».**

***

هذا قسم من الله - جل جلاله وهو قسم عظيم لا يقسم به إلا مالك الملك، لا يقسم به إلا رب البلاد والعباد الذى خلق الخلائق كلها وكان عليها رقيبا وحسيبا ومعناه كبير وعظيم، فإن رب العزة يعنيه ويريده ويوصى به فإنه على كل شىء قدير وبالإجابة جدير وهو على كل شىء وكيل وهو نعم المولى ونعم النصير.

لا دين لمن لا أمانة له

للقارئ/نافع السيد على محمد - أسيوط - ديروط - أبوالهدر.

قال سيدنا على رضي الله عنه - وكرم الله وجهه -: «كنا جلوسا عند النبى ﷺ: فأقبل علينا رجل من أهل البادية فقال: أخبرنى يامحمد عن أشد شىء فى هذا الدين؟ وألينه، فقال له: **ياأخا العالية: ألين شىء فى هذا الدين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأشده ياأخا العالية الأمانة ألا إنه لا دين لمن لا أمانة له، وإن صام وإن صلى**، جاء الإسلام بأركانه وفرائضه وأحكامه وتعاليمه ليجعل المسلم صاحب ضمير يقظ حى يراقب الله فى كل حركاته وسكناته وأفعاله وأقواله وسلوكه وتصرفاته وبذلك تصان حقوق الله وحقوق الناس، ويكون ضمير المسلم حارسا أمينا عليه ومن أجل تحقيق هذه الغايات أوجب الإسلام على المسلم أن يكون أمينا، إن أشق وأعظم التكاليف التى حملها الإنسان الأمانة، يقول الله - تعالى -: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾** الأحزاب: آية ٧٢، وليس معنى الأمانة قصرها على رد الودائع لأصحابها وإنما المجالات التى تدخل فيها الأمانة كثيرة منها الدين والأعراض والشهادة والأسرار والقضاء والسمع والبصر، فالأمانة تدخل فى كل هذه المجالات.

***

الأمانة شىء لا أعظم منه ولا أكرم ولا أسمى فعندما عرضها الله على السماوات والأرض والجبال خاف منها الجميع وهربوا من حملها فمجالها كبير وحملها ثقيل فلم يستطع الإنسان إلا حملها بعد الأرض والسماوات والجبال لأن الإنسان ظلوما جهولا فكان تقديره لها ليس بالمعنى المفهوم أو المعروف لأن مجالاتها كثيرة ومتنوعة والإنسان ضل طريقها لكثرتها وتعددها.

مسابقة منبر الإسلام الدينية - ذو القعدة ١٤٢٨هـ (٣)

«لقد حذر النبى ﷺ من إهمال العقل والاكتفاء بالتقليد الأعمى للآخرين فقال ﷺ: «لا تكونوا إمَّعة.. تقولون: إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»

السؤال.. فى أى مقال وردت هذه العبارة... وما اسم كاتبه؟

عنوان المقال : .... **اسم الكاتب :** ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفون :** ....

تاريخ الميلاد : ....

رقم البطاقة : .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة العمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٨هـ حتى شعبان ١٤٢٩هـ

بريد التعارف

الاسم : ممدوح محمود منصور جادالله

الهواية : الاطلاع الدينى وقراءة القرآن

العنوان : قرية البركاوى ـ مشتول السوق ـ الشرقية

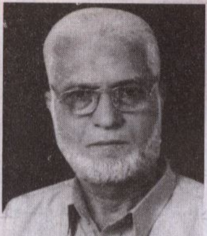

الاسم : فيصل أبوالقاسم سابق

الهواية : حفظ القرآن الكريم والاطلاع

العنوان: سبك الأحد أشمون ـ محافظة المنوفية

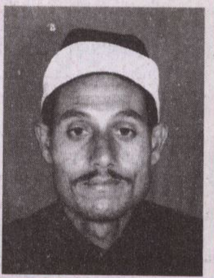

الاسم : فتحى فتح الله الأخوص

الهواية : الخطابة والاطلاع الدينى

العنوان : قرية غمرين مركز منوف ـ محافظة المنوفية

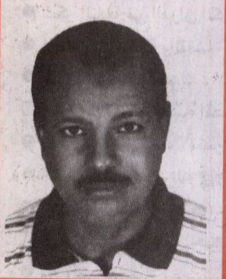

الاسم : عصام أحمد فرغلى حسن

الهواية: المطالعة والمراسلة

العنوان : مصر ـ أسيوط ـ ش أبو ليفة بدرنكة

الاسم : إبراهيم عبدالحى محمد

الهواية : الخطابة والاطلاع

العنوان : ٨ ش السنارى ـ المطرية

الاسم : نصار أحمد محمد الشهيبى

الهواية : التعارف والمراسلة

العنوان : مطروح العزبة الغربية بجوار مسجد الخضر

الاسم : السيد عبدالله حجازى

الهواية : قراءة القرآن ورفع الأثقال

العنوان : ميت جابر ـ مركز بلبيس ـ محافظة الشرقية

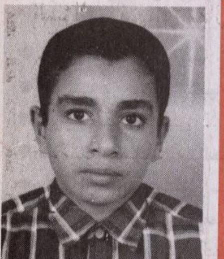

الاسم : أحمد محمد رمضان سيد

الهواية : التعارف والمراسلة

العنوان : أسيوط القوصية ـ شارع طريق بنى إدريس

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....

الهواية: ....

العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

□ كلمة التحرير		١
□ حديث الشهر {ليشهدوا منافع لهم}	بقلم أ. د. عبدالصبور مرزوق	٢
□ القرآن الكريم وعلومه		٥
● تفسير سورة (الانشقاق)	أ. د. محمد سيد طنطاوى	٦
● النص القرآنى بين التفسير ونظريات التلقى(٤)	أ. د. عبدالرحيم الكردى	١١
● شكر النعمة فى القرآن الكريم والسنة النبوية	فضيلة الشيخ: فوزى فاضل الزفزاف	١٥
● الإرادة الإنسانية والقضاء والقدر	أ. د. محمود حمدى زقزوق	١٨
● مقال من وحى القلم	أ. د. محمد رجب البيومى	٢١
□ دراسات فى السنة المطهرة		٢٥
● من قصص السنة: لأقضين بينكما بكتاب الله	أ. د. أحمد عمر هاشم	٢٦
● الإساءة إلى رسول الله ﷺ جهل بالمثل الأعلى للإنسانية	أ. د. محمد فتحى فرج بيومى	٢٩
● ليس غيرك ملجئى (شعر)	عمر موسى موسى البرعى	٣٤
□ ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾		٣٥
● من وحى فريضة الحج	فضيلة الشيخ: محمد عبدالمجيد زيدان	٣٦
● خواص الركن الخامس	أ. د. محمد الدسوقى	٤١
● الحج الكبير ومشاعر فياضة	فتحى الإبيارى	٤٦
● الكعبة المشرفة مكانا ومكانة	فضيلة الشيخ: شوقى عبداللطيف أيوب	٤٩
● الحج صفحة جديدة للطهر والنقاء	أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة	٥٤
● بيت الله الحرام	فضيلة الشيخ: فكرى حسن إسماعيل	٥٨
● المنتدى الإفريقى الثانى حول الموقف الموحد بشأن الأطفال	محمد كامل شاهين	٦٢
● ابنتى.. وشعائر الإسلام. (شعر)	د. عبدالحميد إبراهيم بركات أبو سعدة	٦٨
□ الحضارة والعلوم		٦٩
● عن الأزمة الفكرية	أ. د. محمد عمارة	٧٠
● {ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها}	أ. د. عبدالمعبود عمارة	٧٣
● تاريخ حضارتنا العربية والإسلامية	أ. أمان عبدالمؤمن قحيف	٧٦
● الأوقاف الإسلامية فى ديار الغرب	د. أحمد عوف محمد عبدالرحمن	٨٢
□ الدعوة والدعاة		٨٥
● حقوق الإنسان فى الإسلام	د. سالم عبدالجليل	٨٦
● التواضع من صفات الأنبياء وحلية الأولياء	د. أحمد عبداللطيف الكلحى	٩٣
● حوار مع مفتى كوسوفا	مصطفى إبراهيم خيان	٩٩
● من أعلام المصلحين: عبدالحميد بن باديس	كمال عبدالوهاب	١٠٢
● مبدأ المواطنة من منظور إسلامى	أحمد فاروق الهلباوى	١٠٦
● حوار مع الدكتور حامد عمار	محسن عبدالفتاح	١٠٩
● من وراء الأخبار	منير بيومى	١١٢
● قطوف (دعوة أبى الأنبياء)	محمد سيد أحمد علىّ الدين	١١٦
□ أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الدكتور على جمعة محمد	١١٩
□ مع القراء	يحرره: حسين السكرى	١٢٤
□ بريد التعارف		١٢٧

وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

جائزة مبارك للدراسات الإسلامية

يعلن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية عن فتح باب الترشيح لجائزة مبارك السنوية للدراسات الإسلامية لعام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م وقيمتها مائة ألف جنيه ويدعو الجامعات والهيئات والمؤسسات العلمية لترشيح من يرونه مستوفيا لشروطها وذلك فى موضوع: «**تجديد الفكر الإسلامى - الضرورات والضوابط والآثار**»

وفقا للشروط التالية:

أولا:

- أن يكون البحث المقدم لنيل الجائزة أصيلا فى بابه ولم يمض على تاريخ طبعه ونشره أكثر من خمس سنوات من تاريخ هذا الإعلان.
- أن يكون مصوغا فى أسلوب علمى ومنهجى رفيع المستوى بإحدى اللغات العربية، أو الإنجليزية، أو الفرنسية، أو الألمانية.
- أن يسهم فى إثراء الفكر الإنسانى بصفة عامة والفكر الإسلامى بصفة خاصة.
- ألا يقل عدد صفحاته عن (٣٠٠ صفحة) من القطع المتوسط.
- ألا يكون موضوعا لرسالة جامعية، أو مترجما من بحث أجنبى، أو تحقيقا لمخطوط.
- أن يرفق به ملخص فى حدود (٣٠ صفحة) بإحدى اللغات الأجنبية المشار إليها.
- ألا يكون قد سبق منحه جائزة من أية جهة أخرى.
- النسخ المقدمة للمسابقة لا ترد.

ثانيا: يشترط فيمن يتقدم للترشيح للحصول على الجائزة:

- أن يكون مصرى الجنسية.
- أن يتم الترشيح من قبل الجامعات والهيئات والمؤسسات العلمية بخطاب ترفق به السيرة الذاتية للباحث وقائمة بإنجازاته العلمية والعملية وعشر نسخ من البحث وثلاث صور ملونة ١٠×١٥سم مع استيفاء البيانات بالنموذج المعد لذلك بأمانة الجائزة بالمجلس.
- يحق للباحث أن يتقدم مباشرة ببحثه لأمانة الجائزة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ألا يكون قد سبق للمرشح الفوز بهذه الجائزة.

ثالثا:

- تقدم الطلبات باسم الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية على العنوان التالى: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - ٩ ش النباتات جاردن سيتى.
- آخر موعد لتلقى الطلبات والبحوث هو ٣٠ أبريل ٢٠٠٨م.

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها :

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم باللغة العربية مجلد فاخر طباعة أوفست ٢ لون وترجمته باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والإسبانية والإندونيسية.

- المصحف المعلم ٣٨ شريطًا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطًا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطًا للقراء عبدالباسط عبد الصمد ، مصطفى إسماعيل ، محمود على البنا ، محمود خليل الحصرى

سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة

- الموسوعة القرآنية
- موسوعة أعلام الفكر الإسلامى
- موسوعة التشريع الإسلامى
- موسوعة علوم الحديث
- موسوعة الحضارة الإسلامية
- موسوعة الفرق والمذاهب فى العالم الإسلامى

أمهات كتب التراث

- سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد - الأجزاء من ١ : ١٣
- صفوة السيرة النبوية لابن كثير - الأجزاء من ١ : ٤
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - الأجزاء من ١ : ٦
- مختصر سيرة ابن هشام - الأجزاء ١ ، ٢
- إخلاص الناوى - الأجزاء من ١ : ٤
- صحيح البخارى - الأجزاء من ١ : ١١

وهذه الكتب لكبار العلماء والمحققين فى العالم الإسلامى

- موسوعة الفقه الإسلامى - الأجزاء من ١ : ٢٨
- الفتاوى الإسلامية مجلدة - الأجزاء من ١ : ٢٠
- ينابيع الأحكام فى معرفة الحلال والحرام
- حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين
- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء

وتيسيرا على القارئ المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم البيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى   ٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير

مكتبة مسجد النور بالعباسية   ٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)

الإسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر